مجاني الأدب

في

حدائق العرب

لجامعه الأب لويس شيخو اليسوعي

منتخبات

ملتزم طبعه

امين هندية

مطبعة امين هندية بمصر

سنة ١٩١٨

مجاني الأدب

في

حدائق العرب

لجامعه الاب لويس شيخو اليسوعي

منتخبات

ملتزم طبعه
امين هندية

مطبعة امين هندية بمصر
سنة ١٩١٨

مقدمة

كتاب « مجاني الأدب في حدائق العرب » أشهر من ان يحتاج الى تعريف فقد انتشر أيّ انتشار شرقاً وغرباً وتعددت طبعاته من زهاء أربعين سنة حتى أصبح والحق يقال مورداً زاخراً يستقي منه كل من أراد الاطّلاع على مصنفات العرب و بلاغتهم . ولكنّ أجزاءه نفدت ولا يمكننا استجلاب غيرها من مواطنها بسبب الحرب ولا بسبيل الى اعادة طبعها وصاحبها حضرة الأب لويس شيخو اليسوعي حفظه الله بعيد عنّا في الديار الشامية . فاستأذنّا مدير المطبعة الكاثوليكية البيروتية المقيم فيما بيننا ان نختار من نفائس المجاني ما قرب وسهل وننشره مجموعاً في كتاب مدرسي يقوم بحاجة الطلبة الاحداث فأجاب الى سؤلنا بطيبة خاطر كما كان أجاب صاحب الكتاب لو استشرناه . فاقتطفنا من ثمار «حدائق العرب» التي اجتناها ما رأيناه موافقاً للغرض مقتصرين على الأجزاء الثلاثة الأولى من مجموعته لسهولتها الا ما قلّ من القطع النثرية والشعرية انتقيناها من الجزء الرابع والخامس. و بوّبنا الموادّ على النمط الذي تجده في أصل الكتاب وضبطنا المتن بالشكل التامّ غير اننا تركنا الباب الأخير وهو باب الحكايات خالياً من الحركات ليتمرّن به الطلاب على القراءة والتطبيق

نهدي الكتاب الى طلبة الدراسة الثانوية الأحداث ونحن عالمون باعتراض من ينكر فائدة المجموعات الأدبية القديمة لتخريج الأحداث اعتقاداً منه ان الكتابات العصرية أولى بتهذيب أبناء العصر من المؤلفات القديمة . فجوابنا ان كتاب مجاني الأدب — وكذلك المنتخبات منه — وُضع للدراسة الثانوية لا للدراسة الابتدائية وهما خطتان تختلفان اختلافاً جوهرياً اذ ان لكل منهما غاية متباينة . فالغرض من الدراسة الابتدائية تلقين الطالب المعارف التي يحتاج اليها لعمله في سبيل الارتزاق. وأما غاية الدراسة الثانوية فهي تهذيب القوى العقلية سواء استعملها صاحبها لتحصيل

معيشته أم لم يستعملها . بها تتحلى النفس وترتقي وتُعدّ لاكتساب العلوم العالية أو مباشرة الأعمال السامية . ففائدتها العملية بعيدة بخلاف الدراسة الابتدائية . وعليه يجب ألاّ يقتصر تعليم اللغة العربية الثانوي على تكسيب التلميذ مايلزمه لخطّ رسالة تجارية أو قراءة جريدة يومية . وانما يُطلب منه تهذيب ذوق الفتى باطلاعه على أسرار العربية ومحاسنها نثراً ونظماً . ولا يتسنى ذلك الا بالرجوع الى مؤلفات الأعصر السابقة التي زهرت فيها العربية فهي اقربها من الأصل أصرح لغة وأفصح لفظاً وأمتن تركيباً . فاذا تمكنت ملكة الذوق العربي من نفس التلميذ وتهذّبت باقي قواه العقلية قدر أن يجد للمعاني العصرية ما يلائمها من الألفاظ والتعابير وان يستفيد من أوضاع غيره من الكتّاب العصريين . تلك على رأي كثيرين الطريقة المثلى «المدرسية» لصيانة وحدة اللغة والاحتفاظ بصراحتها مع ما يطرأ عليها من عوامل التغيير . وايّاها قصد الأب لويس شيخو لما وضع مجموعه وشرحه ولا يجوز لنا الا أن نكون في ذلك لامامنا الفاضل أتباعاً

ومما يجب الإنتباه اليه ان مجموعنا هذا الصغير ليس كتاب مطالعة يقلّب التلميذ الحدث صفحاته في وقت الفراغ ترويحاً للخاطر بل هو كتاب شرح وتفسير يحتاج الى استاذ يبين ما غمض من معانيه وأشكل من مبانيه ويستلفت نظر الأولاد الى ما يلذهم معرفته من حادث تاريخيّ أو موقع جغرافيّ أو نكتة أدبية أو طرفة اخلاقية الى ما شاكل ذلك لتتم الفائدة التي ذكرناها . ولا يُحرم مع ذلك كبار التلاميذ نفع الكتاب اذا طالعوه بتأنٍ لأن طبقة انشائه لا تفوق مبلغ ما حصّلوه من اللغة العربية

فعسى أن يحوز مجموعنا هذا من الجميع قبولا ويساعد من يُعنى بتهذيب الناشئة على نشر الآداب الصحيحة . ان شاء الله

الأب خليل اده اليسوعيّ

عن مدرسة العائلة المقدسة بمصر في ٢ يوليه سنة ١٩١٨

الباب الأول

في التدين والزهد

اعتقاد وجود الله

١ إِعْلَمْ أَيُّهَا الإِنْسَانُ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ وَلَكَ خَالِقٌ. وَهُوَ خَالِقُ الْعَالَمِ وَجَمِيعِ مَا فِي الْعَالَمِ. وَأَنَّهُ وَاحِدٌ. كَانَ فِي الأَزَلِ وَلَيْسَ لِكَوْنِهِ زَوَالٌ. وَيَكُونُ مَعَ الأَبَدِ وَلَيْسَ لِبَقَائِهِ فَنَاءٌ. وُجُودُهُ فِي الأَزَلِ وَالأَبَدِ وَاجِبٌ وَمَا لِلْعَدَمِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ. وَهُوَ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ. وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ وَلَيْسَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ احْتِيَاجٌ. وُجُودُهُ بِهِ وَوُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ

(للغزّاليّ)

قدرة الله

٢ إِنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَإِنَّ قُدْرَتَهُ وَمُلْكَهُ فِي نِهَايَةِ الْكَمَالِ وَلا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِلْعَجْزِ وَالنُّقْصَانِ. وَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فِي قَبْضَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ. وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ لا مُلْكَ إِلاَّ مُلْكُهُ

(ولهُ)

علم الله

٣ إِنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ مَعْلُومٍ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْعُلَى إِلَى الثَّرَى إِلاَّ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ. لأَنَّ الأَشْيَاءَ بِعِلْمِهِ

ظَهَرَتْ وَبِقُدْرَتِهِ انْتَشَرَتْ. وَإِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ عَدَدَ رِمَالِ الْقِفَارِ وَقَطَرَاتِ الْأَمْطَارِ وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ وَغَوَامِضِ الْأَفْكَارِ. وَإِنَّ ذَرَّاتِ الرِّيَاحِ وَالْهَوَاءِ فِي عِلْمِهِ ظَاهِرَةٌ مِثْلَ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ (ولهُ)

قَالَ الْبُرَعِيّ:

يَرَى حَرَكَاتِ النَّمْلِ فِي ظُلَمِ الدُّجَى ... وَلَمْ يَخْفَ إِعْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ

وَيُحْصِي عَدِيدَ النَّمْلِ وَالْقَطْرِ وَالْحَصَى ... وَمَا اشْتَمَلَتْ بَحْرٌ عَلَيْهِ وَأَنْهَارُ

حكمة الله وتدبيره

٤ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ رَاحَةٍ أَوْ نَصَبٍ صِحَّةٍ أَوْ وَصَبٍ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ. وَلَوِ اجْتَمَعَ الْبَشَرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ عَلَى أَنْ يُحَرِّكُوا فِي الْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يُسَكِّنُوهَا أَوْ يُنْقِصُوا مِنْهَا أَوْ يَزِيدُوا فِيهَا بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَقْدِرُوا. مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ. وَلَا يَرُدُّ مَشِيئَتَهُ شَيْءٌ. وَمَهْمَا كَانَ وَيَكُونُ فَإِنَّهُ بِتَدْبِيرِهِ وَأَمْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ (للغزّالي)

تقوى الله

٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ:

وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِمًا ... فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

وَقَالَ ابْنُ الْوَرْدِيّ :

وَاتَّقِ اللّٰهَ فَتَقْوَى اللّٰهِ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللّٰهَ الْبَطَلْ

٦ قَالَ ابْنُ عِمْرَانَ :

وَسَلِ الْإِلٰهَ وَلُذْ بِهِ لَا تَنْسَهُ فَاللّٰهُ يَذْكُرُ عَبْدَهُ إِذْ يَذْكُرُهْ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتُقَى إِلٰهِكَ فَاجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ لِهٰرُونَ الرَّشِيدِ وَقَدْ أَرَادَ عِقَابَهُ :

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنَنِي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللّٰهَ

حمد الله تعالى

٧ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلِذُّ بِهِ ذِكْرًا وَإِنْ كُنْتُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرَا
لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ السَّمَا وَأَقْطَارَهَا وَالْأَرْضَ وَالْبَرَّ وَالْبَحْرَا
لَكَ الْحَمْدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دَائِمًا لَكَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى لَكَ الْحَمْدُ فِي الْأُخْرَى

(للبرعي)

ملازمة الصلاة

٨ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ . وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُمَّالِهِ : إِنَّ أَهَمَّ أُمُورِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ . مَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ . وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ

(للشريشي)

٩ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نَوْعَيْنِ مِنْ شَخْصٍ وَرُوحٍ . وَجَعَلَ ٱلْجَسَدَ مَنْزِلاً لِلرُّوحِ لِتَأْخُذَ زَادًا لِآخِرَتِهَا مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ . وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مُدَّةً مُقَدَّرَةً تَكُونُ فِي الْجَسَدِ . وَآخِرُ تِلْكَ ٱلْمُدَّةِ هُوَ أَجَلُ تِلْكَ ٱلرُّوحِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلاَ نُقْصَانٍ. فَإِذَا جَاءَ ٱلْاجَلُ فُرِّقَ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ (للغزّالي)

١٠ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

لاَ دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ يَسْكُنُهَا ... إِلاَّ ٱلَّتِي هُوَ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ بَانِيهَا

وَقَالَ آخَرُ :

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلاَّ سَيَفْنَى ... وَيُبْقِي ٱلدَّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ

فَلاَ تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي ٱلْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

(أَلف ليلة وليلة)

١١ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ . وَأَحْبِبْ مَاشِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ . وَٱعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ (للغزّالي)

قَالَ أَبُو مَحْفُوظٍ ٱلْكَرْخِيُّ :

مَوْتُ ٱلتَّقِيِّ حَيَاةٌ لاَ نَفَادَ لَهَا ... قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي ٱلنَّاسِ أَحْيَاءُ

وَقَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

إِذَا مَا تَحَيَّرْتَ فِي حَالَةٍ ... وَلَمْ تَدْرِ فِيهَا ٱلْخَطَا وَٱلصَّوَابْ

فَخَالِفْ هَوَاكَ فَإِنَّ ٱلْهَوَى يَقُودُ ٱلنفُوسَ إِلَى مَا يُعَابْ

١٢ حُكِيَ أَنَّ رَجلاً حَاسَبَ نَفْسَهُ. فَحَسَبَ عُمْرَهُ فَإِذَا هُوَ سِتُّونَ عَامًا. فَحَسَبَ أَيَّامَهَا فَإِذَا هِيَ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ يَوْمٍ وَتِسْعُمِائَةِ يَوْمٍ. فَصَاحَ: يَا وَيْلَاهُ. إِذَا كَانَ لِي كُلَّ يَوْمٍ ذَنْبٌ فَكَيْفَ أَلْقَى ٱللّٰهَ بِهٰذَا ٱلْعَدَدِ مِنْهَا. فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ أَعَادَ عَلَى نَفْسِهِ ذٰلِكَ وَقَالَ: فَكَيْفَ بِمَنْ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةُ آلَافِ ذَنْبٍ. فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَحَرَّكُوهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ (للقليوبي)

١٣ سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ: مَا كَانَ بَدْءُ تَوْبَتِكَ. فَقَالَ: كُنْتُ يَوْمًا أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَقَالَ: اُذْكُرْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ ٱلَّتِي تَكُونُ صَبِيحَتُهَا ٱلْقِيَامَةَ. فَعَمِلَ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامُ فِي قَلْبِي (للغزّالي)

ذلة الدنيا

١٤ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ إِبْلِيسَ يَعْرِضُ ٱلدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى ٱلنَّاسِ فَيَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي شَيْئًا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ وَيُهِمُّهُ وَلَا يَسُرُّهُ. فَيَقُولُ أَصْحَابُهَا وَعُشَّاقُهَا: نَحْنُ. فَيَقُولُ: إِنَّمَا ثَمَنُهَا لَيْسَ دَرَاهِمَ وَلَا دَنَانِيرَ. وَإِنَّمَا هُوَ نَصِيبُكُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ. فَإِنِّي ٱشْتَرَيْتُهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ بِلَعْنَةِ ٱللّٰهِ وَغَضَبِهِ وَسُخْطِهِ وَعَذَابِهِ وَبِعْتُ ٱلْجَنَّةَ بِهَا. فَيَقُولُونَ: رَضِينَا بِذٰلِكَ.

فَيَقُولُ : أُرِيدُ أَنْ أَرْبَحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا . فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيَبِيعُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ يَقُولُ : بِئْسَتِ ٱلتِّجَارَةُ (لهُ)

١٥ قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمَا أَهْلُ ٱلْحَيَاةِ لَنَا بِأَهْلٍ وَلَا دَارُ ٱلْفَنَاءِ لَنَا بِدَارِ
وَمَا أَمْوَالُنَا إِلَّا عَوَارٍ سَيَأْخُذُهَا ٱلْمُعِيرُ مِنَ ٱلْمُعَارِ

وَقَالَ ٱلْفَقِيهُ ٱلْبَاجِيُّ :

فَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَهْ
فَلِمْ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَهْ

قَالَ آخَرُ :

لَا أَسْعَدَ ٱللهُ أَيَّامًا عَزَزْتُ بِهَا دَهْرًا وَفِي طَيِّ ذَاكَ ٱلْعِزِّ إِذْلَالُ

زهد ابرهيم بن ادهم في الدنيا

١٦ حَدَّثَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ : صَحِبْتُ إِبْرٰهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ إِسْحٰقَ ٱلْبَلْخِيَّ بِٱلشَّامِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحٰقَ خَبِّرْنِي عَنْ بَدْءِ أَمْرِكَ كَيْفَ كَانَ . فَقَالَ : كَانَ أَبِي مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ وَكُنْتُ شَابًّا . فَرَكِبْتُ يَوْمًا عَلَى دَابَّةٍ وَمَعِي كَلْبٌ . وَخَرَجْتُ إِلَى ٱلصَّيْدِ فَأَثَرْتُ ثَعْلَبًا . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي طَلَبِهِ إِذْ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ : أَلِهٰذَا خُلِقْتَ أَمْ بِهٰذَا أُمِرْتَ . فَفَزِعْتُ وَوَقَفْتُ . ثُمَّ عُدْتُ فَرَكَضْتُ ٱلثَّانِيَةَ

فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَفَكَّرْتُ بِنَفْسِي : لاَ وَٱللهِ مَا لِهٰذَا خُلِقْتُ وَلاَ بِهٰذَا أُمِرْتُ. ثُمَّ نَزَلْتُ وَصَادَفْتُ رَاعِيًا لِأَبِي فَأَخَذْتُ مِنْهُ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ . فَلَبِسْتُهَا وَأَعْطَيْتُهُ ٱلْفَرَسَ وَمَا كَانَ مَعِي ثُمَّ دَخَلْتُ ٱلْبَادِيَةَ (للشريشي)

١٧ قَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ : مَنْ يَبِيعُ ٱلآخِرَةَ بِٱلدُّنْيَا يَخْسَرُهُمَا جَمِيعًا

(للثعالبي)

١٨ قِيلَ : إِنَّ مِثَالَ ٱلدُّنْيَا كَمُسَافِرِ طَرِيقٍ . أَوَّلُهُ ٱلْمَهْدُ وَآخِرُهُ ٱللَّحْدُ . وَفِيمَا بَيْنَهُمَا مَنَازِلُ مَعْدُودَةٌ . وَإِنَّ كُلَّ سَنَةٍ كَمَنْزِلَةٍ . وَكُلَّ شَهْرٍ كَفَرْسَخٍ . وَكُلَّ يَوْمٍ كَمِيلٍ . وَكُلَّ نَفَسٍ كَخُطْوَةٍ . وَهُوَ يَسِيرُ دَائِمًا . فَيَبْقَى لِوَاحِدٍ مِنْ طَرِيقِهِ فَرْسَخٌ . وَلِآخَرَ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ

(للغزالي)

١٩ قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلْخَلِيلُ : ٱلدُّنْيَا أَمَدٌ وَٱلآخِرَةُ أَبَدٌ . وَقَالَ أَيْضًا : ٱلدُّنْيَا أَضْدَادٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَأَشْبَاهٌ مُتَبَايِنَةٌ وَأَقَارِبُ مُتَبَاعِدَةٌ وَأَبَاعِدُ مُتَقَارِبَةٌ (للشريشي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا فَنَاءٌ ... لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثُبُوتْ

إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا كَبَيْتٍ ... نَسَجَتْهُ ٱلْعَنْكَبُوتْ

كُلُّ مَا فِيهَا لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ سَيَفُوتْ
وَلَقَدْ يَكْفِيكَ مِنْهَا أَيُّهَا ٱلْعَاقِلُ قُوتْ

٢٠ قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

فَلَوْ كَانَ هَوْلُ ٱلْمَوْتِ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ لَهَانَ عَلَيْنَا ٱلْأَمْرُ وَٱحْتُقِرَ ٱلْأَمْرُ
وَلٰكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ وَنَارٌ وَمَا قَدْ يَسْتَطِيلُ بِهِ ٱلْخَبَرُ

٢١ سُئِلَ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : مَنِ ٱلَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ . فَقَالَ : ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ (للمستعصمي)

قَالَ ٱلْمَيْدَانِيُّ :

أَلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلضَّيْفِ أَوْ كَٱلطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَهْ
وَأَخُو ٱلْحِجَا فِي سَائِرِ ٱلْـ أَحْوَالِ مُرْتَقِبٌ حِمَامَهُ
وَٱلْجَاهِلُ ٱلْمُغْتَرُّ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱلتَّقْوَى ٱغْتِنَامَهُ

الحجاج والاعرابيّ

٢٢ خَرَجَ ٱلْحَجَّاجُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَصْحَرَ وَحَضَرَ غَدَاؤُهُ . فَقَالَ : أُطْلُبُوا مَنْ يَتَغَدَّى مَعَنَا . فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَعْرَابِيًّا فِي شَمْلَةٍ فَأَتَوْهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ : هَلُمَّ . قَالَ لَهُ : قَدْ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ . قَالَ : ٱللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَانِي إِلَى ٱلصِّيَامِ فَأَنَا صَائِمٌ . قَالَ . صَوْمٌ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ عَلَى حَرٍّ . قَالَ : صُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَحَرُّ مِنْهُ . قَالَ : فَأَفْطِرِ ٱلْيَوْمَ وَتَصُومُ غَدًا . قَالَ : أَوَيَضْمَنُ لِيَ

ٱلأَمِيرُ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ. قَالَ : لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِآجِلٍ لَيْسَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ . قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : وَٱللّٰهِ مَا طَيَّبَهُ خَبَّازُكَ وَلَا طَبَّاخُكَ وَلٰكِنْ طَيَّبَتْهُ ٱلْعَافِيَةُ . قَالَ ٱلْحَجَّاجُ : تَاللّٰهِ مَا رَأَيْتُ كَٱلْيَوْمِ (لابن عبد ربه)

وصف الدنيا

٢٣ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلدُّنْيَا كَٱلْمَاءِ ٱلْمَالِحِ كُلَّمَا ٱزْدَادَ صَاحِبُهُ شُرْبًا ٱزْدَادَ عَطَشًا . وَكَٱلْكَأْسِ مِنَ ٱلْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ ٱلسُّمُّ فَلِلذَّائِقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ ٱلْمَوْتُ ٱلذُّعَافُ . وَكَأَحْلَامِ ٱلنَّائِمِ ٱلَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ ٱنْقَطَعَ ٱلْفَرَحُ . وَكَٱلْبَرْقِ ٱلَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي ٱلظَّلَامِ مُقِيمًا . وَكَدُودَةِ ٱلْأَبْرِيسَمِ ٱلَّتِي لَا تَزْدَادُ ٱلْإِبْرِيسَمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا إِلَّا ٱزْدَادَتْ مِنَ ٱلْخُرُوجِ بُعْدًا . وَفِيهِ قِيلَ :

كَدُودٍ كَدُودِ ٱلْقَزِّ يَنْسُجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسْطَ مَا هُوَ نَاسِجُهْ

٢٤ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سُلَيْمَانَ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ لَمْسُهَا وَيَقْتُلُ سُمُّهَا . فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا . وَدَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا . وَكُنْ أَسَرَّ مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذَرَ مَا تَكْرَهُ مِنْهَا . فَإِنَّ صَاحِبَهَا

كُلَّمَا ٱطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَ مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ

وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

هِيَ ٱلدَّارُ دَارُ ٱلْأَذَى وَٱلْقَذَى ... وَدَارُ ٱلْغُرُورِ وَدَارُ ٱلْغِيَرْ

فَلَوْ نِلْتَهَا بِحَذَافِيرِهَا ... لَمُتَّ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا ٱلْوَطَرْ

أَيَا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ ٱلْحَيَاةِ ... وَطُولُ ٱلْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرْ

إِذَا مَا كَبِرْتَ وَبَانَ ٱلشَّبَابُ ... فَلَا خَيْرَ فِي ٱلْعَيْشِ بَعْدَ ٱلْكِبَرْ

٢٥ لَمَّا بَنَى ٱلْمَأْمُونُ بْنُ ذِي ٱلنُّونِ وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَنْدَلُس قَصْرَهُ وَأَنْفَقَ فِي بِنَائِهِ بُيُوتَ أَمْوَالِهِ جَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِي ٱلْأَرْضِ. وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فِيهِ بِرْكَةَ مَاءٍ كَأَنَّهَا بُحَيْرَةٌ. وَبَنَى فِي وَسَطِهَا قُبَّةً وَسِيقَ ٱلْمَاءُ مِنْ تَحْتِ ٱلْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ ٱلْقُبَّةِ عَلَى تَدْبِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ ٱلْمُهَنْدِسُونَ. وَكَانَ ٱلْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى ٱلْقُبَّةِ حَوَالَيْهَا مُحِيطًا بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. فَكَانَتِ ٱلْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا يَفْتُرُ وَٱلْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا. فَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ :

أَتَبْنِي بِنَاءَ ٱلْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا ... مُقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ

لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ ٱلْأَرَاكِ كِفَايَةٌ ... لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ

فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (للطرطوشي)

ذكر الموت

٢٦ كَانَ فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ مِمَّا يَلِي أَرْضَ ٱلأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدْ بَلَغَ فِي ٱلتَّخَلِّي مِنَ ٱلدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا. وَٱعْتَزَلَ ٱلْخَلْقَ وَلَزِمَ قُلَلَ ٱلْجِبَالِ وَٱلسِّيَاحَةَ فِي ٱلأَرْضِ إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى. فَوَرَدَ عَلَى ٱلْمُسْتَعِينِ بْنِ هُودٍ فِي بَعْضِ ٱلأَمْرِ فَأَكْرَمَهُ ٱبْنُ هُودٍ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ ٱلْبَيْضَاءِ وَٱلْحَمْرَاءِ وَأَحْجَارِ ٱلْيَاقُوتِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَفَائِسِ ٱلاعْلَاقِ وَٱلْجَوَارِي وَٱلْحَشَمِ وَالأَجْنَادِ وَٱلْكُرَاعِ وَٱلسِّلَاحِ. فَأَقَامَ عَلَى ذٰلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا ٱنْقَضَى قَالَ لَهُ: كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي. قَالَ: رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلٰكِنَّهُ تُعْوِزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ ٱنْتِظَامُ مُلْكِكَ. وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهٰذَا ٱلْمُلْكُ شِبْهُ لَا شَيْءٍ. قَالَ: وَمَا هِيَ ٱلْخَصْلَةُ. قَالَ: تَعْمِدُ فَتَصْنَعُ غِطَاءً عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدْرَ ٱلْبَلَدِ. ثُمَّ تُرْكِبُهُ عَلَى ٱلْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ مَدْخَلًا إِلَيْكَ. فَقَالَ ٱلْمُسْتَعِينُ: سُبْحَانَ ٱللهِ أَوَيَقْدِرُ ٱلْبَشَرُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا. فَقَالَ ٱلْعِلْجُ: يَا هٰذَا أَتَفْتَخِرُ بِأَمْرٍ تَتْرُكُهُ غَدًا. وَمِثَالُ مَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ فِي ٱلنَّوْمِ

(سراج الملوك للطرطوشي)

٢٧ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

نَحْنُ بَنُو ٱلْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي ٱلضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مِيتَةَ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَأَرَى ٱلطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهٍ أَتَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِٱلدَّاءِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ ٱلْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي جَلَبَ ٱلدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ ٱشْتَرَى

قَالَ ٱبْنُ ٱلْعَرَبِيِّ وَتَذَكَّرَ ٱلْأَحِبَّةَ فِي الْقُبُورِ :

ضَمَّتْ لَنَا آرَامُنَا ٱلْآرَامَا فَكَأَنَّ ذَاكَ ٱلْعَيْشَ كَانَ مَنَامَا
يَا وَاقِفِينَ عَلَى ٱلْقُبُورِ تَعَجَّبُوا مِنْ قَائِمِينَ كَيْفَ صَارُوا نِيَامَا
تَحْتَ ٱلتُّرَابِ مُوَسَّدِينَ أَكُفَّهُمْ قَدْ عَايَنُوا ٱلْحَسَنَاتِ وَالْآثَامَا
لَا يُوقَظُونَ فَيُخْبِرُونَ بِمَا رَأَوْا لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ قِيَامَا

وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ :

قِفْ وَاعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا بِي قَدْ جَرَى
بِٱلْأَمْسِ كُنْتُ نَظِيرَكُمْ وَٱلْيَوْمَ أَبْرَانِي ٱلْبَرَى
قُلْ رَبَّنَا أَلْطِفْ بِنَا وَٱرْحَمْ عِظَامًا فِي ٱلثَّرَى

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

تَعَلَّقْتَ بِآمَالٍ طِوَالٍ أَيِّ آمَالِ
وَأَقْبَلْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُلِحًّا أَيَّ إِقْبَالِ

أَيَا هٰذَا تَجَهَّزْ لِـــفِرَاقِ ٱلأَهْلِ وَٱلْمَالِ
فَلَا بُدَّ مِنَ ٱلْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنَ ٱلْحَالِ

٢٨ قَالَ ٱلأَصْمَعِيُّ: صَنَعَ ٱلرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ وَقَالَ لَهُ: صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا. فَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ ٱلْقُصُورِ

فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ: أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا. فَقَالَ:

يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا ٱشْتَهَيْتَ لَدَى ٱلرَّوَاحِ أَوِ ٱلْبُكُورِ

فَقَالَ: حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا. فَقَالَ:

فَإِذَا ٱلنُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ ٱلصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فَبَكَى ٱلرَّشِيدُ. فَقَالَ ٱلْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى: بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِتَسُرَّهُ فَحَزَنْتَهُ. فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ: دَعْهُ فَإِنَّهُ رَآنَا فِي عَمًى فَكَرِهَ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْهُ (للفخري)

زهد النعمان بن امرىء القيس

٢٩ إِنَّ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ ٱلأَكْبَرِ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْخَوَرْنَقَ وَٱلسَّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْخَوَرْنَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسَّعَةِ وَنُفُوذِ ٱلأَمْرِ وَإِقْبَالِ ٱلْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ أُوتِيَ

أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هٰذَا ٱلَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزُلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسُرِرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ ٱلْمَهْرَبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ ٱللهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَحلَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجَلُكَ.قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَٱللهِ لَأَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا.فَٱنْخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ وَلَبِسَ ٱلْامْسَاحَ وَسَاحَ فِي ٱلْأَرْضِ . وَتَبِعَهُ ٱلْحَكِيمُ وَجَعَلَا يَسِيحَانِ وَيَعْبُدَانِ ٱللهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرْ رَبَّ ٱلْخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْـــرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـــلِكُ وَٱلْبَحْرُ مُعْرِضًا وَٱلسَّدِيرُ
فَٱرْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبْــطَةُ حَيٍّ إِلَى ٱلْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ ٱلْفَلَاحِ وَٱلْمُلْكِ وَٱلنِّعْـــمَةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ ٱلْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ م فَأَلْوَتْ بِهِ ٱلصَّبَا وَٱلدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

٣٠ - رُوِيَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ ٱلْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ

زَيْدٍ فَمَرَّا بِشَجَرَةٍ.فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ.أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هٰذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لاَ . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَآنَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ ... أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبِ زَوَالْ

فَصُرُوفُ ٱلدَّهْرِ لاَ تَبْقَى لَهَا ... وَلِمَا تَأْتِي بِهِ صُمُّ ٱلْجِبَالْ

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا ... يَشْرَبُونَ ٱلْخَمْرَ بِٱلْمَاءِ ٱلزُّلَالْ

وَٱلأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُدُمٌ ... وَجِيَادُ ٱلْخَيْلِ تَجْرِي بِٱلْجِلَالْ

عَمَرُوا ٱلدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ ... آمِنِي دَهْرِهِمِ غَيْرَ وِجَالْ

عَصَفَ ٱلدَّهْرُ بِهِمْ فَٱنْقَرَضُوا ... وَكَذَاكَ ٱلدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالْ

قَالَ : ثُمَّ جَاوَزَا ٱلشَّجَرَةَ فَمَرَّا بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هٰذِهِ ٱلْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لاَ . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱلْمُخِبُّونَ ... عَلَى ٱلأَرْضِ ٱلْمُجِدُّونَ

كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا ... كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

فَقَالَ ٱلنُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلشَّجَرَةَ وَٱلْمَقْبَرَةَ لاَ تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَتِي فَجَزَاكَ ٱللّٰهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا ٱلسَّبِيلُ ٱلَّذِي تُدْرَكُ بِهِ ٱلنَّجَاةُ . قَالَ : أَنْ تَدَعَ عِبَادَةَ ٱلْأَوْثَانِ وَتَعْبُدَ ٱللّٰهَ وَحْدَهُ قَالَ : وَفِي هٰذَا ٱلنَّجَاةُ . قَالَ : نَعَمْ . (قَالَ) فَتَرَكَ عِبَادَةَ ٱلْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حِينَئِذٍ وَأَخَذَ فِي ٱلْعِبَادَةِ وَٱلِاجْتِهَادِ (للطرطوشي)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٣١ قَالَ ٱلشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُؤَانَسَةٌ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ. فَقَالَ: أَعْبُدُ ٱللّٰهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ. وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ. وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ. لاَ تَبْلُغُ ٱلأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ. وَلاَ ٱلْعُقُولُ لُجَّ رَحْمَتِهِ. لَهُ ٱلشُّكْرُ عَلَى مَا نَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ ٱلَّتِي صَحَّتْ بِهَا ٱلأَبْصَارُ. وَوَعَتْ بِهَا ٱلأَسْمَاعُ. وَنَطَقَتْ بِهَا ٱلأَلْسُنُ. وَسَكَنَتْ بِهَا ٱلْعُرُوقُ وَٱمْتَزَجَتْ بِهَا ٱلطَّبَائِعُ. فَقُلْتُ: يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ ٱلْحِكْمَةِ. فَقَالَ: خَوْفُ ٱللّٰهِ. فَقُلْتُ: وَمَا أَكْمَلُ ٱلْعَقْلِ. قَالَ: مَعْرِفَةُ ٱلإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ. قُلْتُ: مَا يُعِينُ عَلَى ٱلتَّخَلُّصِ مِنَ ٱلدُّنْيَا. قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ ٱنْقِضَاءَ أَمَلِكَ. فَقُلْتُ. وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ نَفْسَكَ فِي هٰذِهِ ٱلصَّوْمَعَةِ. فَقَالَ: لِأَحْبِسَ هٰذَا ٱلسَّبُعَ عَنِ ٱلنَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ). قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ. قَالَ: مِنْ تَدْبِيرِ ٱللَّطِيفِ ٱلْخَبِيرِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلرَّحَى وَهُوَ يَأْتِيهَا بِٱلطَّحِينِ. قُلْتُ. لِمَ لاَ تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتُخَالِطُنَا. فَقَالَ: لأَنَّ ٱلأَشْيَاءَ ٱلْمُوْبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَٱلسَّلاَمَةَ مِنْ ذٰلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي ٱلْوَحْدَةِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى ٱلْوَحْدَةِ. فَقَالَ: لَوْ ذُقْتَ حَلاَوَةَ ٱلْوَحْدَةِ لَٱسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ. قُلْتُ: كَيْفَ

لَبِسْتَ ٱلسَّوَادَ . فَقَالَ : لِأَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَبِسْتُ ٱلسَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذَكُّرُ ٱلْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرِفُ طَرْفَةَ عَيْنٍ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي مُتُّ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ ٱلنُّقْلَةَ مِنَ ٱلْعُمْرَانِ إِلَى ٱلْخَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ :

أَبْلَغُ ٱلْعِظَاتِ ٱلنَّظَرُ إِلَى مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ . وَفِي قُرْبِ ٱلسَّاعَاتِ وَٱلْآجَالِ . وَإِنْ شَيَّعْتَ جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ ٱلْمَحْمُولُ مِثْلَ ذٰلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ . وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ . يُحْسِنِ ٱللّٰهُ عَلَانِيَتَكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ ٱللّٰهَ أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ ٱللّٰهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَٱطْلُبِ ٱلْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِلتَّبَاهِي بِهِ أَوْ لِتُمَارِيَ بِهِ ٱلسُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ وَٱلْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَٱلْهَرَبَ ٱلْهَرَبَ مِمَّنْ يَمْدَحُ ٱلْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ ٱلسَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ ٱلْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتَهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسْ مَنْ يُشْغِلُكَ بِٱلْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ ٱلْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هٰذِهِ ٱلْغُمُومِ . وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ وَيَنْقَلِبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ

وَلِبَاسِكَ بِٱلْعُظَمَاءِ وَلاَ فِي مَشْيِكَ بِٱلْجَبَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ شَرُّهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ ٱللّٰهُ ٱبْتَلاَهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ . وَإِذَا ٱعْتَلَلْتَ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ ٱللّٰهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَٱلنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي ٱلْقُلُوبِ ٱلضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْمُحِبِّينَ . وَٱنْظُرْ مَا ٱسْتَحْسَنْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَٱمْتَثِلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتَجَنَّبْهُ . وَٱرْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ ٱلْوِصَالِ وَٱلصَّلاَحِ فِي ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا . وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ ٱللّٰهَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ ٱلسَّلاَمَ

ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى صَلاَتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلٰهَنَا تَقَدَّسَ ٱسْمُكَ يَأْتِي مَلَكُوتُكَ . تَكُونُ مَشِيئَتُكَ فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى ٱلأَرْضِ . ٱرْزُقْنَا ٱلْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ . ٱغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآثَامَنَا . وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي ٱلتَّجَارِبِ وَخَلِّصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ لِنُسَبِّحَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُمَجِّدَكَ إِلَى دَهْرِ ٱلدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ أَيْضًا : ٱللّٰهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَعَظَمَتِكَ . ٱللّٰهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا . فَصُنْعُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . ٱللّٰهُمَّ ٱجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنَعْمَائِكَ حَتَّى تَشْتَغِلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِئَ قُلُوبُنَا . ٱللّٰهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ سُخْطِكَ وَنَبْتَغِيَ طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . ٱللّٰهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي

لَكَ ٱلْعِزُّ وَٱلسُّلْطَانُ وَٱلْقُدْرَةُ . قَالَ ٱلشَّيْخُ : فَٱسْتَحْسَنْتُ ذٰلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَنَا وَٱنْصَرَفْتُ وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

الباب الثانى

فِي ٱلأَمْثَالِ عَنْ أَلْسِنَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ

كِلَابٌ وثَعْلَبٌ

٣٢ كِلَابٌ مَرَّةً أَصَابُوا جِلْدَ سَبُعٍ . فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَنْهَشُونَهُ . فَبَصُرَ بِهِمِ ٱلثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُمْ : أَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَرَأَيْتُمْ مَخَالِبَهُ أَنْيَابِكُمْ وَأَطْوَلَ (مَغْزَاهُ) ٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلشَّمَاتَةِ بِٱلْمَوْتَى

أَلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ

٣٣ أَلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي ٱلْمَعِيشَةِ . فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ . فَمَرَّ بِهِمَا ٱلصَّيَّادُونَ يَوْمًا . فَمَا كَانَ مِنَ ٱلْخُطَّافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلِمَ . فَأَمَّا ٱلْوَزُّ فَأُدْرِكَ وَذُبِحَ (مَغْزَاهُ) مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ أَحَاقَ بِهِ ٱلسُّوءُ

قِطٌّ

٣٤ قِطٌّ مَرَّةً دَخَلَ دُكَّانَ حَدَّادٍ . فَأَصَابَ ٱلْمِبْرَدَ . فَأَقْبَلَ يَلْحَسُهُ بِلِسَانِهِ وَٱلدَّمُ يَسِيلُ مِنْهُ وَهُوَ يَبْلَعُهُ وَيَظُنُّهُ مِنَ ٱلْمِبْرَدِ إِلَى أَنْ فَنِيَ

لِسَانَهُ فَمَاتَ (مَغْزَاهُ) أَنَّ ٱلْجَاهِلَ لَا يُفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ مَا دَامَ ٱلطَّمَعُ غَالِبًا عَلَيْهِ

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

٣٥ صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ ٱلْجَرَادَ. فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً. فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ ٱلْجَرَادِ (مَغْزَاهُ) أَنَّ سَبِيلَ ٱلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ. وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَتِهِ

اَلنُّمُوسُ وَٱلدَّجَاجُ

٣٦ بَلَغَ ٱلنُّمُوسَ أَنَّ ٱلدَّجَاجَ قَدْ مَرِضُوا. فَلَبِسُوا جُلُودَ طَوَاوِيسَ وَأَتَوْا لِيَزُورُوهُمْ. فَقَالُوا لَهُمْ: اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلدَّجَاجُ. كَيْفَ أَنْتُمْ وَكَيْفَ أَحْوَالُكُمْ. فَقَالُوا: إِنَّا بِخَيْرٍ يَوْمَ لَا نَرَى وُجُوهَكُمْ (مَغْزَاهُ) أَنَّ كَثِيرًا يُظْهِرُونَ ٱلْمَحَبَّةَ وَيُبْطِنُونَ ٱلْبَغْضَاءَ

إِنْسَانٌ وَصَنَمٌ

٣٧ إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ صَنَمٌ فِي بَيْتِهِ يَعْبُدُهُ وَيَذْبَحُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ ذَبِيحَةً حَتَّى أَفْنَى عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ. فَشَخَصَ لَهُ ٱلصَّنَمُ أَخِيرًا وَقَالَ لَهُ: لَا تُفْنِ مَالَكَ عَلَيَّ ثُمَّ تَلُمْنِي عِنْدَ إِلٰهٍ آخَرَ (مَغْزَاهُ) يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُنْفِقَ مَالَهُ فِي ٱلْخَطِيئَةِ ثُمَّ يَحْتَجَّ أَنَّ ٱللّٰهَ أَفْقَرَهُ

إِنْسَانٌ وَٱلْمَوْتُ

٣٨ إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ جُرْزَةَ حَطَبٍ . فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَعْيَا وَضَجِرَ مِنْ حَمْلِهَا رَمَى بِهَا عَنْ كَتِفِهِ وَدَعَا عَلَى رُوحِهِ بِٱلْمَوْتِ . فَشَخَصَ لَهُ ٱلْمَوْتُ قَائِلاً : هَا أَنَا ذَا . لِمَ دَعَوْتَنِي . فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْسَانُ : دَعَوْتُكَ لِتُحَوِّلَ هٰذِهِ جُرْزَةَ ٱلْحَطَبِ عَلَى كَتِفِي (مَغْزَاهُ) أَنَّ ٱلْعَالَمَ بِأَسْرِهِ يُحِبُّ ٱلدُّنْيَا وَإِنَّمَا يَمَلُّ مِنَ ٱلضُّعْفِ وَٱلشَّقَاءِ (للقمان)

قِطَّتَانِ وَقِرْدٌ

٣٩ قِطَّتَانِ ٱخْتَطَفَتَا جُبْنَةً وَذَهَبَتَا بِهَا إِلَى ٱلْقِرْدِ لِكَيْ يَقْسِمَهَا بَيْنَهُمَا . فَقَسَمَهَا إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ ٱلْآخَرِ وَوَضَعَهُمَا فِي مِيزَانِهِ . فَرَجَحَ ٱلْأَكْبَرُ . فَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِأَسْنَانِهِ وَهُوَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُسَاوَاتَهُ بِٱلْأَصْغَرِ . وَلٰكِنْ إِذْ كَانَ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ هُوَ أَكْثَرَ مِنَ ٱللَّازِمِ رَجَحَ ٱلْأَصْغَرُ . فَفَعَلَ بِهٰذَا مَا فَعَلَهُ بِذَاكَ ثُمَّ فَعَلَ بِذَاكَ مَا فَعَلَهُ بِهٰذَا حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ بِٱلْجُبْنَةِ . فَقَالَتْ لَهُ ٱلْقِطَّتَانِ : نَحْنُ رَضِينَا بِهٰذِهِ ٱلْقِسْمَةِ فَأَعْطِنَا ٱلْجُبْنَةَ . فَقَالَ : إِذَا كُنْتُمَا أَنْتُمَا رَضِيتُمَا فَإِنَّ ٱلْعَدْلَ لَا يَرْضَى . وَمَا زَالَ يَقْضَمُ ٱلْقِسْمَ ٱلرَّاجِحَ مِنْهُمَا كَذٰلِكَ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمَا جَمِيعًا . فَرَجَعَتِ ٱلْقِطَّتَانِ بِحُزْنٍ وَخَيْبَةٍ وَهُمَا تَقُولَانِ :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ ٱللّٰهِ فَوْقَهَا ‌ ‌ ‌ ‌ وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ

صَائِدٌ وَعُصْفُورٌ

٤٠ كَانَ صَائِدٌ يَصِيدُ ٱلْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ. فَكَانَ يَذْبَحُهَا وَٱلدُّمُوعُ تَسِيلُ. فَقَالَ عُصْفُورٌ لِصَاحِبِهِ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنَ ٱلرَّجُلِ أَمَا تَرَاهُ يَبْكِي. فَقَالَ لَهُ ٱلْآخَرُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى دُمُوعِهِ بَلْ إِلَى مَا تَصْنَعُ يَدَاهُ (للشريشي)

أَسْوَدُ

٤١ أَسْوَدُ فِي فَصْلِ ٱلشِّتَاءِ أَقْبَلَ يَأْخُذُ ٱلثَّلْجَ وَيَفْرُكُ بِهِ بَدَنَهُ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا ذٰلِكَ. فَقَالَ لَعَلِّي أَبْيَضُّ. فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ: يَا هٰذَا لَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ فَرُبَّمَا أَسْوَدَّ ٱلثَّلْجُ مِنْ جِسْمِكَ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ (مَعْنَاهُ) أَنَّ ٱلشِّرِّيرَ يَقْدِرُ أَنْ يُفْسِدَ ٱلْخَيْرَ وَقَلِيلًا مَا يُصْلِحُهُ ٱلْخَيْرُ (للقمان)

ثَعْلَبٌ وَطَبْلٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَسْتَكْبِرُ ٱلشَّيْءَ حَتَّى يُجَرِّبَهُ فَيَسْتَصْغِرُهُ .

٤٢ زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجَمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ. وَكُلَّمَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ ٱلشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا فَضَرَبَتِ ٱلطَّبْلَ فَسَمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ. فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِمَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَجَدَهُ ضَخْمًا فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ٱلشَّحْمِ وَٱللَّحْمِ فَعَالَجَهُ

حَتَّى شَقَّهُ. فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لاَ شَيْءَ فِيهِ قَالَ: لاَ أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ الأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا صَوْتًا وَأَعْظَمُهَا جُثَّةً

أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ وَذِئْبٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنِ ٱتَّعَظَ بِغَيْرِهِ وَٱعْتَبَرَ بِهِ

٤٣ أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ وَذِئْبٌ ٱصْطَحَبُوا فَخَرَجُوا يَتَصَيَّدُونَ. فَصَادُوا حِمَارًا وَأَرْنَبًا وَظَبْيًا. فَقَالَ ٱلأَسَدُ لِلذِّئْبِ: ٱقْسِمْ بَيْنَنَا. فَقَالَ ٱلأَمْرُ بَيِّنٌ. ٱلْحِمَارُ لِلأَسَدِ وَٱلأَرْنَبُ لِلثَّعْلَبِ وَٱلظَّبْيُ لِي. فَخَبَطَهُ ٱلأَسَدُ فَأَطَاحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ٱلثَّعْلَبِ وَقَالَ: مَا كَانَ أَجْهَلَ صَاحِبَكَ بِٱلْقِسْمَةِ هَاتِ أَنْتَ. فَقَالَ: يَا أَبَا ٱلْحَارِثِ ٱلأَمْرُ وَاضِحٌ. ٱلْحِمَارُ لِغَدَائِكَ وَٱلظَّبْيُ لِعَشَائِكَ وَتَخَلَّلْ بِٱلأَرْنَبِ فِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُ ٱلأَسَدُ. مَا أَقْضَاكَ. مَنْ عَلَّمَكَ هٰذَا ٱلْفِقْهَ. فَقَالَ: رَأْسُ ٱلذِّئْبِ ٱلطَّائِرُ مِنْ جُثَّتِهِ (للقليوبي)

فَارَةُ ٱلْبَيْتِ وَفَارَةُ ٱلصَّحْرَاءِ

٤٤ قِيلَ إِنَّ فَارَةَ ٱلْبُيُوتِ رَأَتْ فَارَةَ ٱلصَّحْرَاءِ فِي شِدَّةٍ وَمِحْنَةٍ فَقَالَتْ لَهَا: مَا تَصْنَعِينَ هٰهُنَا ٱذْهَبِي مَعِي إِلَى ٱلْبُيُوتِ ٱلَّتِي فِيهَا أَنْوَاعُ ٱلنَّعِيمِ وَٱلْخِصْبِ. فَذَهَبَتْ مَعَهَا. وَإِذَا صَاحِبُ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ قَدْ هَيَّأَ لَهَا ٱلرَّصَدَ لَبِنَةً تَحْتَهَا شَحْمَةٌ. فَٱقْتَحَمَتْ لِتَأْخُذَ

ٱلشَّحْمَةَ فوَقعتْ عليْهَا ٱللَّبِنَةُ فحطَّمَتْهَا. فهَرَبتِ ٱلفَارَةُ ٱلبَرِّيَّة وَهزَّتْ رَأْسهَا مُتَعجِّبَةً وَقالَتْ: أَرَى نِعْمَةً كَثِيرَةً وَبلاءً شَدِيدًا. إِنَّ ٱلْعَافِيَةَ وَٱلفقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ غِنًى يَكُونُ فِيهِ ٱلْمَوْتُ. ثُمَّ فَرَّتْ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ (للابشيهي)

خُنْفُسَةٌ وَنَحْلَةٌ

٤٥ خُنْفُسَةٌ قَالَتْ مَرَّةً لِنَحْلَةٍ: لَوْ أَخَذْتِنِي مَعَكِ لَعَسَّلْتُ مِثْلَكِ وَأَكْثَرَ. فَاجَابَتْهَا النَّحْلَةُ إِلَى ذٰلِكَ. فَلَمَّا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى وَفَاءِ مَا قَالَتْ ضَرَبَتْهَا ٱلنَّحْلَةُ بِحُمَتِهَا. وَفِيمَا هِيَ تَمُوتُ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: لَقَدِ ٱسْتَوْجَبْتُ مَا نَالَنِي مِنَ ٱلسُّوءِ. فَإِنِّي لَا أُحْسِنُ ٱلزِّفْتَ فَكَيْفَ ٱلْعَسَلَ (مَغْزَاهُ) أَنَّ أُنَاسًا كَثِيرِينَ يَدَّعُونَ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُمْ فَتَنْفَضِحُ عَاقِبَتُهُمْ (للقمان)

أَلْخِنْزِيرُ وَٱلْأَتَانُ

٤٦ كَانَ عِنْدَ رُومِيٍّ خِنْزِيرٌ فَرَبَطَهُ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ وَوَضَعَ ٱلْعَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُسَمِّنَهُ. وَكَانَ بِجَنْبِهِ أَتَانٌ لَهَا جَحْشٌ. وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْجَحْشُ يَلْتَقِطُ مِنَ ٱلْعَلَفِ مَا يَتَنَاثَرُ فَقَالَ لِأُمِّهِ: يَا أُمَّاهُ مَا أَطْيَبَ هٰذَا ٱلْعَلَفَ لَوْ دَامَ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا بُنَيَّ لَا تَقْرَبْهُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ ٱلطَّامَّةَ ٱلْكُبْرَى. فَلَمَّا أَرَادَ ٱلرُّومِيُّ أَنْ يَذْبَحَ ٱلْخِنْزِيرَ وَوَضَعَ ٱلسِّكِّينَ عَلَى حَلْقِهِ جَعَلَ

بَضْطَرِبُ وَيَنفَجُ . فَهَرَبَ ٱلْجَحْشُ وَأَتَى إِلَى أُمِّهِ وَأَخْرَجَ لَهَا أَسْنَانَهُ وَقَالَ : وَيْحَكِ يَا أُمَّاهُ ٱنظُرِي هَلْ بَقِيَ فِي خِلَالِ أَسْنَانِي شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْعَلَفِ فَٱقْلَعِيهِ . فَمَا أَحْسَنَ ٱلْقَنَعَ مَعَ ٱلسَّلَامَةِ (للابشيهي)

كَلْبٌ وَشُوحَةٌ

٤٧ كَلْبٌ مَرَّةً خَطِفَ بِضْعَةَ لَحْمٍ مِنَ ٱلْمَسْلَخِ وَنَزَلَ يَخُوضُ فِي ٱلنَّهْرِ . فَنَظَرَ ظِلَّهَا فِي ٱلْمَاءِ وَإِذَا هِيَ أَكْبَرُ مِنَ ٱلَّتِي مَعَهُ . فَرَمَى ٱلَّتِي مَعَهُ فَٱنحَدَرَتْ شُوحَةٌ فَأَخَذَتْهَا . وَجَعَلَ ٱلْكَلْبُ يَجْرِي فِي طَلَبِ ٱلْكَبِيرَةِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . فَرَجَعَ فِي طَلَبِ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُ فَلَمْ يُصِبْهَا . فَقَالَ : وَيْحِي أَنَا ٱلَّذِي أَلْقَيْتُ نَفْسِي فِي ٱلْغُرُورِ . لِأَنِّي ضَيَّعْتُ مَا كَانَ تَحْتَ يَدِي . وَسَعَيْتُ فِي طَلَبِ مَا لَيْسَ هُوَ تَحْتَ يَدِي وَلَا يَصْلُحُ لِي (مَغْزَاهُ) لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا قَلِيلًا مَوجُودًا وَيَطْلُبَ شَيْئًا كَثِيرًا مَفْقُودًا

أَرَانِبُ وَثَعَالِبُ

٤٨ أَلنُّسُورُ مَرَّةً وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الأَرَانِبِ حَرْبٌ . فَمَضَتِ الأَرَانِبُ إِلَى الثَّعَالِبِ يَسُومُونَ مِنْهُمُ الْحِلْفَ وَالْمُعَاضَدَةَ عَلَى النُّسُورِ . فَقَالُوا لَهُمْ : لَوْلَا عَرَفْنَاكُمْ وَنَعْلَمُ لِمَنْ تُحَارِبُونَ لَفَعَلْنَا ذٰلِكَ (مَعْنَاهُ) أَنَّ سَبِيلَ الإِنْسَانِ أَلَّا يُحَارِبَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ بَأْسًا مِنْهُ

غَزَالٌ وَثَعْلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَجَاءَ إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ وَكَانَ الْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا حَاوَلَ الطُّلُوعَ لَمْ يَقْدِرْ فَنَظَرَهُ الثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ : أَسَأْتَ فِي فِعْلِكَ إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ طُلُوعَكَ قَبْلَ نُزُولِكَ

أَسَدٌ وَثَوْرٌ

٥٠ أَسَدٌ مَرَّةً أَرَادَ أَنْ يَفْتَرِسَ ثَوْرًا فَلَمْ يَجْسُرْ عَلَيْهِ لِشِدَّتِهِ . فَمَضَى إِلَيْهِ مُتَمَلِّقًا قَائِلًا . قَدْ ذَبَحْتُ خَرُوفًا سَمِينًا وَأَشْتَهِي أَنْ تَأْكُلَ عِنْدِي هٰذِهِ اللَّيْلَةَ مِنْهُ . فَأَجَابَ الثَّوْرُ إِلَى ذٰلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْعَرِينِ وَنَظَرَهُ فَإِذَا الْأَسَدُ قَدْ أَعَدَّ حَطَبًا كَثِيرًا وَخَلَاقِينَ كِبَارًا فَوَلَّى هَارِبًا . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا لَكَ وَلَّيْتَ بَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَى هُنَا . فَقَالَ لَهُ الثَّوْرُ : لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ هٰذَا الْاسْتِعْدَادَ لِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْخَرُوفِ (مَعْنَاهُ) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يُصَدِّقَ عَدُوَّهُ (لقمان) .

كَلْبَانِ

٥١ كَلْبٌ مَرَّةً كَانَ فِي دَارِ أَصْحَابِهِ دَعْوَةٌ . فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيَ كَلْبًا آخَرَ . فَقَالَ لَهُ : اعْلَمْ أَنَّ عِنْدَنَا الْيَوْمَ دَعْوَةً . فَامْضِ بِنَا لِنَقْصِفَ الْيَوْمَ جَمِيعًا . فَمَضَى مَعَهُ . فَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَطْبَخِ . فَلَمَّا نَظَرَهُ الْخُدَّامُ قَبَضَ أَحَدُهُمْ عَلَى ذَنَبِهِ وَرَمَى بِهِ مِنَ الْحَائِطِ إِلَى خَارِجِ الدَّارِ

فَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ ٱنْتَفَضَ مِنَ ٱلتُّرَابِ فَرَآهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا أَيْنَ كُنْتَ ٱلْيَوْمَ . أَكُنْتَ تَقْصِفُ . فَإِنَّنَا نَرَاكَ خَرَجْتَ ٱلْيَوْمَ لاَ تَدْرِي كَيْفَ ٱلطَّرِيقُ (مَعْنَاهُ) أَنَّ كَثِيرِينَ يَتَطَفَّلُونَ فَيَخْرُجُونَ مَطْرُودِينَ بَعْدَ ٱلِٱسْتِخْفَافِ بِهِمْ وَٱلْهَوَانِ

نَاسِكٌ وَمُحْتَالُونَ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَدَّقَ ٱلْمَكْذُوبَ ٱلْمُحْتَالَ فَكَانَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ

٥٢ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا ٱشْتَرَى كَبْشًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا وَٱنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْمَكَرَةِ فَٱئْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنْهُ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : مَا هٰذَا ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي مَعَكَ . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ آخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هٰذَا نَاسِكًا لِأَنَّ ٱلنَّاسِكَ لاَ يَقُودُ كَلْبًا . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَهُ عَلَى هٰذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ ٱلَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَأَنَّ ٱلَّذِي بَاعَهُ لَهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ . فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلْمُحْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ (كليلة ودمنة)

إِنْسَانٌ وَأَسَدٌ وَدُبٌّ فِي بِئْرٍ

٥٣ حُكِيَ أَنَّ إِنْسَانًا هَرَبَ مِنْ أَسَدٍ فَوَقَعَ فِي بِئْرٍ . وَجَدَ فِيهِ دُبًّا ثُمَّ وَقَعَ بَعْدَهُمَا ٱلْأَسَدُ . فَقَالَ لِلدُّبِّ : كَمْ لَكَ هٰهُنَا . فَقَالَ لَهُ : مُنْذُ أَيَّامٍ وَقَدْ قَتَلَنِي ٱلْجُوعُ . فَقَالَ لَهُ : دَعْنَا نَأْكُلُ هٰذَا ٱلْإِنْسَانَ وَقَدْ

كَفِينَا ٱلْجُوعَ . فَقَالَ لَهُ : وَإِذَا عَاوَدَنَا ٱلْجُوعُ مَرَّةً أُخْرَى فَمَاذَا نَصْنَعُ . وَلَكِنِ ٱلْأَوْلَى أَنَّنَا نَحْلِفُ لَهُ أَنْ لَا نُؤْذِيَهُ فَيَحْتَالَ فِي خَلَاصِنَا لِأَنَّهُ أَقْدَرُ مِنَّا عَلَى ٱلْحِيلَةِ . فَحَلَفَا لَهُ فَٱحْتَالَ حَتَّى خَلَصَ وَخَلَّصَهُمَا . فَكَانَ نَظَرُ ٱلذِّئْبِ أَكْمَلَ مِنْ نَظَرِ ٱلْأَسَدِ (للقليوبي)

ثَعْلَبٌ وَضَبُعٌ

٥٤ حُكِيَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ ٱطَّلَعَ فِي بِئْرٍ وَهُوَ عَطِشٌ وَعَلَيْهَا رِشَاءٌ فِي طَرَفَيْهِ دَلْوَانِ . فَقَعَدَ فِي ٱلدَّلْوِ ٱلْعُلْيَا فَٱنْحَدَرَتْ فَشَرِبَ . فَجَاءَتِ ٱلضَّبُعُ فَاطَّلَعَتْ فِي ٱلْبِئْرِ فَأَبْصَرَتِ ٱلْقَمَرَ فِي ٱلْمَاءِ مُنْتَصِفًا وَٱلثَّعْلَبُ قَاعِدٌ فِي قَعْرِ ٱلْبِئْرِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تَصْنَعُ هٰهُنَا . فَقَالَ لَهَا : إِنِّي أَكَلْتُ نِصْفَ هٰذِهِ ٱلْجُبْنَةِ وَبَقِيَ نِصْفُهَا لَكِ فَٱنْزِلِي فَكُلِيهَا . فَقَالَتْ : وَكَيْفَ أَنْزِلُ . قَالَ : تَقْعُدِينَ فِي ٱلدَّلْوِ . فَقَعَدَتْ فِيهَا فَٱنْحَدَرَتْ وَٱرْتَفَعَ ٱلثَّعْلَبُ فِي ٱلدَّلْوِ ٱلْأُخْرَى . فَلَمَّا ٱلْتَقَيَا فِي وَسَطِ ٱلْبِئْرِ . قَالَتْ لَهُ : مَا هٰذَا . قَالَ : كَذَا ٱلنُّجَّارُ يَخْتَلِفُ . فَضَرَبَتِ ٱلْعَرَبُ بِهِمَا ٱلْمَثَلَ فِي ٱلْمُخْتَلِفَيْنِ

(للشريشي)

حِمَارٌ وَثَوْرٌ

٥٥ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ قَدْ أَبْطَرَتْهُ ٱلرَّاحَةُ وَثَوْرٌ قَدْ أَذَلَّهُ ٱلتَّعَبُ . فَشَكَا ٱلثَّوْرُ أَمْرَهُ يَوْمًا إِلَى ٱلْحِمَارِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ يَا أَخِي

أَنْ تَنْصَحَنِي بِمَا يُرِيحُنِي مِنْ تَعَبِي هٰذَا ٱلشَّدِيدِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ : تَمَارَضْ وَلَا تَأْكُلْ عَلَفَكَ فَإِذَا كَانَ ٱلصَّبَاحُ وَرَآكَ صَاحِبُنَا هٰكَذَا تَرَكَكَ وَلَمْ يَأْخُذْكَ لِلْحِرَاثَةِ فَتَسْتَرِيحَ . قَالُوا : وَكَانَ صَاحِبُهُمَا يَفْهَمُ بِلِسَانِ ٱلْحَيَوَانَاتِ فَفَهِمَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ ٱلْحَدِيثِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلثَّوْرَ أَخَذَ بِنَصِيحَةِ ٱلْحِمَارِ وَعَمِلَ بِمُوجِبِهَا . وَلَمَّا أَقْبَلَ ٱلصَّبَاحُ حَضَرَ صَاحِبُهُمَا فَرَأَى ٱلثَّوْرَ غَيْرَ آكِلٍ عَلَفَهُ فَتَرَكَهُ وَأَخَذَ ٱلْحِمَارَ بَدَلَهُ . وَحَرَثَ عَلَيْهِ كُلَّ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ تَعَبًا . فَنَدِمَ عَلَى نَصِيحَتِهِ لِلثَّوْرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ قَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي . فَقَالَ : بِخَيْرٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ ٱلْيَوْمَ مَا قَدْ هَالَنِي عَلَيْكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ : وَمَا ذَاكَ . قَالَ ٱلْحِمَارُ : سَمِعْتُ صَاحِبَنَا يَقُولُ إِذَا بَقِيَ ٱلثَّوْرُ هٰكَذَا مَرِيضًا يَجِبُ ذَبْحُهُ لِئَلَّا نَخْسَرَ ثَمَنَهُ . فَٱلرَّأْيُ ٱلْآنَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى عَادَتِكَ وَتَأْكُلَ عَلَفَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِكَ هٰذَا ٱلْأَمْرُ ٱلْعَظِيمُ . فَقَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ : صَدَقْتَ . وَقَامَ لِلْحَالِ إِلَى عَلَفِهِ فَأَكَلَهُ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ ضَحِكَ صَاحِبُهُمَا (مَغْزَاهُ) مَنْ كَانَ قَلِيلَ ٱلرَّأْيِ عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ (ألف ليلة وليلة)

الثعلب والدِّيك

٥٦ حُكِيَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ مَرَّ فِي ٱلسَّحَرِ بِشَجَرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَنْزِلُ نُصَلِّي جَمَاعَةً . فَقَالَ : إِنَّ ٱلْإِمَامَ نَائِمٌ خَلْفَ ٱلشَّجَرَةِ

فَأَيقظهُ . فَنظَرَ الثَّعْلَبُ فَرَأَى الْكَلْبَ وَوَلَّى هَارِبًا . فَنَادَاهُ الدِّيكُ : أَمَا تَأْتِي لِنُصَلِّيَ . فَقَالَ : قَدِ انْتَقَضَ وُضُوئِي فَاصْبِرْ حَتَّى أُجَدِّدَ لِي وُضُوءًا وَأَرْجِعَ

الأسد والثعلب والذئب النمّام

٥٧ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي آخرِ كِتَابِ الأَذْكِيَاءِ قَالَ : مَرِضَ الأَسَدُ فَعَادَتْهُ السِّبَاعُ وَالْوُحُوشُ مَا خَلاَ الثَّعْلَبَ فَنَمَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ . فَقَالَ الأَسَدُ : إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي . فَلَمَّا حَضَرَ الثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ الذِّئْبُ بِذَلِكَ . وَكَانَ قَدْ أُخْبِرَ بِمَا قَالَهُ الذِّئْبُ . فَقَالَ الأَسَدُ : أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا الفَوَارِسِ . فَقَالَ : كُنْتُ أَطْلُبُ لَكَ الدَّوَاءَ . قَالَ : وَأَيَّ شَيْءٍ أَصَبْتَهُ . قَالَ : قِيلَ لِي : خَرَزَةٌ فِي عُرْقُوبِ أَبِي جَعْدَةَ . قَالَ : فَضَرَبَ الأَسَدُ بِيَدِهِ فِي سَاقِ الذِّئْبِ فَأَدْمَاهُ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَخَرَجَ دَمُهُ يَسِيلُ عَلَى رِجْلِهِ . وَانْسَلَّ الثَّعْلَبُ . فَمَرَّ بِهِ الذِّئْبُ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ الْخُفِّ الأَحْمَرِ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَانْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنْكَ . فَإِنَّ الْمَجَالِسَ بِالأَمَانَاتِ

رَجُلٌ وَقُبَّرَةٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَكُونُ وَابِصَةَ سَمْعٍ يَنْخَدِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ

٥٨ رَجُلٌ صَادَ قُبَّرَةً . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي . قَالَ :

أَذْبَحُكِ وَآكُلُكِ . قَالَتْ : وَاللهِ إِنِّي لاَ أُسْمِنُ وَلاَ أُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وَلاَ أَشْفِي مِنْ قَرَمٍ . وَلَكِنِّي أُعَلِّمُكَ ثَلاَثَ خِصَالٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَكْلِي : أَمَّا الْوَاحِدَةُ فَأُعَلِّمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا عَلَى يَدِكَ . وَالثَّانِيَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى الشَّجَرَةِ . وَالثَّالِثَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى الْجَبَلِ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَتْ وَهِيَ عَلَى يَدِهِ : لاَ تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . فَخَلَّى عَنْهَا . فَلَمَّا صَارَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ قَالَتْ لَهُ : لاَ تُصَدِّقْ مَا لاَ يَكُونُ . فَلَمَّا صَارَتْ عَلَى الْجَبَلِ قَالَتْ : يَا شَقِيُّ لَوْ ذَبَحْتَنِي لَوَجَدْتَ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً وَزْنُهَا عِشْرُونَ مِثْقَالاً . قَالَ : فَعَضَّ عَلَى شَفَتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِي الثَّالِثَةَ قَالَتْ : قَدْ نَسِيتَ الثِّنْتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَكَيْفَ أُعَلِّمُكَ الثَّالِثَةَ . قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . قَالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لاَ تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . وَقَدْ تَأَسَّفْتَ عَلَيَّ وَأَنَا فُتُّكَ . وَقُلْتُ لَكَ : لاَ تُصَدِّقْ مَا لاَ يَكُونُ وَقَدْ صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَامِي وَلَحْمِي وَرِيشِي لَمْ يَبْلُغْ عِشْرِينَ مِثْقَالاً . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزْنُهَا كَذَلِكَ (للشريشي)

الكلب والطبل

٥٩ حُكِيَ أَنَّ كَلْبًا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ طَبْلٍ فِي مَكَانٍ يَذْهَبُ إِلَيْهِ وَيَظُنُّ أَنَّ فِيهِ عُرْسًا أَوْ وَلِيمَةً . فَعَمِلَ النَّاسُ حِيلَةً عَلَى ذَلِكَ الْكَلْبِ وَتَوَاطَؤُوا بِأَنْ يَضْرِبُوا الطَّبْلَ فِي قَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا

أَتَى ٱلْكَلْبُ إِلَى مَضْرِبِ ٱلطَّبْلِ يُسْكَتُ وَيُضْرَبُ فِي ٱلْقَرْيَةِ ٱلْأُخْرَى فَفَعَلُوا ذٰلِكَ . فَجَعَلَ ٱلْكَلْبُ يَجْرِي بَيْنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا جَاءَ قَرْيَةً مِنْهُمَا أَسْكَتُوا ٱلطَّبْلَ وَضُرِبَ فِي ٱلْقَرْيَةِ ٱلْاخْرَى . وَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى مَاتَ ٱلْكَلْبُ جَائِعًا عَطْشَانًا

(أَنيس الجليس للسُّيوطى)

الصيَّاد والصدفة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لا يُـمَيِّزُ بَيْنَ ٱلاُمُورِ

٦٠ حُكِيَ أَنَّ صَيَّادًا كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْخُلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ ٱلسَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ ٱلْمَاءِ صَدَفَةً تَتَلأْلأُ حُسْنًا . فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي ٱلْبَحْرِ فَٱشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي ٱلْمَاءِ لِيَأْخُذَ ٱلصَّدَفَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لاَ شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَٱجْتَازَ بِهَا بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالاً .

(كليلة ودمنة)

العُصفور والفخّ

٦١ حُكِيَ أَنَّ عُصفورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فقَالَ العُصفورُ : مَالي أَرَاكَ مُتَبَاعِدًا عَنِ الطَّرِيقِ . فقَالَ الفَخُّ : أَرَدتُ العُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ لِآمَنَ مِنهُمْ وَيَأْمَنُوا مِنِّي . فقَالَ العُصفورُ : فَمَالي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي التُّرَابِ . فقَالَ : تَوَاضُعًا . فقَالَ العُصفورُ : فَمَالي أَرَاكَ نَاحِلَ الجِسْمِ . فقَالَ : نَهَكَتْنِي العِبَادَةُ . فقَالَ العُصفورُ : فَمَا هٰذَا الحَبْلُ الذي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ مَلْبَسُ النُّسَّاكِ . فقَالَ العُصفورُ : فَمَا هٰذِهِ العَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي . فقَالَ العُصفورُ : فَمَا هٰذَا القَمْحُ الذي عِندَكَ . قَالَ : هُوَ فَضْلُ قُوتِي أَعْدَدْتُهُ لِفَقِيرٍ جَائِعٍ أَو ابْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ . فقَالَ العُصفورُ : إِنِّي ابْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي قَالَ : نَعَمْ دُونَكَ . فَلَمَّا أَلْقَى مِنْقَارَهُ أَمْسَكَ الفَخُّ بِعُنُقِهِ . فقَالَ العُصفورُ : بِئْسَ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ الغَدْرِ وَالخَدِيعَةِ . وَالأَخْلَاقِ الشَّنِيعَةِ . وَلَمْ يَشْعُرِ العُصفورُ إِلَّا وَصَاحِبُ الفَخِّ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ . فقَالَ العُصفورُ فِي نَفْسِهِ : بِحَقٍّ قَالَتِ الحُكَمَاءُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذِرَ سَلِمَ . وَكَيْفَ لِي بِالخَلَاصِ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (للشبراوي)

الغراب والسنّور والنمر

٦٢ إِنَّ غُرَابًا وَسِنَّوْرًا كَانَا مُتَآخِيَيْنِ . فَبَيْنَمَا هُمَا تَحْتَ شَجَرَةٍ

عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَيَا نَمِرًا مُقْبِلاً عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَارَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ . فَطَارَ الْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ وَبَقِيَ السِّنَّوْرُ مُتَحَيِّرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا خَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي خَلَاصِي كَمَا هُوَ الرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : إِنَّمَا تُلْتَمَسُ الْإِخْوَانُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي الْحِيلَةِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكْ ... شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكْ

وَكَانَ قَرِيباً مِنَ الشَّجَرَةِ رُعَاةٌ مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ الْغُرَابُ حَتَّى ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَنَعَقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ الْكِلَابِ . وَارْتَفَعَ قَلِيلاً وَتَبِعَتْهُ الْكِلَابُ . وَصَارَتْ فِي أَثَرِهِ . فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيباً مِنَ الْأَرْضِ وَيَقَعُ فَتَبِعَهُ . وَصَارَ الْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ النَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ مِنَ الْكِلَابِ . وَيُطْمِعُهَا فِي أَنْ تَفْتَرِسَهُ . ثُمَّ ارْتَفَعَ قَلِيلاً . وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْتَهَا النَّمِرُ . فَلَمَّا رَأَتِ الْكِلَابُ النَّمِرَ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَوَلَّى هَارِباً . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْقِطَّ فَنَجَا مِنْهُ ذَلِكَ الْقِطُّ بِحِيلَةِ صَاحِبِهِ الْغُرَابِ (أَلف ليلة وليلة)

العابد والدرّتان

٦٣ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَعِيشَتُهُ . فَخَرَجَ إِلَى الصحْرَاء يَعْبُدُ اللّهَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا . فَنُودِيَ ذَاتَ يَوْمٍ : أَيُّهَا الْعَابِدُ مُدَّ يَدَكَ وَخُذْ . فَمَدَّ يَدَهُ فَوُضِعَ عَلَيْهَا دُرَّتَانِ كَأَنَّهُمَا كَوْكَبَانِ ضِيَاءً . فَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : قَدْ أَمِنَّا مِنَ الْفَقْرِ . ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَى فِيهَا قَصْرًا . فَقِيلَ لَهُ : هٰذَا قَصْرُكَ . فَرَأَى فِيهِ أَرِيكَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْأُخْرَى مِنَ الْفِضَّةِ وَسَقْفُهُمَا مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَقِيلَ لَهُ : إِحْدَاهُمَا مَقْعَدُكَ وَالْأُخْرَى مَقْعَدُ امْرَأَتِكَ . فَنَظَرَ إِلَى سَقْفِهِمَا فَإِذَا فِيهِ مَوْضِعٌ خَالٍ مِقْدَارَ دُرَّتَيْنِ فَقَالَ : مَا بَالُ هٰذَا الْمَوْضِعِ خَالِيًا . فَقِيلَ : لَمْ يَكُنْ خَالِيًا . وَإِنَّمَا أَنْتَ تَعَجَّلْتَ فِي الدُّنْيَا الدُّرَّتَيْنِ وَهٰذَا مَوْضِعُهُمَا . فَانْتَبَهَ مِنْ مَنَامِهِ بَاكِيًا وَأَخْبَرَ امْرَأَتَهُ بِذٰلِكَ . فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ أَنِ : ادْعُ اللّهَ وَاسْأَلْهُ حَتَّى يَرُدَّهُمَا مَكَانَهُمَا . فَخَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاء وَهُمَا فِي كَفِّهِ وَصَارَ يَدْعُو اللّهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا وَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى أُخِذَتَا مِنْ كَفِّهِ وَنُودِيَ أَنْ : رَدَدْنَاهُمَا إِلَى مَكَانِهِمَا

(للقليوبي)

بطّتان وسلحفاة

٦٤ قيلَ : كَانَ في ٱلزَّمَانِ ٱلأَوَّلِ غَديرٌ عَظيمٌ وَقَدْ سَكَنَتْ فيهِ بَطَّتَانِ وَسُلَحْفَاةٌ . وَوَقَعَتِ ٱلأُلْفَةُ بَيْنَهُمْ . وَٱسْتَأْنَسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَٱتَّفَقَ أَنْ غِيضَ ٱلْمَاءُ فَيَبِسَ ٱلْغَديرُ . فَجَاءَتِ ٱلْبَطَّتَانِ عِنْدَ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَقَالَتَا : ٱعْلَمِي أَيَّتُهَا ٱلصَّديقَةُ ٱلْمُشْفِقَةُ أَنَّ حَالَ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ آخِرُهَا ٱلْفُرْقَةُ وَٱلْقَطيعَةُ . وَقَدْ يَبِسَ مَاءُ ٱلْغَديرِ ٱلَّذي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ وَقَدْ آنَ ٱلرَّحيلُ وَوَقَعَ ٱلشَّتَتُ بَيْنَنَا . فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا ٱلِٱنْتِقَالَ إِلَى غَديرٍ آخَرَ . فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ هٰذَا ٱلْكَلَامَ بَكَتْ وَنَادَتْ بِٱلْوَيْلِ وَٱلثُّبُورِ وَقَالَتْ : أَيَّتُهَا ٱلصَّديقَتَانِ ٱلْمُشْفِقَتَانِ فَمَا حيلَتي أَنْ أَذْهَبَ مَعَكُمَا . وَمَا سَبَبُ أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا . قَالَتِ ٱلْبَطَّتَانِ : نَأْخُذُكِ مَعَنَا وَلٰكِنَّنَا نَخَافُ أَنْ تَتَكَلَّمي لِأَنَّكِ لَمْ تَمْلِكي لِسَانَكِ . قَالَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ : ٱلْآنَ عَهِدْتُ أَنْ لَا أَنْطِقَ . فَقَالَتِ ٱلْبَطَّتَانِ : إِذَا رَأَى ٱلْخَلْقُ أَنَّنَا حَمَلْنَاكِ وَطِرْنَا بِكِ وَتَعَجَّبَ كُلُّهُمْ عَلَى طَيَرَانِنَا بِكِ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَعَلَيْكِ أَنْ تَصْبِري وَلَا تَتَكَلَّمي بِشَيْءٍ . وَلَا تَنْسَيْ قَوْلَ ٱلْفُضَلَاءِ : إِنَّهُ مَنْ صَمَتَ نَجَا . وَقَوْلَهُمْ : ٱلْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِٱلْمَنْطِقِ . وَإِنْ لَمْ تَصْبِري وَتَكَلَّمْتِ بِشَيْءٍ فَلَا تَلُومِنَّ إِلَّا نَفْسَكِ . وَيَكُونُ ذَنْبُكِ عَلَيْكِ . فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ كَلَامَهُمَا قَالَتْ : لَا أَتَكَلَّمُ

أَبَدًا بَلْ أَتَمَسَّكُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَلَمَّا أَخَذَتِ الْبَطَّتَانِ عَهْدًا عَلَى السُّلَحْفَاةِ أَتَتَا بِقَضِيبٍ وَقَالَتَا لِلسُّلَحْفَاةِ : أَمْسِكِي وَسَطَ الْقَضِيبِ بِفَمِكِ وَضُمِّي شَفَتَيْكِ مُحْكَمًا . فَفَعَلَتِ السُّلَحْفَاةُ مَا قَالَتَا . ثُمَّ أَخَذَتِ الْبَطَّتَانِ بِطَرَفَيِ الْقَضِيبِ عَلَى عُنُقِهِمَا . ثُمَّ طَارَتَا فِي الْهَوَاءِ مَعَ السُّلَحْفَاةِ . فَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَبَادَرُوا : يَا عَجَبَاهُ . انْظُرُوا كَيْفَ حَمَلَتِ الْبَطَّتَانِ السُّلَحْفَاةَ . ثُمَّ إِنَّ السُّلَحْفَاةَ سَمِعَتْ كَلَامَ النَّاسِ . فَصَبَرَتْ سَاعَةً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ كَثْرَةِ تَعَجُّبِ الْخَلْقِ . فَأَجَابَتْهُمْ : لِمَ تَعْجَبُونَ مِنْ أَمْرِنَا . أَفَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ حَمَلَتْنِي الْبَطَّتَانِ . وَمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَتْ إِلَّا أَنْ وَقَعَتْ عَلَى الْحَضِيضِ فَهَلَكَتْ (للسيوطي)

أعمى ومقعد

٦٥ قَالُوا : إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ بِفَقْرٍ وَضُرٍّ لَا قَائِدَ لِلْأَعْمَى وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ . وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ احْتِسَابًا قُوتَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَلَمْ يَزَالَا فِي عَافِيَةٍ إِلَى أَنْ هَلَكَ الْمُحْتَسِبُ . فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَاشْتَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ الضُّرُّ مِنْهُمَا جُهْدَهُ . فَأَجْمَعَا رَأْيَهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعَدَ . فَيَدُلُّهُ الْمُقْعَدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ . وَيَسْتَقِلُّ الْأَعْمَى بِحَمْلِ الْمُقْعَدِ وَيَدُورَانِ فِي

ٱلْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا . فَفَعَلَا فَنَجَحَ أَمْرُهُمَا . وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَلَكَا

(للطرطوشي)

الحمامتان

٦٦ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ . فَقَالَ ٱلذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي ٱلصَّحَارِي مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحَارِي شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ . فَرَضِيَتِ ٱلْأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقَالَتْ لَهُ : نِعْمَ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا فَٱنْطَلَقَ ٱلذَّكَرُ فَغَابَ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَضَمُرَ . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَلَيْسَ كُنَّا أَجْمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَنْ لَا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتَاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلَأَ ٱلْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ تَنَدَّمَ . ثُمَّ ٱضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذْ طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذْ فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا

وَلاَ شَرَابًا حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا (كليلة ودمنة)

العابد والكلب

٦٧ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْعُبَّادِ مُنْزَوِيًا عَنِ ٱلنَّاسِ فِي غَارٍ فِي ذَلِكَ ٱلْجَبَلِ. وَكَانَ يَصُومُ ٱلنَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يُفْطِرُ عَلَى نِصْفِهِ وَيَتَسَحَّرُ بِٱلنِّصْفِ ٱلْآخَرِ. وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً لَا يَنْزِلُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْجَبَلِ أَصْلًا. فَٱتَّفَقَ أَنِ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ ٱلرَّغِيفُ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي فَٱشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ. فَصَلَّى ٱلْعِشَاءَيْنِ وَبَاتَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱنْتِظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ ٱلْجُوعَ فَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ شَيْءٌ. وَكَانَ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ ٱلْجَبَلِ قَرْيَةٌ سُكَّانُهَا نَصَارَى. فَعِنْدَ مَا أَصْبَحَ ٱلْعَابِدُ نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَٱسْتَطْعَمَ شَيْخًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا وَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلْجَبَلِ. وَكَانَ فِي دَارِ ذَلِكَ ٱلشَّيْخِ ٱلنَّصْرَانِيِّ كَلْبٌ جَرِبٌ مَهْزُولٌ فَلَحِقَ ٱلْعَابِدَ وَنَبَحَ عَلَيْهِ وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ. فَأَلْقَى إِلَيْهِ ٱلْعَابِدُ رَغِيفًا مِنْ ذَيْنِكَ ٱلرَّغِيفَيْنِ لِيَشْتَغِلَ بِهِ عَنْهُ. فَأَكَلَ ٱلْكَلْبُ ذَلِكَ ٱلرَّغِيفَ. وَلَحِقَ ٱلْعَابِدَ مَرَّةً أُخْرَى وَأَخَذَ فِي ٱلنُّبَاحِ وَٱلْهَرِيرِ. فَأَلْقَى إِلَيْهِ ٱلْعَابِدُ ٱلرَّغِيفَ ٱلْآخَرَ فَأَكَلَهُ. وَلَحِقَهُ تَارَةً أُخْرَى وَٱشْتَدَّ هَرِيرُهُ وَتَشَبَّثَ بِذَيْلِ ٱلْعَابِدِ وَمَزَّقَهُ. فَقَالَ ٱلْعَابِدُ: سُبْحَانَ ٱللهِ إِنِّي لَمْ أَرَ كَلْبًا أَقَلَّ حَيَاءً مِنْكَ. إِنَّ صَاحِبَكَ لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا رَغِيفَيْنِ وَقَدْ

أَخَذْتَهُمَا مِنِّي . مَاذَا تَطْلُبُ بِهَرِيرِكَ وَتَمْزِيقِ ثِيَابِي . فَأَنْطَقَ ٱللهُ تَعَالَى ذٰلِكَ ٱلْكَلْبَ فَقَالَ : لَسْتُ أَنَا قَلِيلَ ٱلْحَيَاءِ . أَعْلَمْ أَنِّي رَبِيتُ فِي دَارِ ذٰلِكَ ٱلنَّصْرَانِيِّ أَحْرُسُ غَنَمَهُ وَأَحْفَظُ دَارَهُ . وَأَقْنَعُ بِمَا يَدْفَعُهُ لِي مِنْ عِظَامٍ أَوْ خُبْزٍ . وَرُبَّمَا نَسِيَنِي فَأَبْقَى أَيَّامًا لَا آكُلُ شَيْئًا . بَلْ رُبَمَا يَمْضِي عَلَيْنَا أَيَّامٌ لَا يَجِدُ هُوَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لِي . وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ أُفَارِقْ دَارَهُ مُنْذُ عَرَفْتُ نَفْسِي وَلَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ غَيْرِهِ . بَلْ كَانَ دَأْبِي أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ شَيْءٌ شَكَرْتُ وَإِلَّا صَبَرْتُ . وَأَمَّا أَنْتَ فَبِٱنْقِطَاعِ ٱلرَّغِيفِ عَنْكَ لَيْلَةً وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ وَلَا كَانَ مِنْكَ تَحَمُّلٌ حَتَّى تَوَجَّهْتَ مِنْ بَابِ رَازِقِ ٱلْعِبَادِ إِلَى بَابِ إِنْسَانٍ . فَأَيُّنَا أَقَلُّ حَيَاءً أَنَا أَمْ أَنْتَ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْعَابِدُ ذٰلِكَ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ (لبهاء الدين)

تاجر ومستودع عندهُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ أَخَذَ بِثَأْرِهِ بِمِثْلِ مَا ثُئِرَ بِهِ

٦٧ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ . وَأَنَّهُ أَرَادَ ٱلْخُرُوجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ ٱلْوُجُوهِ ٱبْتِغَاءَ ٱلرِّزْقِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةُ مَنٍّ حَدِيدًا . فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وُجْهَتِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِمُدَّةٍ . فَجَاءَ وَٱلْتَمَسَ ٱلْحَدِيدَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قَدْ أَكَلَتْهُ ٱلْجِرْذَانُ .

فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرِحَ ٱلرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ مَا قَالَ وَٱدَّعَى . ثُمَّ إِنَّ ٱلتَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ وَلَدًا لِلرَّجُلِ . فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَجَاءَ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْغَدِ . فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِٱبْنِي قَالَ : لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِٱلْأَمْسِ رَأَيْتُ بَازِيًا قَدِ ٱخْتَطَفَ صَبِيًّا . فَلَعَلَّهُ ٱبْنُكَ . فَلَطَمَ ٱلرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ يَاقَوْمُ : هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ ٱلْبُزَاةَ تَخْتَطِفُ ٱلصِّبْيَانَ . فَقَالَ : نَعَمْ إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِئَةَ مَنٍّ حَدِيدٍ لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزَاتُهَا ٱلْفِيَلَةَ . قَالَ ٱلرَّجُلُ : أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهٰذَا ثَمَنُهُ . فَٱرْدُدْ عَلَيَّ ٱبْنِي

يَرَاعَةٌ وَقُرُودٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَا يَتَّعِظُ بِكَلَامِ غَيْرِهِ فَيُغَامِرُ بِنَفْسِهِ فَيَعْطَبُ

٦٩ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ . فَٱلْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَرَأَوْا يَرَاعَةً تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةُ نَارٍ فَظَنُّوهَا نَارًا . فَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا وَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَعًا أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ بِهَا . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا . فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتْعَبُوا . فَإِنَّ ٱلَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ .

فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . عَزَمَ عَلَى ٱلْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلْمَانِعَ ٱلَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ ٱلسُّيُوفُ . وَٱلْعُودَ ٱلَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا يُعْمَلُ مِنْهُ ٱلْقَوْسُ . فَلَا تَتْعَبْ . فَأَبَى ٱلطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْقِرَدَةِ لِيُعَرِّفَهُمْ أَنَّ ٱلْيَرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ . وَإِذَا بِأَحَدِهِمْ تَنَاوَلَهُ وَضَرَبَ بِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَاتَ

شريكان

وَهُوَ مَثَلُ مَنِ ٱلْتَمَسَ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ

٧٠ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِتَاجِرٍ شَرِيكٌ . فَٱسْتَأْجَرَا حَانُوتًا وَجَعَلَا مَتَاعَهُمَا فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ ٱلْمَنْزِلِ مِنَ ٱلْحَانُوتِ . فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ . وَفَكَّرَ ٱلْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ وَقَالَ : إِنْ أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ آمَنْ أَنْ أَحْمِلَ أَحَدَ أَعْدَالِي أَوْ إِحْدَى رِزَمِي وَلَا أَعْرِفُهَا . فَيَذْهَبُ عَنَائِي وَتَعَبِي بَاطِلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى مَا أَضْمَرَ أَخْذَهُ مِنْ أَعْدَالِ شَرِيكِهِ وَٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُصْلِحَ ٱلْأَعْدَالَ فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ . فَقَالَ : هٰذَا رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا ٱلرَّأْيُ أَنْ أَدَعَهُ هٰهُنَا . وَلٰكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزَمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْبِقُنِي

إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَيَجِدَهُ حَيْثُ يُحِبُّ . ثُمَّ أَخَذَ ٱلرِّدَاءَ وَأَلْقَاهُ عَلَى أَحَدِ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ ٱلْحَانُوتَ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا هَجَمَ ٱللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ . وَضَمِنَ لَهُ جُعْلاً عَلَى حَمْلِهِ . فَصَارَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ وَٱلْتَمَسَ ٱلْإِزَارَ فِي ٱلظُّلْمَةِ . حَتَّى إِذَا حَسَّ بِهِ ٱحْتَمَلَ ٱلْعِدْلَ ٱلَّذِي تَحْتَهُ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَٱلرَّجُلُ . وَجَعَلاَ يَتَرَاوَحَانِ عَلَى حَمْلِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَهُوَ يَنْحِطُ تَعَباً فَرَزَحَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱفْتَقَدَهُ وَإِذَا بِهِ بَعْضُ مَتَاعِهِ . فَنَدِمَ أَشَدَّ ٱلنَّدَمِ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ وَفَقَدَ ٱلْعِدْلَ وَجَلَسَ مُغْتَمًّا يَقُولُ : سَوْءَتَا مِنْ رَفِيقٍ صَالِحٍ قَدِ ٱئْتَمَنَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي فِيهِ . مَاذَا تَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي تُهْمَتِهِ إِيَّايَ . وَلٰكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْخَائِنُ : يَا أَخِي لاَ تَغْتَمَّ . فَإِنَّ ٱلْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَ ٱلْإِنْسَانُ وَٱلْمَكْرَ وَٱلْخَدِيعَةَ لاَ يُؤَدِّيَانِ إِلَى ٱلْخَيْرِ . وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا . وَمَا عَادَ وَبَالُ ٱلْبَغْيِ إِلاَّ عَلَى صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ . فَأَضْرَبَ ٱلرَّجُلُ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَقَبِلَ مَعْذِرَتَهُ . وَنَدِمَ هُوَ غَايَةَ ٱلنَّدَامَةِ

رجل وابن عرس

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لاَ يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَهْجِمُ عَلَى أَعْمَالِهِ بِالْعَجَلَةِ

٧١ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلاً كَانَ لَهُ غُلاَمٌ . وَاتَّفَقَ يَوْمًا أَنَّ امْرَأَتَهُ قَالَتْ لَهُ : اقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَّامِ فَاغْتَسِلَ وَأُسْرِعَ الْعَوْدَةَ. ثُمَّ انْطَلَقَتْ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلاَمَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عِرْسٍ . وَكَانَ دَاجِنًا عِنْدَهُ وَقَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ عِنْدَ الصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَحْجَارِ الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ . فَدَنَتْ مِنَ الْغُلاَمِ فَضَرَبَهَا ابْنُ عِرْسٍ فَقَتَلَهَا . ثُمَّ قَطَّعَهَا وَامْتَلأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ الرَّجُلُ وَفَتَحَ الْبَابَ فَاسْتَقْبَلَهُ ابْنُ عِرْسٍ كَالْمُشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثًا بِالدَّمِ طَارَ عَقْلُهُ . وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى . وَلٰكِنْ عَجَّلَ عَلَى ابْنِ عِرْسٍ الْمِسْكِينِ بِضَرْبَةِ عُكَّازٍ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ مَيْتًا . ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى الْغُلاَمَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ . فَفَهِمَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي الْعَجَلَةِ . فَلَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا الْوَلَدَ . وَلَمْ أَغْدُرْ هٰذَا الْغَدْرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى

تِلْكَ ٱلْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا ٱلْخَبَرَ وَحُسْنَ فِعْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَسُوءَ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ : هٰذَا ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ

فِيَلَةٌ وَأَرْنَبٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَرَفَ ٱلْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ

٧٢ زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرَاضِي ٱلْفِيَلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا ٱلسِّنُونَ وَأَجْدَبَتْ . وَقَلَّ مَاؤُهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا . وَذَوَى نَبَاتُهَا . وَيَبِسَ شَجَرُهَا . فَأَصَابَ ٱلْفِيَلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكَوْنَ ذٰلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ . فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُوَّادَهُ فِي طَلَبِ ٱلْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلرُّسُلِ فَأَخْبَرَهُ قَائِلًا : قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانِ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ ٱلْقَمَرِ كَثِيرَةَ ٱلْمَاءِ . فَتَوَجَّهَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ ٱلْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا هُوَ وَفِيَلَتُهُ . وَكَانَتِ ٱلْعَيْنُ فِي أَرْضٍ لِلْأَرَانِبِ فَوَطِئْنَ وَهُنَّ فِي أَحْجَارِهِنَّ فَهَلَكَ مِنْهُنَّ كَثِيرٌ . فَٱجْتَمَعْنَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ ٱلْفِيَلَةِ . فَقَالَ : لِيُحْضِرْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلْأَرَانِبِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزُ وَكَانَ ٱلْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْأَدَبِ . فَقَالَتْ : إِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى ٱلْفِيَلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِي أَمِينًا لِيَرَى وَيَسْمَعَ مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ . فَقَالَ لَهَا ٱلْمَلِكُ : أَنْتِ أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكِ . فَٱنْطَلِقِي إِلَى ٱلْفِيَلَةِ وَبَلِّغِي عَنَّا

مَا تُرِيدِينَ . وَاعْلَمِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ . فَعَلَيْكِ بِاللِّينِ وَالْمُؤَاتَاةِ . فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصُّدُورَ إِذَا رَفَقَ . وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذَا خَرَقَ . ثُمَّ إِنَّ الْأَرْنَبَ انْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى الْفِيلَةِ . وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُوَ مِنْهُنَّ مَخَافَةَ أَنْ يَطَأْنَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ وَنَادَتْ مَلِكَ الْفِيلَةِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيمَا يُبَلِّغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفِيلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ . قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ : إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ قُوَّتَهُ عَلَى الضُّعَفَاءِ فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ فِي شَأْنِ الْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالاً عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذَلِكَ . فَعَمَدْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِاسْمِي فَوَرَدْتَهَا وَكَدَّرْتَهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أُغْشِي بَصَرَكَ وَأُتْلِفُ نَفْسَكَ وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنِّي مُوَافِيكَ إِلَيْهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفِيلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْنَبِ فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَاغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ

وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ فَتَحَرَّكَ . فَخُيِّلَ لَهُ أَنَّ الْقَمَرَ ارْتَعَدَ . فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ . أَتَرَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي جَحْفَلَتِي فِي الْمَاءِ • قَالَتِ الْأَرْنَبُ : نَعَمْ • فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى • وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْفِيَلَةِ

أرنب وأسد

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ دَفَعَ الْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَحِيلَتَهُ

٧٣ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالْعُشْبِ • وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذٰلِكَ لِخَوْفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِالْأَمْرِ فِيهَا • فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجُهْدِ وَالتَّعَبِ • وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا . فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنَا وَلَمْ تُخِفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نَبْعَثُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِذٰلِكَ وَصَالَحَ الْوُحُوشَ عَلَيْهِ . وَوَفَيْنَ لَهُ إِلَى أَنْ أَصَابَتِ الْقُرْعَةُ أَرْنَبًا . فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ : إِنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكُنَّ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ الْأَسَدِ . فَقُلْنَ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَنَا مِنَ الْأُمُورِ . قَالَتْ : تَأْمُرْنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يُمْهِلَنِي رَيْثَمَا

أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ ٱلإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا: ذٰلِكَ لَكِ . فَٱنْطَلَقَتِ ٱلأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً حَتَّى جَاوَزَتِ ٱلْوَقْتَ ٱلَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ ٱلأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَهَا رُوَيْدًا وَقَدْ جَاعَ وَغَضِبَ . فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ ٱلْوُحُوشِ إِلَيْكَ بَعَثَتْنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي غَصْبًا . وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى بِهٰذِهِ ٱلأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْوُحُوشِ . فَقُلْتُ : إِنَّ هٰذَا غَدَاءُ ٱلْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ ٱلْوُحُوشُ مَعِي إِلَيْهِ فَلَا تَغْصِبْنِيهِ . فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ . فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً إِلَيْكَ لِأُخْبِرَكَ . فَقَالَ ٱلأَسَدُ أَوَفِي زَمَنِي غَاصِبٌ ٱنْطَلِقِي مَعِي فَأَرِينِي مَوْضِعَ هٰذَا ٱلأَسَدِ . فَٱنْطَلَقَتْ إِلَى جُبٍّ فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ . فَٱطَّلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ : هٰذَا ٱلْمَكَانُ . فَتَطَلَّعَ ٱلأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ ٱلأَرْنَبِ فِي ٱلْمَاءِ فَلَمْ يَشُكَّ فِي قَوْلِهَا . ثُمَّ وَثَبَ إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ فَغَرِقَ فِي ٱلْجُبِّ . فَٱنْقَلَبَتِ ٱلأَرْنَبُ إِلَى ٱلْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِٱلأَسَدِ

الباب الثالث

فِي ٱللَّطَائِفِ

٧٤ قِيلَ لِمَجْنُونٍ : عُدَّ لَنَا ٱلْمَجَانِينَ . قَالَ: هٰذَا يَطُولُ بِي . وَلٰكِنْ أَعُدُّ ٱلْعُقَلَاءَ (للمستعصميّ)

٧٥ قِيلَ لِلُقْمَانَ : مَا أَقْبَحَ وَجْهَكَ . قَالَ : أَتَعِيبُ هٰذَا ٱلنَّقْشَ عَلَيَّ أَمْ عَلَى ٱلنَّقَّاشِ (للشريشي)

٧٦ جَلَسَ ٱلإِسْكَنْدَرُ يَوْمًا فَمَا رُفِعَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَقَالَ : لَا أَعُدُّ هٰذَا ٱلْيَوْمَ مِنْ أَيَّامِ مُلْكِي (للابشيهي)

٧٧ رُوِيَ أَنَّ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ مَرَّ بِدُكَّانِ وَرَّاقٍ فَإِذَا كِتَابٌ فِيهِ بَيْتٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ :

لَنْ تَرْجِعَ ٱلأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا ... مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرُ

فَقَالَ : لِمَنْ هٰذَا . فَقِيلَ : لِأَبِي نُوَاسٍ . فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لِي بِنِصْفِ شِعْرِي (للطرطوشي)

٧٨ قَالَ رَجُلٌ لِأُقْلِيدُسَ ٱلْحَكِيمِ : لَا أَسْتَرِيحُ أَوْ أُتْلِفَ رُوحَكَ . فَقَالَ : وَأَنَا لَا أَسْتَرِيحُ حَتَّى أُخْرِجَ ٱلْحِقْدَ مِنْ قَلْبِكَ (للغزّالي)

٧٩ دَخَلَ ذُو ذَنْبٍ عَلَى سُلْطَانٍ فَقَالَ لَهُ : بِأَيِّ وَجْهٍ تَلْقَانِي . فَقَالَ:

بِالْوَجْهِ ٱلَّذِي أَلْقَى بِهِ ٱللّٰهَ وَذُنُوبِي إِلَيْهِ أَعْظَمُ وَعِقَابُهُ أَكْبَرُ .
فَعَفَا عَنْهُ (للمستعصميّ)

٨٠ رَأَى ٱلإِسْكَنْدَرُ رَجُلاً حَسَنَ ٱلاِسْمِ قَبِيحَ ٱلسِّيرَةِ فَقَالَ لَهُ : إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ ٱسْمَكَ أَوْ سِيرَتَكَ (للغزّالي)

٨١ تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بِكَلَامٍ ذَهَبَ فِيهِ كُلَّ مَذْهَبٍ فَقَالَ لَهُ وَقَدْ أَعْجَبَهُ : ٱبْنُ مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ . فَقَالَ : ٱبْنُ نَفْسِي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّتِي نِلْتُ بِهَا هٰذَا ٱلْمَقْعَدَ مِنْكَ . قَالَ : صَدَقْتَ . أَخَذَ هٰذَا ٱلْمَعْنَى ٱبْنُ دُرَيْدٍ فَقَالَ :

كُنِ ٱبْنَ مَنْ شِئْتَ وَكُنْ مُؤَدَّبًا فَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِفَضْلِ حِسِّهِ
وَلَيْسَ مَنْ تُكْرِمُهُ لِغَيْرِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي تُكْرِمُهُ لِنَفْسِهِ

(للشريشي)

٨٢ رَجُلٌ غَضِبَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِٱللّٰهِ إِنْ عَلِمْتَ أَنِّي لَكَ أَطْوَعُ مِنْكَ لِلّٰهِ فَٱعْفُ عَنِّي عَفَا ٱللّٰهُ عَنْكَ . فَعَفَا عَنْهُ (للمستعصميّ)

٨٣ كَانَ ٱلإِسْكَنْدَرُ يَوْمًا عَلَى تَخْتِ مَمْلَكَتِهِ وَقَدْ رُفِعَ ٱلْحِجَابُ . فَقُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِصٌّ فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي سَرَقْتُ وَلَمْ يَكُنْ لِي شَهْوَةٌ فِي ٱلسَّرِقَةِ وَلَمْ يَطْلُبْهَا قَلْبِي . فَقَالَ ٱلإِسْكَنْدَرُ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُصْلَبُ وَلَا يَطْلُبُ قَلْبُكَ ٱلصَّلْبَ وَلَا يُرِيدُهُ (للغزّالي)

٨٤ كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ يَوْمًا يَحْفَظُ كَرْمًا فَمَرَّ بِهِ جُنْدِيٌّ فَقَالَ : أَعْطِنَا مِنْ هٰذَا ٱلْعِنَبِ . فَقَالَ : مَا أَمَرَنِي صَاحِبُهُ . فَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِٱلسَّوْطِ . فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَقَالَ : ٱضْرِبْ رَأْسًا طَالَمَا عَصَى ٱللّٰهَ . فَٱنْحَجَزَ ٱلرَّجُلُ وَمَضَى (للطرطوشي)

٨٥ عَادَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُعْتَصِمُ خَاقَانَ عِنْدَ مَرَضِهِ وَكَانَ لِخَاقَانَ إِذْ ذَاكَ ٱبْنٌ ٱسْمُهُ ٱلْفَتْحُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمُعْتَصِمُ : دَارِي أَحْسَنُ أَمْ دَارُ أَبِيكَ . فَقَالَ : مَا دَامَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي دَارِ أَبِي فَهِيَ أَحْسَنُ (لطائف الملوك)

٨٦ قَالَ ٱلْمُعْتَصِمُ لِلْفَتْحِ وَعَلَى يَدِهِ خَاتَمُ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ فِي غَايَةِ ٱلْحُسْنِ : أَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا ٱلْخَاتَمِ . فَقَالَ : نَعَمِ ٱلْيَدَ ٱلَّتِي فِيهَا (للغزّالي)

٨٧ قَالَ ٱلْحَسَنُ وَٱلْحُسَيْنُ لِعَبْدِ ٱللّٰهِ ٱبْنِ جَعْفَرٍ : إِنَّكَ قَدْ أَسْرَفْتَ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ . فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتُمَا وَأُمِّي . إِنَّ ٱللّٰهَ عَوَّدَنِي أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيَّ وَعَوَّدْتُهُ أَنْ أَتَفَضَّلَ عَلَى عَبِيدِهِ . فَأَخَافُ أَنْ أَقْطَعَ ٱلْعَادَةَ فَيَقْطَعَ عَنِّي عَادَتَهُ (للشريشي)

٨٨ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا تَكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَأْمُونِ فَأَحْسَنَ . فَقَالَ : ٱبْنُ مَنْ أَنْتَ . قَالَ : ٱبْنُ ٱلْأَدَبِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : نِعْمَ ٱلنَّسَبُ ٱنْتَسَبْتَ إِلَيْهِ (للابشيهي)

٨٩ لَقِيَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ ٱلْكِسَائِيَّ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَتَحَفَّى بِسُؤَالِهِ عَنْ حَالِهِ . فَقَالَ : أَنَا بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَلَوْ لَمْ أَجِدْ مِنْ ثَمَرَةِ ٱلْأَدَبِ إِلَّا مَا وَهَبَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لِي مِنْ وُقُوفِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَانَ ذٰلِكَ كَافِيًا مُحْتَسَبًا (للشريشي)

٩٠ لَطَمَ رَجُلٌ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ فِي جَامِعِ ٱلْبَصْرَةِ فَقَالَ لَهُ : لَعَلَّكَ خَاطَرْتَ أَنْ تَلْطِمَ سَيِّدَ بَنِي تَمِيمٍ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : ٱرْجِعْ فَلَسْتَ بِهِ (للطرطوشي)

٩١ قَالَ رَجُلٌ لِٱبْنِ عُيَيْنَةَ : ٱلْمُزَاحُ سُبَّةٌ . فَقَالَ : سُنَّةٌ وَلٰكِنْ لِمَنْ يُحْسِنُهُ (للثعالبي)

٩٢ أَبُو ٱلْعَيْنَاءِ قَالَ لَهُ ٱلْمُتَوَكِّلُ : كَيْفَ تَرَى دَارَنَا هٰذِهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ يَبْنُونَ ٱلدُّورَ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ تَبْنِي ٱلدُّنْيَا فِي دَارِكَ . وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

وَلِي مَسْئَلَةٌ بَعْدُ فَعَاجِلْنِي بِإِخْبَارِي
بَنَيْتَ ٱلدَّارَ فِي دُنْيَا كَ أَمْ دُنْيَاكَ فِي ٱلدَّارِ

(من لطائف الوزراء)

الأعرابيّ والناقة المفقودة

٩٣ ضَلَّتْ نَاقَةٌ لِأَعْرَابِيٍّ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ . فَأَكْثَرَ فِي طَلَبِهَا فَلَمْ

يَجِدْهَا . فَلَمَّا طَلَعَ ٱلْقَمَرُ وَٱنْبَسَطَ نُورُهُ وَجَدَهَا إِلَى جَانِبِهِ بِبَعْضِ ٱلْأَوْدِيَةِ . وَقَدْ كَانَ ٱجْتَازَ بِمَوْضِعِهَا مِرَارًا فَلَمْ يَرَهَا لِشِدَّةِ ٱلظَّلَامِ . فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ٱلْقَمَرِ وَقَالَ :

مَاذَا أَقُولُ وَقَوْلِي فِيكَ ذُو حَصَرٍ وَقَدْ كَفَيْتَنِيَ ٱلتَّفْصِيلَ وَٱلْجُمَلَا
إِنْ قُلْتُ لَا زِلْتَ مَحْفُوظًا فَأَنْتَ كَذَا أَوْ قُلْتُ زَانَكَ رَبِّي فَهُوَ قَدْ فَعَلَا

(للشريشي)

٩٤ غَنَّى يَوْمًا إِبْرَاهِيمُ مُغَنِّي ٱلرَّشِيدِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ أَحْسَنَ ٱللّٰهُ إِلَيْكَ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يُحْسِنُ ٱللّٰهُ إِلَيَّ بِكَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ

٩٥ كَانَ بَهْرَامُ جَالِسًا ذَاتَ لَيْلَةٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ . فَسَمِعَ مِنْهَا صَوْتَ طَائِرٍ فَرَمَاهُ فَأَصَابَهُ وَقَالَ : مَا أَحْسَنَ حِفْظَ ٱللِّسَانِ بِٱلطَّائِرِ وَٱلْإِنْسَانِ . لَوْ حَفِظَ هٰذَا لِسَانَهُ لَمَا هَلَكَ (للأصبهاني)

٩٦ أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱلْفَارِسِيُّ كَانَ يَتَقَلَّدُ قَضَاءَ بَلْخَ . وَكَانَ صَدِيقَ أَبِي يَحْيَى ٱلْحَمَادِيِّ . فَكَتَبَ هٰذَا إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ عَلَى تَرْكِ ٱلْمُهَادَاةِ بِمَا يُجْلَبُ مِنْ بَلْخَ . فَأَجَابَهُ أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ : قَدْ أَهْدَيْتُ لِلشَّيْخِ عِدْلَ صَابُونٍ لِيَغْسِلَ بِهِ طَمَعَهُ وَٱلسَّلَامُ (من لطائف الوزراء)

٩٧ يُقَالُ إِنَّ أَنُوشِرْوَانَ رَكِبَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ فِي ٱلرَّبِيعِ عَلَى

سَبِيلِ ٱلْفُرْجَةِ . فَجَعَلَ يَسِيرُ فِي ٱلرِّيَاضِ ٱلْمُخْضَرَّةِ وَيُشَاهِدُ ٱلشَّجَرَ ٱلْمُثْمِرَةَ وَيَنْظُرُ إِلَى ٱلْكُرُومِ أَلْفَ مَرَّةٍ . فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ شُكْرًا لِرَبِّهِ وَخَرَّ سَاجِدًا وَاضِعًا خَدَّهُ عَلَى ٱلتُّرَابِ زَمَانًا طَوِيلًا . فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ خِصْبَ ٱلسِّنِينَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلسَّلَاطِينِ وَحُسْنِ نِيَّتِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ إِلَى رَعِيَّتِهِمْ . فَٱلْمِنَّةُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي قَدْ أَظْهَرَ حُسْنَ نِيَّتِنَا فِي سَائِرِ ٱلْأَشْيَاءِ (للغزّالي)

لقمان والعبيد

٩٨ حَكَى أَبُو إِسْحٰقَ ٱلثَّعْلَبِيُّ قَالَ : كَانَ لُقْمَانُ مِنْ أَهْوَنِ مَمَالِيكِ سَيِّدِهِ عَلَيْهِ . فَبَعَثَهُ مَوْلَاهُ مَعَ عَبِيدٍ لَهُ إِلَى بُسْتَانِهِ يَأْتُونَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ثَمَرٍ . فَجَاؤُوهُ وَمَا مَعَهُمْ شَيْءٌ وَقَدْ أَكَلُوا ٱلثَّمَرَ وَأَحَالُوا عَلَى لُقْمَانَ . فَقَالَ لُقْمَانُ لِمَوْلَاهُ : ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَجِيهًا . فَٱسْقِنِي وَإِيَّاهُمْ مَاءً حَمِيمًا ثُمَّ أَرْسِلْنَا لِنَعْدُوَ . فَفَعَلَ فَجَعَلُوا يَتَقَيَّؤُونَ تِلْكَ ٱلْفَاكِهَةَ وَلُقْمَانُ يَتَقَيَّأُ مَاءً . فَعَرَفَ مَوْلَاهُ صِدْقَهُ وَكَذِبَهُمْ (للشريشي)

الحاجّ والوديعة

٩٩ وَصَلَ بَعْضُ ٱلْمُسَافِرِينَ لِقَصْدِ ٱلْحَجِّ مَدِينَةً وَنَزَلَ عِنْدَ صَاحِبٍ لَهُ . فَلَمَّا تَمَّتْ مُدَّةُ ٱلْإِقَامَةِ وَعَزَمَ عَلَى ٱلرَّحِيلِ أَخْبَرَ صَاحِبَهُ أَنَّ عِنْدَهُ أَمَانَةً وَهِيَ جُمْلَةٌ مِنَ ٱلنُّقُودِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَيُرِيدُ أَنْ يُودِعَهَا

مُؤْتَمَنًا إِلَى أَنْ يَرْجِعَ. فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ صَاحِبُهُ ذٰلِكَ اسْتَحَى أَنْ يَقُولَ لَهُ ضَعْهَا عِنْدِي خَوْفًا مِنْ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ طَامِعٌ فِيهَا فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَضَعْهَا عِنْدَ الْقَاضِي. فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ إِلَى الْقَاضِي وَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ وَارِيدُ الْحَجَّ وَعِنْدِي أَمَانَةٌ قَدْرُهَا كَذَا مِنَ النُّقُودِ وَالْجَوَاهِرِ وَأُرِيدُ أَنْ أُسَلِّمَهَا إِلَى مَوْلَانَا الْقَاضِي لِيَحْفَظَهَا إِلَى أَنْ أَعُودَ مِنَ الْحَجِّ وَأَسْتَلِمَهَا. فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: نَعَمْ. خُذْ هٰذَا الْمِفْتَاحَ وَافْتَحْ هٰذَا الصُّنْدُوقَ وَضَعْهَا فِيهِ وَأَغْلِقِ الصُّنْدُوقَ جَيِّدًا. فَفَعَلَ وَسَلَّمَ الْمِفْتَاحَ إِلَى الْقَاضِي وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَتَوَجَّهَ

فَلَمَّا قَضَى حَجَّهُ وَرَجَعَ ذَهَبَ إِلَى الْقَاضِي لِيَطْلُبَ الْأَمَانَةَ. فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَا أَعْرِفُكَ وَأَنَا عِنْدِي أَمَانَاتٌ كَثِيرَةٌ فَمِنْ أَيْنَ أَعْرِفُ أَنَّ لَكَ أَمَانَةً عِنْدِي. وَأَطَالَ الْمُحَاوَلَةَ مَعَهُ فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ إِلَى صَاحِبِهِ وَأَعْلَمَهُ بِذٰلِكَ وَعَابَهُ فِي هٰذِهِ الْمَشُورَةِ. فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ إِلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ بِتِلْكَ الْقَضِيَّةِ. فَوَعَدَهُمَا أَنَّهُ فِي غَدٍ يَذْهَبُ إِلَى الْقَاضِي وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ وَيُخْبِرُهُ بِقَضِيَّةٍ أُخْرَى تَخُصُّهُ وَيَدْخُلُ ذَاكَ الشَّخْصُ صَاحِبُ الْأَمَانَةِ عَلَيْهِمَا وَيَطْلُبُ أَمَانَتَهُ مِنَ الْقَاضِي. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ذَهَبَ ذٰلِكَ الْأَمِيرُ إِلَى الْقَاضِي وَجَلَسَ

بجَانبِهِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى تَعْظِيمُهُ وَإِجْلاَلُهُ مِنَ ٱلْقَاضِي عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ قَالَ لَهُ : لَعَلَّ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أَوْجَبَكَ إِلَى تَشْرِيفِنَا بِقُدُومِكَ خَيْرٌ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى . فَقَالَ : مَا هُوَ . قَالَ ٱلْأَمِيرُ : إِنِّي فِي لَيْلَةِ أَمْسِ طَلَبَنِي ٱلْمَلِكُ فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْمَجْلِسُ وَٱنْصَرَفَ ٱلنَّاسُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْصَرِفَ إِذَا هُوَ أَمَرَنِي أَنْ أَتَخَلَّفَ عِنْدَهُ فَلَمَّا ٱخْتَلَيْنَا أَسَرَّ إِلَيَّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ فِي ٱلْعَامِ ٱلْقَابِلِ وَيُرِيدُ أَنْ يُسَلِّمَ ٱلْمَمْلَكَةَ جَمِيعَهَا لِمَنْ يُعْتَمَدُ وَيُؤْتَمَنُ فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ بِٱلسَّلاَمَةِ . فَٱسْتَشَارَنِي فِي ٱلْأَمْرِ فَأَشَرْتُ عَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَهَا لِجَنَابِكَ لِمَا نَعْهَدُ عِنْدَكَ مِنَ ٱلْأَمَانَةِ وَٱلْعِفَّةِ وَٱلصَّدَاقَةِ . فَأَعْجَبَهُ هٰذَا ٱلرَّأْيُ وَأَجْمَعَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَعْقِدُ مَجْلِساً عَامًّا وَيَفْعَلُ مَا أَشَرْتُ بِهِ عَلَيْهِ

فَفَرِحَ ٱلْقَاضِي بِذٰلِكَ فَرَحاً شَدِيدًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ . وَإِذَا بِصَاحِبِ ٱلْأَمَانَةِ دَاخِلٌ عَلَيْهِمَا فَتَمَثَّلَ أَمَامَ ٱلْقَاضِي وَسَلَّمَ . وَقَالَ : يَا حَضْرَةَ مَوْلاَنَا ٱلْقَاضِي إِنَّ لِي أَمَانَةً عِنْدَكَ وَهِيَ كَذَا وَكَذَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكَ وَقْتَ كَذَا وَكَذَا . فَمَا أَتَمَّ كَلاَمَهُ حَتَّى قَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي : نَعَمْ يَا وَلَدِي وَأَنَا تَذَكَّرْتُكَ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَ ٱلنَّوْمِ وَعَرَفْتُكَ وَعَرَفْتُ أَمَانَتَكَ فَخُذْ هٰذَا ٱلْمِفْتَاحَ وَٱسْتَلِمْ أَمَانَتَكَ . فَأَخَذَهَا وَسَلَّمَ وَٱنْصَرَفَ . وَٱنْصَرَفَ

ذٰلِكَ ٱلْأَمِيرُ أَيْضاً . فَلَمَّا مَضَى ٱلْمِيعَادُ ٱلَّذِي وُعِدَهُ ٱلْقَاضِي ذَهَبَ إِلَى ٱلْأَمِيرِ وَسَأَلَهُ فِي شَأْنِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلْمُلْكِ . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْقَاضِي نَحْنُ لَمْ نُخَلِّصْ مِنْكَ أَمَانَةَ ٱلرَّجُلِ ٱلْغَرِيبِ ٱلْحَاجِّ إِلَّا لَمَّا مَلَّكْنَاكَ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا . فَإِذَا مَلَّكْتَهَا فَبِأَيِّ شَيْءٍ نُخَلِّصُهَا . فَعَرَفَ أَنَّهَا حِيلَةٌ وَعَادَ خَائِباً

حاتم الطائيّ والأسير

١٠٠ حُكِيَ عَنْ حَاتِمٍ ٱلطَّائِيِّ أَنَّهُ مَرَّ يَوْماً بِحِلَّةِ بَنِي عَنَزَةَ . فَٱجْتَازَ بِأَسِيرٍ عِنْدَهُمْ وَكَانَ ٱلْأَسِيرُ صُعْلُوكاً لَا يَمْلِكُ ٱلْفِدَى . فَلَمَّا رَأَى حَاتِماً صَاحَ : أَغِثْنِي يَا أَبَا سَفَّانَةَ . وَلَمْ يَكُنْ مَعَ حَاتِمٍ مَا يَفْدِيهِ بِهِ فَضَمِنَ ٱلْفِدَاءَ لِأَمِيرِ ٱلْحِلَّةِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَقْبِضَهُ قَبْلَ إِطْلَاقِ ٱلْأَسِيرِ . فَأَقَامَ حَاتِمٌ مَكَانَهُ فِي ٱلْأَسْرِ وَأَرْسَلَ ٱلْأَعْرَابِيَّ إِلَى قَوْمِهِ فِي أَحْيَاءِ طَيِّءٍ بِعَلَامَةٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَى بِٱلْفِدَى . فَدَفَعَهُ إِلَى ٱلْقَوْمِ وَأَطْلَقَ نَفْسَهُ مِنْ أَسْرِهِمْ (للحموي)

أمير بلخ وكلبه

١٠١ حَكَى حَاتِمٌ ٱلْأَصَمُّ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ كَانَ أَمِيرَ بَلْخَ . وَكَانَ يُحِبُّ كِلَابَ ٱلصَّيْدِ . فَفُقِدَ كَلْبٌ مِنْ كِلَابِهِ يَوْماً فَٱتُّهِمَ بِهِ جَارُ شَقِيقٍ فَٱسْتَجَارَ بِهِ . فَدَخَلَ شَقِيقٌ عَلَى ٱلْأَمِيرِ وَقَالَ : خَلُّوا

سَبِيلَهُ فَإِنِّي أَرُدُّ لَكُمْ كَلْبَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ . فَانْصَرَفَ شَقِيقٌ مُهْتَمًّا لِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ كَانَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ بَلْخَ غَائِبًا وَكَانَ مِنْ رُفَقَاءِ شَقِيقٍ . وَكَانَ لِشَقِيقٍ فَتًى وَهُوَ رَفِيقُهُ رَأَى فِي الصَّحْرَاءِ كَلْبًا فِي رَقَبَتِهِ قِلَادَةٌ فَقَالَ : أُهْدِيهِ إِلَى شَقِيقٍ فَحَمَلَهُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ كَلْبُ الْأَمِيرِ فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ (للقزويني)

أبو دُلَف وجارهُ

١٠٢ يُرْوَى أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَارًا لِأَبِي دُلَفَ بِبَغْدَادَ . فَأَدْرَكَتْهُ حَاجَةٌ وَرَكِبَهُ دَيْنٌ فَادِحٌ حَتَّى احْتَاجَ إِلَى بَيْعِ دَارِهِ . فَسَاوَمُوهُ فِيهَا فَسَمَّى لَهُمْ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ دَارَكَ تُسَاوِي خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ : أَبِيعُ دَارِي بِخَمْسِمِائَةٍ وَجِوَارَ أَبِي دُلَفَ بِخَمْسِمِائَةٍ . فَبَلَغَ أَبَا دُلَفَ الْخَبَرُ فَأَمَرَ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ وَوَصَلَهُ وَقَالَ : لَا تَنْتَقِلْ مِنْ جِوَارِنَا . فَانْظُرْ كَيْفَ صَارَ الْجِوَارُ يُبَاعُ كَمَا يُبَاعُ الْعَقَارُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يَلُومُونَنِي أَنْ بِعْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزِلِي ... وَلَمْ يَعْلَمُوا جَارًا هُنَاكَ يُنَغِّصُ
فَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّمَا ... بِجِيرَانِهَا تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ

(للشريشي)

أبو العلاء المعرّيّ والغلام

١٠٣ حُكِيَ أَنَّ غُلَامًا لَقِيَ أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيَّ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ

يَا شَيْخُ . قَالَ : فُلاَنٌ . قَالَ : أَنْتَ ٱلْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱلْأَخِيرَ زَمَانُهُ   لَآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ ٱلْأَوَائِلُ

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا عَمَّاهُ إِنَّ ٱلْأَوَائِلَ قَدْ رَتَّبُوا ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ حَرْفًا لِلْهِجَاءِ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَزِيدَ عَلَيْهَا حَرْفًا . (قَالَ) فَدَهِشَ ٱلْمَعَرِّيُّ مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ : إِنَّ هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَعِيشُ لِشِدَّةِ حِذْقِهِ وَتَوَقُّدِ فُؤَادِهِ (للقليوبي)

يزيد وبدوية

١٠٤ كَانَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ سِجْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ يُسَافِرُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ مَعَ ٱبْنِهِ مُعَاوِيَةَ . فَمَرَّ بِٱمْرَأَةٍ بَدَوِيَّةٍ فَذَبَحَتْ لَهُمَا عَنْزَةً . فَلَمَّا أَكَلَا قَالَ يَزِيدُ لِٱبْنِهِ : مَا يَكُونُ مَعَكَ مِنَ ٱلنَّفَقَةِ . قَالَ : مِائَةُ دِينَارٍ قَالَ : أَعْطِهَا إِيَّاهَا . فَقَالَ لَهُ ٱبْنُهُ : هٰذِهِ فَقِيرَةٌ يُرْضِيهَا ٱلْقَلِيلُ وَهِيَ مَا تَعْرِفُكَ . قَالَ : إِنْ كَانَ يُرْضِيهَا ٱلْقَلِيلُ فَأَنَا لَا يُرْضِينِي إِلَّا ٱلْكَثِيرُ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي (لابن قتيبة)

العفو

١٠٥ وَقَعَتْ دِمَاءٌ بَيْنَ حَيَّيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ . فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ وَاضِعٌ رَأْسَهُ إِلَّا رَفَعَهُ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ لَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ أَوْ فِي مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْحَقِّ . قَالُوا : وَهَلْ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْحَقِّ . قَالَ : نَعَمِ ٱلْعَفْوُ . فَبَادَرَ ٱلْقَوْمُ فَٱصْطَلَحُوا (للشريشي)

الرشيد وحميد

١٠٦ غَضِبَ الرشيدُ عَلَى حُمَيْدٍ الطُّوسِيّ فَدَعَا لَهُ بِالنِّطَعِ وَالسَّيْفِ فَبَكَى. فقَالَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ . فقَالَ :وَاللهِ يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ مَا أَفْزَعُ مِنَ المَوْتِ لِأَنَّهُ لَابُدَّ مِنْهُ وَإِنَّمَا بَكَيْتُ أَسَفًا عَلَى خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ سَاخِطٌ عَلَيَّ . فَضَحِكَ وَعَفَا عَنْهُ (للابشيهي)

المصوّر المسروق

١٠٧ حُكِيَ عَنْ أَهْلِ الرُّومِ أَنَّ مُصَوِّرًا دَخَلَ بَلَدًا لَيْلًا وَنَزَلَ بِقَوْمٍ . فَضَيَّفُوهُ فَلَمَّا سَكِرَ قَالَ . إِنِّي صَاحِبُ مَالٍ وَمَعِي كَذَا وَكَذَا دِينَارًا . فَسَقَوْهُ حَتَّى طَفَحَ وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى مَوْضِعٍ بَعِيدٍ مِنْهُمْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ وَكَانَ غَرِيبًا لَمْ يَعْرِفِ القَوْمَ وَلَا المَكَانَ ذَهَبَ إِلَى وَالِي المَدِينَةِ وَشَكَا . فَقَالَ لَهُ الوَالِي. هَلْ تَعْرِفُ القَوْمَ . قَالَ . لَا قَالَ . هَلْ تَعْرِفُ المَكَانَ . قَالَ . لَا . قَالَ . فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذٰلِكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ . إِنِّي أُصَوِّرُ صُورَةَ الرَّجُلِ وَصُورَةَ أَهْلِهِ فَأَعْرِضُهَا عَلَى النَّاسِ لَعَلَّ أَحَدًا يَعْرِفُهُمْ . فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَعَرَضَهَا الوَالِي عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا . إِنَّهَا صُورَةُ فُلَانٍ الحَمَّامِيّ وَأَهْلِهِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَإِذَا هُوَ صَاحِبُهُ فَاسْتَرَدَّ مِنْهُ المَالَ (آثار البلاد للقزويني)

النديم والجام

١٠٨ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِأَنُوشَرْوَانَ نَدِيمٌ . وَكَانَ فِي مَجْلِسِ الشَّرَابِ جَامٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِالْجَوْهَرِ . فَسَرَقَهُ النَّدِيمُ . وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَنُوشِرْوَانُ وَرَآهُ وَهُوَ يُخْفِيهِ . فَجَاءَ الشَّرَابِيُّ وَطَلَبَ الْجَامَ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَنَادَى يَا أَهْلَ الْمَجْلِسِ قَدْ ضَاعَ لَنَا جَامٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِالْجَوْهَرِ . فَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَرُدَّ الْجَامُ . فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ لِلشَّرَابِيِّ : مَكِّنْهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ فَإِنَّ الَّذِي سَرَقَ مَا يُعِيدُهُ . وَالَّذِي رَآهُ مَا يَغْمِزُ عَلَيْهِ

(للطرطوشي)

الكنز والسيّاح

١٠٩ كَانَ فِي غَابِرِ الزَّمَانِ ثَلَاثَةٌ سَائِرِينَ فَوَجَدُوا كَنْزًا فَقَالُوا : قَدْ جُعْنَا فَلْيَمْضِ وَاحِدٌ مِنَّا وَلْيَبْتَعْ لَنَا طَعَامًا . فَمَضَى لِيَأْتِيَهُمْ بِطَعَامٍ فَقَالَ: الصَّوَابُ أَنْ أَجْعَلَ لَهُمَا فِي الطَّعَامِ سُمًّا قَاتِلًا لِيَأْكُلَاهُ فَيَمُوتَا وَأَنْفَرِدَ أَنَا بِالْكَنْزِ دُونَهُمَا . فَفَعَلَ ذَلِكَ وَسَمَّ الطَّعَامَ . وَاتَّفَقَ الرَّجُلَانِ الْآخَرَانِ أَنَّهُمَا إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِالطَّعَامِ قَتَلَاهُ وَانْفَرَدَا بِالْكَنْزِ دُونَهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِالطَّعَامِ الْمَسْمُومِ قَتَلَاهُ وَأَكَلَا مِنَ الطَّعَامِ فَمَاتَا . فَاجْتَازَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بِذَلِكَ الْمَكَانِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هٰذِهِ الدُّنْيَا . فَانْظُرُوا كَيْفَ قَتَلَتْ هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ وَبَقِيَتْ

بَعْدَهُمْ وَيْلٌ لِطُلَّابِ الدُّنْيَا مِنَ ٱلدَّيَّانِ (للغزالي)

الجارية والقصعة

١١٠ جَاءَتْ جَارِيَةٌ لِأَبِي عَبْدِ ٱللّٰهِ جَعْفَرٍ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ تُقَدِّمُهَا إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ . فَأَسْرَعَتْ بِهَا فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهَا فَٱنْكَسَرَتْ فَأَصَابَهُ وَأَصْحَابَهُ مِمَّا كَانَ فِيهَا . فَٱرْتَاعَتِ ٱلْجَارِيَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهَا : أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ ٱللّٰهِ تَعَالَى . لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِلرَّوْعِ ٱلَّذِي أَصَابَكِ (للطرطوشي)

هرون الرشيد وأبو معاوية

١١١ كَانَ هٰرُونُ ٱلرَّشِيدُ يَتَوَاضَعُ لِلْعُلَمَاءِ . قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ ٱلضَّرِيرُ وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلنَّاسِ : أَكَلْتُ مَعَ ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا . فَصَبَّ عَلَى يَدَيَّ ٱلْمَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ أَتَدْرِي مَنْ صَبَّ ٱلْمَاءَ عَلَى يَدِكَ . فَقُلْتُ : لَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَنَا . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هٰذَا إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ . قَالَ : نَعَمْ (الفخريّ)

جود قيس بن سعد

١١٢ لَمَّا مَرِضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ٱسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي ٱلْعِيَادَةِ فَسَأَلَ عَنْهُمْ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلدَّيْنِ . فَقَالَ : أَخْزَى ٱللّٰهُ مَالًا يَمْنَعُ ٱلْإِخْوَانَ مِنَ ٱلزِّيَارَةِ . ثُمَّ أَمَرَ

مَنْ يُنَادِي : مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عِنْدَهُ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ . فَكَسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ بِالْعَشِيِّ لِكَثْرَةِ ٱلْعُوَّادِ (للطرطوشي)

رسول قيصر وعمر بن الخطاب

١١٣ أَرْسَلَ قَيْصَرُ رَسُولاً إِلَى عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ لِيَنْظُرَ أَحْوَالَهُ . وَيُشَاهِدَ أَفْعَالَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ سَأَلَ أَهْلَهَا وَقَالَ : أَيْنَ مَلِكُكُمْ . فَقَالُوا : مَا لَنَا مَلِكٌ بَلْ لَنَا أَمِيرٌ قَدْ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ ٱلْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ ٱلرَّسُولُ فِي طَلَبِهِ . فَرَآهُ نَائِمًا فِي ٱلشَّمْسِ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَوْقَ ٱلرَّمْلِ ٱلْحَارِّ وَقَدْ وَضَعَ دُرَّاعَتَهُ كَالْوِسَادَةِ وَٱلْعَرَقُ يَسْقُطُ مِنْ جَبِينِهِ إِلَى أَنْ بَلَّ ٱلْأَرْضَ . فَلَمَّا رَآهُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ وَقَعَ ٱلْخُشُوعُ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ : رَجُلٌ يَكُونُ جَمِيعُ ٱلْمُلُوكِ لَا يَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ فِي هَيْبَتِهِ وَتَكُونُ هٰذِهِ حَالَهُ . وَلٰكِنَّكَ يَا عُمَرُ عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فَنِمْتَ وَمَلِكُنَا يَجُورُ فَلَا جَرَمَ إِنَّهُ لَا يَزَالُ سَاهِرًا خَائِفًا (للغزالي)

عفو زياد

١١٤ أَمَرَ زِيَادٌ بِضَرْبِ عُنُقِ رَجُلٍ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنَّ لِي بِكَ حُرْمَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : إِنَّ أَبِي جَارُكَ بِٱلْبَصْرَةِ . قَالَ : وَمَنْ أَبُوكَ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنِّي نَسِيتُ ٱسْمَ نَفْسِي فَكَيْفَ لَا أَنْسَى ٱسْمَ أَبِي . فَرَدَّ زِيَادٌ كُمَّهُ عَلَى فَمِهِ وَضَحِكَ وَعَفَا عَنْهُ (للابشيهي)

عفو عبد الملك

١١٥ تَغَيَّظَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى رَجَاءِ بْنِ حَيَاةٍ فَقَالَ : وَٱللهِ لَئِنْ أَمْكَنَنِي ٱللهُ مِنْهُ لَأَفْعَلَنَّ بِهِ كَذَا وَكَذَا . فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ صَنَعَ ٱللهُ مَا أَحْبَبْتَ فَٱصْنَعْ مَا أَحَبَّ ٱللهُ . فَعَفَا عَنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ

جعفر وغلامهُ

١١٦ حُكِيَ عَنْ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ أَنَّ غُلَامًا لَهُ وَقَفَ يَصُبُّ ٱلْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ . فَوَقَعَ ٱلْإِبْرِيقُ مِنْ يَدِ ٱلْغُلَامِ فِي ٱلطَّسْتِ فَطَارَ ٱلرَّشَاشُ فِي وَجْهِهِ . فَنَظَرَ جَعْفَرٌ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ . فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ٱللهُ يَأْمُرُ بِكَظْمِ ٱلْغَيْظِ . قَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ . قَالَ : وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ . قَالَ : اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ ٱللهِ تَعَالَى (للابشيهي)

المهدي وأبو العتاهية

١١٧ لَمَّا حَبَسَ ٱلْمَهْدِيُّ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ تَكَلَّمَ فِيهِ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ٱلْحِمْيَرِيُّ حَتَّى أَطْلَقَهُ . فَقَالَ فِيهِ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

مَا قُلْتُ فِي فَضْلِهِ شَيْئًا لِأَمْدَحَهُ ... إِلَّا وَفَضْلُ يَزِيدٍ فَوْقَ مَا قُلْتُ
مَا زِلْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي خَائِفًا وَجِلًا ... فَقَدْ كَفَانِيَ بَعْدَ ٱللهِ مَا خِفْتُ

(للأصبهاني)

المؤبذ وأنوشروان

١١٨ سَمِعَ ٱلْمُؤْبِذُ فِي مَجْلِسِ أَنُوشِرْوَانَ ضَحِكَ ٱلْخَدَمِ فَقَالَ : أَمَا يَهَابُ هٰؤُلَاءِ ٱلْغِلْمَانُ . فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : إِنَّمَا يَهَابُنَا أَعْدَاؤُنَا

(للثعالبي)

الايثار

١١٩ مِنْ عَجَائِبِ مَا ذُكِرَ فِي ٱلْإِيثَارِ مَا حَكَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْأَزْدِيُّ قَالَ : لَمَّا ٱحْتَرَقَ ٱلْمَسْجِدُ بِمَرْوَ ظَنَّ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّ ٱلنَّصَارَى أَحْرَقُوهُ فَأَحْرَقُوا خَانَاتِهِمْ . فَقَبَضَ ٱلسُّلْطَانُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلَّذِينَ أَحْرَقُوا ٱلْخَانَاتِ . وَكَتَبَ رِقَاعًا فِيهَا ٱلْقَطْعُ وَٱلْجَلْدُ وَٱلْقَتْلُ وَنَثَرَهَا عَلَيْهِمْ فَمَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ رُقْعَةٌ فُعِلَ بِهِ مَا فِيهَا . فَوَقَعَتْ رُقْعَةٌ فِيهَا ٱلْقَتْلُ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ : وَٱللّٰهِ مَا كُنْتُ أُبَالِي لَوْلَا أُمٌّ لِي . وَكَانَ بِجَنْبِهِ بَعْضُ ٱلْفِتْيَانِ فَقَالَ لَهُ : فِي رُقْعَتِي ٱلْجَلْدُ وَلَيْسَ لِي أُمٌّ . فَخُذْ أَنْتَ رُقْعَتِي وَأَعْطِنِي رُقْعَتَكَ . فَفَعَلَ فَقُتِلَ ذٰلِكَ ٱلْفَتَى وَتَخَلَّصَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ

(للطرطوشي)

الأعرابي والجراد

١٢٠ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : حَضَرْتُ ٱلْبَادِيَةَ فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ زَرَعَ بُرًّا لَهُ . فَلَمَّا قَامَ عَلَى سُوقِهِ وَجَادَ سُنْبُلُهُ أَتَتْ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ . فَجَعَلَ

اَلرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلاَ يَدْرِي كَيْفَ ٱلْحِيلَةُ فِيهِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ ... إِلْزَمْ طَرِيقَكَ لَاتُولَعْ بِإِفْسَادِ
فَقَامَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ ... إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَابُدَّ مِنْ زَادِ

(للدميري)

١٢١ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلسَّلَاطِينِ : لِمَ لاَ تُغْلِقُ ٱلْبَابَ وَتُقْعِدُ عَلَيْهِ ٱلْحُجَّابَ : فَقَالَ . إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ أَحْفَظَ أَنَا رَعِيَّتِي لاَ أَنْ يَحْفَظُونِي

(للثعالبي)

عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب

١٢٢ قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ : دَعَانِي عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَالَ : قَدْ نَزَلَ بِبَابِ ٱلْمَدِينَةِ قَافِلَةٌ وَأَخَافُ عَلَيْهِمْ إِذَا نَامُوا أَنْ يُسْرَقَ شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِهِمْ . فَمَضَيْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَصَلْنَا قَالَ لِي : نَمْ أَنْتَ. ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ يَحْرُسُ ٱلْقَافِلَةَ طُولَ لَيْلَتِهِ (للغزالي)

راكب البغل

١٢٣ حَدَّثَ شَبِيبُ بْنُ مَنْصُور قَالَ : كُنْتُ فِي ٱلْمَوْقِفِ وَاقِفًا عَلَى بَابِ ٱلرَّشِيدِ فَإِذَا رَجُلٌ بَشِعُ ٱلْهَيْئَةِ عَلَى بَغْلٍ قَدْ جَاءَ فَوَقَفَ وَجَعَلَ ٱلنَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُسَائِلُونَهُ وَيُضَاحِكُونَهُ . ثُمَّ وَقَفَ فِي ٱلْمَوْقِفِ فَأَقْبَلَ ٱلنَّاسُ يَشْكُونَ أَحْوَالَهُمْ . فَوَاحِدٌ يَقُولُ : كُنْتُ مُنْقَطِعًا إِلَى

فُلَانٌ فَلَمْ يَصْنَعْ بِي خَيْرًا . وَيَقُولُ آخَرُ : أَمَّلْتُ فُلَانًا فَخَابَ أَمَلِي وَفَعَلَ بِي . وَيَشْكُو آخَرُ مِنْ حَالِهِ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ :

فَتَّشْتُ ذِي ٱلدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ أَرَاهُ لِآخَرٍ حَامِدْ
حَتَّى كَأَنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ قَدْ أُفْرِغُوا فِي قَالَبٍ وَاحِدْ

فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هُوَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ (للاصبهاني)

يحيى وأبو جعفر

١٢٤ كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ خَفِيفَ ٱلْحَالِ فَٱسْتَقْضَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ : مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ وَاحِدَةً لَمْ يُغَيِّرْهُ ٱلْمَالُ (للثعالبي)

عمر والسكران

١٢٥ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَأَى سَكْرَانَ فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ لِيُعَزِّرَهُ . فَشَتَمَهُ ٱلسَّكْرَانُ فَرَجَعَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا شَتَمَكَ تَرَكْتَهُ . قَالَ : إِنَّمَا تَرَكْتُهُ لِأَنَّهُ أَغْضَبَنِي . فَلَوْ عَزَّرْتُهُ لَكُنْتُ قَدِ ٱنْتَصَرْتُ لِنَفْسِي فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَضْرِبَ مُسْلِمًا لِحَمِيَّةِ نَفْسِي (للشريشي)

عروة وعبد الملك

١٢٦ دَخَلَ عُرْوَةُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى بُسْتَانٍ. وَكَانَ عُرْوَةُ مُعْرِضًا عَنِ ٱلدُّنْيَا . فَحِينَ رَأَى فِي ٱلْبُسْتَانِ مَا رَأَى قَالَ :

مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْبُسْتَانَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : أَنْتَ وَٱللّٰهِ أَحْسَنُ مِنْهُ لِأَنَّهُ يُؤْتِي أُكُلَهُ كُلَّ عَامٍ وَأَنْتَ تُؤْتِي أُكُلَكَ كُلَّ يَوْمٍ (للشريشي)

الفيلسوف والحسن الوجه

١٢٧ نَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى رَجُلٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ خَبِيثِ ٱلنَّفْسِ فَقَالَ : بَيْتٌ حَسَنٌ وَفِيهِ سَاكِنٌ نَذْلٌ . وَرَأَى آخَرُ شَابًّا جَمِيلاً فَقَالَ . سَلَبَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِكَ فَضَائِلَ نَفْسِكَ . قَالَ ٱلْمُوسَوِيُّ .

لَا تَجْعَلَنَّ دَلِيلَ ٱلْمَرْءِ صُورَتَهُ   كَمْ مَخْبَرٍ سَمِجٍ مِنْ مَنْظَرٍ حَسَنٍ

(للثعالبي)

عمر والغلام

١٢٨ يُقَالُ إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ كَانَ يَنْظُرُ لَيْلاً فِي قِصَصِ ٱلرَّعِيَّةِ فِي ضَوْءِ ٱلسِّرَاجِ . فَجَاءَ غُلَامٌ لَهُ فَحَدَّثَهُ فِي مَعْنًى سَبَبٍ كَانَ يَتَعَلَّقُ بِبَيْتِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ . أَطْفِئِ ٱلسِّرَاجَ ثُمَّ حَدِّثْنِي . لِأَنَّ هٰذَا ٱلدُّهْنَ مِنْ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَجُوزُ ٱسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي أَشْغَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ (للغزالي)

صلاح الدين والمرأة المفقودة الولد

١٢٩ كَانَ صَلَاحُ ٱلدِّينِ إِمَامًا كَامِلاً لَمْ يَلِ مِصْرَ بَعْدَ ٱلصَّحَابَةِ مِثْلُهُ لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ . وَكَانَ رَقِيقَ ٱلْقَلْبِ جِدًّا وَٱلنَّاسُ يَأْمَنُونَ ظُلْمَهُ لِعَدْلِهِ . وَمِنْ صَنَائِعِهِ مَا أَخْبَرَ العِمَادُ قَالَ : قَدْ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ

لصوصٌ يَدْخُلونَ لَيْلاً خيامَ الفَرَنْجِ فيَسْرِقونَ. فاتَّفقَ أنَّ بعضَهُمْ أخذَ صَبِيًّا مِنْ مَهْدِهِ ابنَ ثلاثةِ أشهُرٍ. فوَجدَتْ عليهِ أُمُّهُ وَجْدًا شديدًا واشتكَتْ إلى مُلوكِهِمْ. فقالُوا لَها: إنَّ سُلْطانَ المُسْلِمينَ رَحيمُ القَلْبِ فاذْهَبِي إليهِ. فجاءَتْ إلى السُّلْطانِ صَلاحِ الدِّينِ. فبَكَتْ وَشَكَتْ أمْرَ وَلَدِها فرَقَّ لَها رِقَّةً شديدةً ودَمَعَتْ عَيْناهُ. فأمَرَ بإحْضارِ وَلَدِها فإذا هُوَ بِيعَ في السُّوقِ. فرَسَمَ بدَفْعِ ثَمَنِهِ إلى المُشْتَري. ولَمْ يَزَلْ واقِفًا حَتَّى جِيءَ بالغُلامِ فدَفَعَهُ إلى أُمِّهِ وحَمَلَها على فَرَسٍ إلى قَوْمِها مُكَرَّمَةً (حسن المحاضرة في أخبار القاهرة للسيوطي)

الربيع والاجّانة

١٣٠ رُوِيَ أنَّ الرَّبيعَ الجِيزيَّ صاحِبَ الإمامِ الشّافِعِيِّ مَرَّ يَوْمًا في أَزِقَّةِ مِصْرَ وإذا إجّانَةٌ مَمْلوءَةٌ رَمادًا طُرِحَتْ على رأسِهِ. فنَزَلَ عَنْ دابَّتِهِ وأخَذَ يَنْفُضُ ثِيابَهُ فقِيلَ لَهُ: ألا تَزْجُرُهُمْ: فقالَ: مَنِ اسْتَحَقَّ النّارَ وصُولِحَ بالرَّمادِ فلَيْسَ لَهُ أنْ يَغْضَبَ (للقليوبي)

١٣١ حَضَرَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ المُلوكِ فأغْلَظَ لَهُ السُّلْطانُ. فقالَ لَهُ الرَّجُلُ: إنَّما أنتَ كالسَّماءِ إذا أرْعَدَتْ وأبْرَقَتْ فقَدْ قَرُبَ خَيْرُها. فسَكَنَ غَضَبُهُ وأحْسَنَ إليهِ (للطرطوشي)

غلام وعمه

١٣٢ غُلاَمٌ هَاشِمِيٌّ أَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يُجَازِيَهُ بِسَهْوٍ مِنْهُ . فَقَالَ : يَا عَمِّ إِنِّي قَدْ أَسَأْتُ وَلَيْسَ لِي عَقْلٌ فَلاَ تُسِيءْ وَمَعَكَ عَقْلُكَ (للثعالبي)

الجار السوء

١٣٣ عُرِضَ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ ٱلْخَوْلاَنِيّ حِصَانٌ جَوَادٌ مُضَمَّرٌ فَقَالَ لِقُوَّادِهِ : لِمَاذَا يَصْلُحُ هٰذَا . فَقَالُوا لَهُ : لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ . فَقَالَ : لاَ . فَقَالُوا : لِلِقَاءِ ٱلْعَدُوّ . فَقَالَ : لاَ . فَقَالُوا لَهُ : فَلِمَاذَا يَصْلُحُ أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ . فَقَالَ : أَنْ يَرْكَبَهُ ٱلرَّجُلُ وَيَهْرُبَ مِنَ ٱلْجَارِ ٱلسَّوْءِ (للقليوبي)

عُمر والهرمزان

١٣٤ لَمَّا أُتِيَ عُمَرُ بِٱلْهُرْمُزَانِ أَرَادَ قَتْلَهُ فَٱسْتَسْقَى مَاءً فَأَتَاهُ بِقَدَحٍ فَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ فَٱضْطَرَبَ وَقَالَ : لاَ تَقْتُلْنِي حَتَّى أَشْرَبَ هٰذَا ٱلْمَاءَ . فَقَالَ : نَعَمْ . فَأَلْقَى ٱلْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ . فَأَمَرَ عُمَرُ بِأَنْ يُقْتَلَ فَقَالَ : أَوَلَمْ تُؤَمِّنِّي وَقُلْتَ : لاَ أَقْتُلُكَ حَتَّى تَشْرَبَ هٰذَا ٱلْمَاءَ . فَقَالَ عُمَرُ : قَاتَلَهُ ٱللّٰهُ أَخَذَ أَمَانًا وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ (للثعالبي)

السليك بن السلكة

١٣٥ رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ ٱلسُّلَيْكَ بْنَ ٱلسُّلَكَةِ نَزَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ كِنَانَةَ ضَيْفًا . فَأَكْرَمُوهُ وَجَمَعُوا لَهُ إِبِلاً كَثِيرَةً وَأَعْطَوْهُ

إِيَّاهَا . وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَشَاخَ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَانْتَقَصَ عَدْوُهُ فَقَالُوا لَهُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرِينَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدْوِكَ . قَالَ : نَعَمْ . أَلْقُوا إِلَيَّ أَرْبَعِينَ شَابًّا . وَأْتُونِي بِدِرْعٍ ثَقِيلَةٍ عَظِيمَةٍ . فَأَتَوْهُ بِهَا وَاخْتَارُوا مِنْ شُبَّانِهِمْ أَرْبَعِينَ اقْوِيَاءَ عَدَّائِينَ . فَلَبِسَ سُلَيْكٌ الدِّرْعَ . ثُمَّ قَالَ لِلشُّبَّانِ : الْحَقُونِي . ثُمَّ عَدَا عَدْوًا وَسَطًا وَعَدَا الشُّبَّانُ وَرَاءَهُ جُهْدَهُمْ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ حَتَّى غَابَ عَنْهُمْ . ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا حَتَّى عَادَ إِلَى الْقَوْمِ وَحْدَهُ يَخْطِرُ وَالدِّرْعُ عَلَيْهِ وَسَبَقَ الشُّبَّانَ (للشريشي)

يحيى بن اكثم والمأمون

١٣٥ حُكِيَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ قَالَ : بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَانْتَبَهَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَظَنَّ أَنِّي نَائِمٌ . فَعَطِشَ وَلَمْ يَدْعُ الْغُلَامَ لِئَلَّا أَنْتَبِهَ . وَقَامَ مُتَسَلِّلًا خَائِفًا هَادِئًا فِي خُطَاهُ . حَتَّى أَتَى الْبَرَّادَةَ فَشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يُخْفِي صَوْتَهُ كَأَنَّهُ لِصٌّ حَتَّى اضْطَجَعَ . وَأَخَذَهُ سُعَالٌ فَرَأَيْتُهُ يَجْمَعُ كُمَّهُ فِي فَمِهِ كَيْلَا أَسْمَعَ سُعَالَهُ . وَطَلَعَ الْفَجْرُ فَأَرَادَ الْقِيَامَ وَقَدْ تَنَاوَمْتُ فَصَبَرَ إِلَى أَنْ كَادَتْ تَفُوتُ الصَّلَاةُ فَتَحَرَّكْتُ فَقَالَ : اللهُ أَكْبَرُ يَا غُلَامُ نَبِّهْ أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُ بِعَيْنِي كُلَّ مَا كَانَ اللَّيْلَةَ مِنْ صَنِيعِكَ . وَكَذٰلِكَ جَعَلَنَا اللهُ لَكُمْ عَبِيدًا وَجَعَلَكُمْ لَنَا أَرْبَابًا (لشمس الدين النواجي)

يحي البرمكي وسائله

١٣٦ يُقَالُ إِنَّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ ٱلْبَرْمَكِيَّ خَرَجَ مِنْ دَارِ ٱلْخِلَافَةِ رَاكِبًا إِلَى دَارِهِ فَرَأَى عَلَى بَابِ الدَّارِ رَجُلًا . فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ يَحْيَى نَهَضَ قَائِمًا وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ إِلَيَّ مَا فِي يَدَيْكَ وَقَدْ جَعَلْتُ ٱللّٰهَ وَسِيلَتِي إِلَيْكَ . فَأَمَرَ يَحْيَى أَنْ يُفْرَدَ لَهُ مَوْضِعٌ فِي دَارِهِ وَأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ وَأَنْ يَكُونَ طَعَامُهُ مِنْ خَاصِّ طَعَامِهِ . فَبَقِيَ عَلَى ذٰلِكَ شَهْرًا كَامِلًا . فَلَمَّا ٱنْقَضَى ٱلشَّهْرُ كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَأَخَذَ الرَّجُلُ ٱلدَّرَاهِمَ وَٱنْصَرَفَ فَقِيلَ لِيَحْيَى فَقَالَ : وَٱللّٰهِ لَوْ أَقَامَ عِنْدِي مُدَّةَ عُمْرِي وَطُولَ دَهْرِهِ لَمَا مَنَعْتُهُ صِلَتِي وَلَا قَطَعْتُ عَنْهُ ضِيَافَتِي (للغزالي)

الاطيبان الاخبثان

١٣٧ ذُكِرَ أَنَّ لُقْمَانَ ٱلنُّوبِيَّ ٱلْحَكِيمَ بْنَ عَنْقَاءَ بْنِ بَرْوَقٍ مِنْ أَهْلِ أَيْلَةَ أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ شَاةً وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْبَحَهَا وَيَأْتِيَهُ بِأَخْبَثِ مَا فِيهَا . فَذَبَحَهَا وَأَتَاهُ بِقَلْبِهَا وَلِسَانِهَا . ثُمَّ أَعْطَاهُ شَاةً أُخْرَى وَأَمَرَهُ بِذَبْحِهَا وَيَأْتِيَهُ بِأَطْيَبِ مَا فِيهَا . فَذَبَحَهَا وَأَتَاهُ بِقَلْبِهَا وَلِسَانِهَا . فَسَأَلَهُ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي لَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبُثَا . وَلَا أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا (للقليوبي)

حكاية أدهم

١٣٨ يُذْكَرُ أَنَّ أَدْهَمَ مَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِبَسَاتِينِ مَدِينَةِ بُخَارَى . وَتَوَضَّأَ مِنْ بَعْضِ الْأَنْهَارِ الَّتِي تَتَخَلَّلُهَا فَإِذَا بِتُفَّاحَةٍ يَحْمِلُهَا مَاءُ النَّهْرِ فَقَالَ : هٰذِهِ لَا خَطَرَ لَهَا . فَأَكَلَهَا ثُمَّ وَقَعَ فِي خَاطِرِهِ مِنْ ذٰلِكَ وَسْوَاسٌ فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَسْتَحِلَّ مِنْ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ . فَقَرَعَ بَابَ الْبُسْتَانِ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ فَقَالَ لَهَا : اُدْعِي لِي صَاحِبَ الْمَنْزِلِ . فَقَالَتْ : إِنَّهُ لِامْرَأَةٍ فَقَالَ : اسْتَأْذِنِي لِي عَلَيْهَا . فَفَعَلَتْ فَأَخْبَرَ الْمَرْأَةَ بِخَبَرِ التُّفَّاحَةِ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ هٰذَا الْبُسْتَانَ نِصْفُهُ لِي وَنِصْفُهُ لِلسُّلْطَانِ وَالسُّلْطَانُ يَوْمَئِذٍ بِبَلْخَ وَهِيَ مَسِيرُ عَشْرٍ مِنْ بُخَارَى . وَأَحَلَّتْهُ الْمَرْأَةُ مِنْ نِصْفِهَا . وَذَهَبَ إِلَى بَلْخَ فَاعْتَرَضَهُ السُّلْطَانُ فِي مَوْكِبِهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَاسْتَحَلَّهُ . فَانْذَهَلَ السُّلْطَانُ مِنْ أَمْرِهِ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ

(لابن بطوطة)

حكاية عبد العزيز

١٣٩ كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرًا بِمِصْرَ . فَرَكِبَ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ وَإِذَا رَجُلٌ يُنَادِي وَلَدَهُ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ . فَسَمِعَ الْأَمِيرُ نِدَاءَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِيُنْفِقَهَا عَلَى ذٰلِكَ الْوَلَدِ الَّذِي هُوَ سَمِيُّهُ . فَفَشَا الْخَبَرُ بِمَدِينَةِ مِصْرَ فَكُلُّ مَنْ وُلِدَ لَهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَلَدٌ سَمَّاهُ

عبْدَ ٱلْعَزِيزِ . وبِضِدِّ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْحَاجِبُ تَاشُ ٱلْأَمِيرُ ٱلْحَاجِبُ ٱلْكَبِيرُ بِخُرَاسَانَ مجتَازًا يَوْمًا بِصَيَارِفِ بُخَارَى ورَجُلٌ يُنَادِي غُلَامَهُ وَكَانَ ٱسْمُ ٱلْغُلَامِ تَاشًا. فَأَمَرَ بِإِزَالَةِ الصَّيَارِفِ وَمُصَادَرَتِهِمْ . قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُمُ ٱلِٱسْتِخْفَافَ بِٱسْمِي. فَٱنْظُرِ ٱلْآنَ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ ٱلْحُرِّ ٱلْقُرَشِيِّ وَبَيْنَ ٱلْمَمْلُوكِ ٱلْمُسْتَرَقِّ بِالدِّرْهَمِ (للغزالي)

لقمان والناسك

١٤٠ قَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ : كُنْتُ أَسِيرُ فِي طَرِيقٍ فَرَأَيْتُ رَجلًا عَلَى مِسْحٍ فَقُلْتُ : مَا أَنْتَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ . فَقَالَ : آدَمِيٌّ . قُلْتُ : مَا ٱسْمُكَ . قَالَ : حَتَّى أَنْظُرَ بِمَاذَا أُسَمِّي نَفْسِي . فَقُلْتُ لَهُ . مِنْ أَيْنَ يُعْطِيكَ . فَقَالَ . مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ . فَقُلْتُ . طُوبَى لَكَ وَقُرَّةُ عَيْنٍ . فَقَالَ . وَمَنِ ٱلَّذِي يَمْنَعُكَ عَنْ هٰذِهِ ٱلطُّوبَى وَقُرَّةِ ٱلْعَيْنِ (للاصبهاني)

المتوكل وأبو العيناء

١٤١ سَأَلَ ٱلْمُتَوَكِّلُ أَبَا ٱلْعَيْنَاءِ : مَا أَشَدُّ مَا عَلَيْكَ فِي ذَهَابِ بَصَرِكَ . قَالَ : مَا حُرِمْتُهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ رُؤْيَتِكَ . مَعَ إِجْمَاعِ ٱلنَّاسِ عَلَى جَمَالِكَ (للشريشي)

الرازي وصبيان

١٤٢ حَكَى أَبُو عَلِيٍّ ٱلرَّازِيُّ قَالَ : مَرَرْتُ بِصِبْيَانٍ فِي طَرِيقِ ٱلشَّامِ

يَلْعَبُونَ بِالتُّرَابِ وَقَدِ ارْتَفَعَ الْغُبَارُ فَقُلْتُ : مَهْلاً قَدْ غَبَّرْتُمْ . فَقَالَ صَبِيٌّ مِنْهُمْ : يَا شَيْخُ أَيْنَ تَفِرُّ إِذَا هِيلَ عَلَيْكَ التُّرَابُ فِي الْقَبْرِ . فَغُشِيَ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ وَالصَّبِيُّ قَاعِدٌ عِنْدَ رَأْسِي مَعَ الصِّبْيَانِ يَبْكُونَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَعِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي الْفِرَارِ مِنَ التُّرَابِ . قَالَ : أَنَا لَا أَعْلَمُ وَلَكِنْ سَلْ غَيْرِي . فَقُلْتُ : وَمَنْ غَيْرُكَ . قَالَ : عَقْلُكَ (للشريشي)

الحاج والعجوز

١٤٣ يُقَالُ إِنَّهُ انْقَطَعَ رَجُلٌ مِنْ قَافِلَةِ الْحَاجِّ وَضَلَّ الطَّرِيقَ وَوَقَعَ فِي الرَّمْلِ . فَجَعَلَ يَسِيرُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى خَيْمَةٍ فَرَأَى فِي الْخَيْمَةِ امْرَأَةً عَجُوزًا وَعَلَى بَابِ الْخَيْمَةِ كَلْبًا نَائِمًا . فَسَلَّمَ الْحَاجُّ عَلَى الْعَجُوزِ وَطَلَبَ مِنْهَا طَعَامًا . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ : امْضِ إِلَى ذٰلِكَ الْوَادِي . وَاصْطَدْ مِنَ الْحَيَّاتِ بِقَدْرِ كِفَايَتِكَ لِأَشْوِيَ لَكَ مِنْهَا وَأُطْعِمَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنَا لَا أَجْسُرُ أَنْ أَصْطَادَ الْحَيَّاتِ . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ : أَنَا أَصْطَادُ مَعَكَ فَلَا تَخَفْ . فَمَضَيَا وَتَبِعَهُمَا الْكَلْبُ فَأَخَذَا مِنَ الْحَيَّاتِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمَا . فَأَتَتِ الْعَجُوزُ وَجَعَلَتْ تَشْوِي الْحَيَّاتِ فَلَمْ يَرَ الْحَاجُّ بُدًّا مِنَ الْأَكْلِ وَخَافَ أَنْ يَمُوتَ مِنَ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ فَأَكَلَ . ثُمَّ إِنَّهُ عَطِشَ فَطَلَبَ مِنْهَا الْمَاءَ فَقَالَتْ : دُونَكَ الْعَيْنَ فَاشْرَبْ . فَمَضَى إِلَى الْعَيْنِ فَوَجَدَ الْمَاءَ مُرًّا مَالِحًا وَلَمْ يَجِدْ مِنْ شُرْبِهِ

بُدًّا • فَشَرِبَ وَعَادَ إِلَى ٱلْعَجُوزِ وَقَالَ : أَعْجَبُ مِنْكِ أَيَّتُهَا ٱلْعَجُوزُ وَمِنْ مُقَامِكِ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَٱغْتِذَائِكِ بِهٰذَا ٱلطَّعَامِ • فَقَالَتِ ٱلْعَجُوزُ : كَيْفَ تَكُونُ بِلَادُكُمْ • فَقَالَ : يَكُونُ فِي بِلَادِنَا ٱلدُّورُ ٱلرَّحْبَةُ ٱلْوَاسِعَةُ وَٱلْفَوَاكِهُ ٱلْيَانِعَةُ وَٱلْمِيَاهُ ٱلْعَذْبَةُ وَٱلْأَطْعِمَةُ ٱلطَّيِّبَةُ وَٱللُّحُومُ ٱلسَّمِينَةُ وَٱلنَّعَمُ ٱلْكَثِيرَةُ وَٱلْعُيُونُ ٱلْغَزِيرَةُ • فَقَالَتِ ٱلْعَجُوزُ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا كُلَّهُ فَقُلْ لِي هَلْ تَكُونُونَ تَحْتَ يَدَيْ سُلْطَانٍ يَجُورُ عَلَيْكُمْ وَإِذَا كَانَ لَكُمْ ذَنْبٌ أَخَذَ أَمْوَالَكُمْ وَٱسْتَأْصَلَ أَحْوَالَكُمْ وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَأَمْلَاكِكُمْ • فَقَالَ : قَدْ يَكُونُ ذٰلِكَ • فَقَالَتْ : إِذًا يَعُودُ ذٰلِكَ ٱلطَّعَامُ ٱللَّطِيفُ وَٱلْعَيْشُ ٱلظَّرِيفُ • وَٱلْحَلْوَى ٱلْعَجِيبَةُ مَعَ ٱلْجَوْرِ وَٱلظُّلْمِ سُمًّا نَاقِعًا وَتَعُودُ أَطْعِمَتُنَا مَعَ ٱلْأَمْنِ دِرْيَاقًا نَافِعًا • أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ أَجَلَّ ٱلنِّعَمِ بَعْدَ نِعْمَةِ ٱلْهُدَى ٱلصِّحَّةُ وَٱلْأَمْنُ (للغزالي)

حكاية أبي يعقوب يوسف

١٤٤ قَصَدْنَا مِنْ مَدِينَةِ بَيْرُوتَ زِيَارَةَ قَبْرِ أَبِي يَعْقُوبَ يُوسُفَ ٱلَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ مُلُوكِ ٱلْمَغْرِبِ • وَهُوَ بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِكَرَكِ نُوحٍ مِنْ بِقَاعِ ٱلْعَزِيزِ • وَيُذْكَرُ أَنَّهُ كَانَ يَنْسِجُ ٱلْحُصْرَ وَيَقْتَاتُ بِثَمَنِهَا • وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ فَمَرِضَ بِهَا مَرَضًا

شَدِيدًا وَأَقَامَ مَطْرُوحًا بِالْأَسْوَاقِ . فَلَمَّا بَرِئَ مِنْ مَرَضِهِ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ دِمَشْقَ لِيَلْتَمِسَ بُسْتَانًا يَكُونُ حَارِسًا لَهُ . فَٱسْتُؤْجِرَ لِحِرَاسَةِ بُسْتَانٍ لِلْمَلِكِ نُورِ ٱلدِّينِ وَأَقَامَ فِي حِرَاسَتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَانِ ٱلْفَاكِهَةِ أَتَى ٱلسُّلْطَانُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبُسْتَانِ فَأَمَرَ وَكِيلُ ٱلْبُسْتَانِ أَبَا يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَ بِرُمَّانٍ يَأْكُلُ مِنْهُ ٱلسُّلْطَانُ . فَأَتَاهُ بِرُمَّانٍ فَوَجَدَهُ حَامِضًا . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَكِيلُ : أَتَكُونُ فِي حِرَاسَةِ ٱلْبُسْتَانِ مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْرِفُ ٱلْحُلْوَ مِنَ ٱلْحَامِضِ . فَقَالَ : إِنَّمَا ٱسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى ٱلْحِرَاسَةِ لَا عَلَى ٱلْأَكْلِ . فَأَتَى ٱلْوَكِيلُ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَأَعْلَمَهُ بِذٰلِكَ . فَبَعَثَ ٱلْمَلِكُ إِلَيْهِ وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَ أَبِي يَعْقُوبَ فَتَفَرَّسَ أَنَّهُ هُوَ . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو يَعْقُوبَ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَامَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ . ثُمَّ ٱحْتَمَلَهُ إِلَى مَجْلِسِهِ فَأَضَافَهُ بِضِيَافَةٍ مِنَ ٱلْحَلَالِ ٱلْمُكْتَسَبِ بِكَدِّ يَمِينِهِ . وَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ فَارًّا بِنَفْسِهِ فِي أَوَانِ ٱلْبَرْدِ ٱلشَّدِيدِ (لابن بطوطة)

المنصور والمعتدى عليه

١٤٥ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ ٱلْعُقَلَاءِ غَصَبَهُ بَعْضُ ٱلْوُلَاةِ ضَيْعَةً لَهُ وَٱعْتَدَى عَلَيْهِ . فَذَهَبَ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ أَأَذْكُرُ لَكَ حَاجَتِي أَمْ أَضْرِبُ لَكَ قَبْلَهَا مَثَلًا . فَقَالَ لَهُ : بَلِ ٱضْرِبْ لِي قَبْلَهَا

مَثَلاً . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ فَإِنَّهُ يَفِرُّ إِلَى أُمِّهِ لِنُصْرَتِهِ إِذْ لاَ يَعْرِفُ غَيْرَهَا ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لاَ نَاصِرَ لَهُ فَوْقَهَا . فَإِذَا تَرَعْرَعَ وَاشْتَدَّ كَانَ فِرَارُهُ وَشَكْوَاهُ إِلَى أَبِيهِ لِعِلْمِهِ بِأَنْ أَبَاهُ أَقْوَى مِنْ أُمِّهِ عَلَى نُصْرَتِهِ . فَإِذَا بَلَغَ وَصَارَ رَجُلاً وَحَزَبَهُ أَمْرٌ شَكَا إِلَى الْوَالِي لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ أَبِيهِ . فَإِنْ زَادَ عَقْلُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ شَكَا إِلَى السُّلْطَانِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِمَّنْ سِوَاهُ . فَإِنْ لَمْ يُنْصِفْهُ السُّلْطَانُ شَكَا إِلَى اللهِ تَعَالَى لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنَ السُّلْطَانِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِي نَازِلَةٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ أَقْوَى مِنْكَ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى . فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي وَإِلاَّ رَفَعْتُ أَمْرَهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى . قَالَ : بَلْ نُنْصِفُكَ . وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ إِلَى وَالِيهِ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ إِلَيْهِ

النجاة بعون الله

١٤٦ رُوِيَ أَنَّ سُلْطَانَ صِقِلِّيَةَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ النَّوْمَ . فَأَرْسَلَ إِلَى قَائِدِ الْبَحْرِ وَقَالَ : أَنْفِذِ الآنَ مَرْكَبًا إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ يَأْتُونِي بِأَخْبَارِهَا . فَعَمَّرَ الْقَائِدُ الْمَرْكَبَ وَأَرْسَلَهُ لِحِينِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِالْمَرْكَبِ فِي مَوْضِعِهِ لَمْ يَبْرَحْ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَلَيْسَ قَدْ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ . قَالَ : نَعَمِ امْتَثَلْتُ أَمْرَكَ وَأَنْفَذْتُ الْمَرْكَبَ وَرَجَعَ بَعْدَ سَاعَةٍ وَسَيُحَدِّثُكَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ . فَجَاءَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ وَمَعَهُ رَجُلٌ

فقَالَ ٱلْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أُمِرْتَ . قَالَ : ذَهَبْتُ فِي ٱلْمَرْكَبِ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ وَٱلْبَحَّارُونَ يَجْذِفُونَ فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ يَقُولُ : يَا ٱللّٰهُ يَا ٱللّٰهُ يَا غِيَاثَ ٱلْمُسْتَغِيثِينَ يُكَرِّرُهَا مِرَارًا . فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ صَوْتُهُ فِي أَسْمَاعِنَا . نَادَيْنَاهُ مِرَارًا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . وَهُوَ يُنَادِي : يَا ٱللّٰهُ يَا ٱللّٰهُ يَا غِيَاثَ ٱلْمُسْتَغِيثِينَ . وَنَحْنُ نُجِيبُهُ : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . وَتَوَجَّهْنَا نَحْوَ ٱلصَّوْتِ فَأَلْفَيْنَا هٰذَا ٱلرَّجلَ غَرِيقًا فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنَ ٱلْحَيَاةِ . فَأَخْرَجْنَاهُ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ : فَقَالَ كُنَّا مُقْلِعِينَ مِنَ أَفْرِيقِيَّةَ فَغَرِقَتْ سَفِينَتُنَا مُنْذُ أَيَّامٍ وَمَا زِلْتُ أَسْبَحُ حَتَّى وَجَدْتُ ٱلْمَوْتَ فَلَمْ أَشْعُرْ بِٱلْغَوْثِ إِلاَّ مِنْ نَاحِيَتِكُمْ . فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا وَأَرَّقَ جَبَّارًا فِي قَصْرِهِ لِغَرِيقٍ فِي ٱلْبَحْرِ وَظُلْمَةِ ٱلْوَحْشَةِ حَتَّى ٱسْتَخْرَجَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلظُّلُمَاتِ ٱلثَّلاَثِ ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ وَظُلْمَةِ ٱلْبَحْرِ وَظُلْمَةِ ٱلْوَحْشَةِ . لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ (للطرطوشي)

الجندي والمحتال

١٤٧ إِنَّهُ كَانَ بِثَغْرِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَالٍ يُقَالُ لَهُ حُسَامُ ٱلدِّينِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دَسْتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ جُنْدِيٌّ وَقَالَ لَهُ : ٱعْلَمْ يَا مَوْلاَنَا ٱلْوَالِي أَنِّي دَخَلْتُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ وَنَزَلْتُ فِي خَانٍ كَذَا . فَنِمْتُ فِيهِ إِلَى ثُلُثِ ٱللَّيْلِ فَلَمَّا ٱنْتَبَهْتُ وَجَدْتُ

خُرْجِي مَشْرُوطاً وَقَدْ سُرِقَ مِنْهُ كِيسٌ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ . فَلَمْ يُتِمَّ كَلَامَهُ حَتَّى أَرْسَلَ ٱلْوَالِي وَأَحْضَرَ ٱلْمُقَدَّمِينَ وَأَمَرَهُمْ بِإِحْضَارِ جَمِيعِ مَنْ فِي ٱلْخَانِ وَأَمَرَ بِسِجْنِهِمْ إِلَى ٱلصَّبَاحِ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصُّبْحُ أَمَرَ بِإِحْضَارِ آلَةِ ٱلْعُقُوبَةِ وَأَحْضَرَ هٰؤُلَاءِ ٱلنَّاسَ بِحَضْرَةِ ٱلْجُنْدِيِّ صَاحِبِ ٱلدَّرَاهِمِ وَأَرَادَ عِقَابَهُمْ . وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ وَشَقَّ ٱلنَّاسَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَطْلِقْ هٰؤُلَاءِ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مَظْلُومُونَ . وَأَنَا ٱلَّذِي أَخَذْتُ مَالَ هٰذَا ٱلْجُنْدِيِّ وَهَا هُوَ ٱلْكِيسُ ٱلَّذِي أَخَذْتُهُ مِنْ خُرْجِهِ . ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ كُمِّهِ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ . فَقَالَ ٱلْوَالِي لِلْجُنْدِيِّ : خُذْ مَالَكَ وَتَسَلَّمْهُ فَمَا بَقِيَ لَكَ عَلَى ٱلنَّاسِ سَبِيلٌ . وَصَارَ ٱلنَّاسُ وَجَمِيعُ ٱلْحَاضِرِينَ يُثْنُونَ عَلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ وَيَدْعُونَ لَهُ . ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ قَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ مَا ٱلشَّطَارَةُ أَنِّي جِئْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي وَأَحْضَرْتُ هٰذَا ٱلْكِيسَ وَإِنَّمَا ٱلشَّطَارَةُ فِي أَخْذِ هٰذَا ٱلْكِيسِ ثَانِياً مِنْ هٰذَا ٱلْجُنْدِيِّ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي : وَكَيْفَ فَعَلْتَ يَا شَاطِرُ حِينَ أَخَذْتَهُ . فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنِّي كُنْتُ فِي مِصْرَ فِي سُوقِ ٱلصَّيَارِفِ إِذْ رَأَيْتُ هٰذَا ٱلْجُنْدِيَّ لَمَّا صَرَفَ هٰذَا ٱلذَّهَبَ وَوَضَعَهُ فِي هٰذَا ٱلْكِيسِ فَتَبِعْتُهُ مِنْ زُقَاقٍ إِلَى زُقَاقٍ فَلَمْ أَجِدْ لِي إِلَى

أَخْذِ ٱلْمَالِ مِنْهُ سَبِيلاً . ثُمَّ إِنَّهُ سَافَرَ فَتَبِعْتُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَصِرْتُ أَحْتَالُ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ ٱلطَّرِيقِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى أَخْذِهِ مِنْهُ . فَلَمَّا دَخَلَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ تَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ فِي هٰذَا ٱلْخَانِ . فَنَزَلْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَرَصَدْتُهُ حَتَّى نَامَ وَسَمِعْتُ غَطِيطَهُ . فَمَشَيْتُ إِلَيْهِ قَلِيلاً قَلِيلاً وَقَطَعْتُ ٱلْخُرْجَ بِهٰذِهِ ٱلسِّكِّينِ وَأَخَذْتُ ٱلْكِيسَ هٰكَذَا . وَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ ٱلْكِيسَ مِنْ بَيْنِ أَيَادِي ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ وَتَأَخَّرَ إِلَى خَلْفِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ وَٱلنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يُرِيهِمْ كَيْفَ أَخَذَ ٱلْكِيسَ مِنَ ٱلْخُرْجِ . وَإِذَا بِهِ قَدْ جَرَى وَرَمَى نَفْسَهُ فِي بِرْكَةٍ . فَصَاحَ ٱلْوَالِي عَلَى حَاشِيَتِهِ وَقَالَ : ٱلْحَقُوهُ وَٱنْزِلُوا خَلْفَهُ . فَمَا نَزَعُوا ثِيَابَهُمْ وَنَزَلُوا فِي ٱلدَّرَجِ حَتَّى كَانَ ٱلشَّاطِرُ مَضَى إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ وَفَتَّشُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ . وَذٰلِكَ لِأَنَّ أَزِقَّةَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كُلَّهَا تَنْفُذُ إِلَى بَعْضِهَا . وَرَجَعَ ٱلنَّاسُ وَلَمْ يُحَصِّلُوا ٱلشَّاطِرَ . فَقَالَ ٱلْوَالِي لِلْجُنْدِيِّ : لَمْ يَبْقَ لَكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ حَقٌّ لِأَنَّكَ عَرَفْتَ غَرِيمَكَ وَتَسَلَّمْتَ مَالَكَ وَمَا حَفِظْتَهُ . فَقَامَ ٱلْجُنْدِيُّ وَقَدْ ضَاعَ مَالُهُ وَخَلَصَتِ ٱلنَّاسُ مِنْ أَيْدِيَ ٱلْجُنْدِيِّ وَٱلْوَالِي (ألف ليلة وليلة)

المأمون والصائغ

١٤٨ حَدَّثَ سُلَيْمَانُ ٱلْوَرَّاقُ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَعْظَمَ حِلْماً مِنَ

ٱلْمَأْمُون . دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْماً وَفِي يَدِهِ فَصٌّ مُسْتَطِيلٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ لَهُ شُعَاعٌ قَدْ أَضَاءَ لَهُ ٱلْمَجْلِسُ وَهُوَ يُقَلِّبُهُ بِيَدِهِ وَيَسْتَحْسِنُهُ . ثُمَّ دَعَا بِرَجُلٍ صَائِغٍ وَقَالَ لَهُ : ٱصْنَعْ بِهٰذَا ٱلْفَصِّ كَذَا وَكَذَا وَأَحِلْ فِيهِ كَذَا وَكَذَا . وَعَرَّفَهُ كَيْفَ يَعْمَلُ بِهِ . فَأَخَذَهُ ٱلصَّائِغُ وَٱنْصَرَفَ . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَتَذَكَّرَهُ فَٱسْتَدْعَى بِٱلصَّائِغِ . فَأُتِيَ بِهِ وَهُوَ يُرْعَدُ وَقَدِ ٱنْتُقِعَ لَوْنُهُ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : مَا فَعَلْتَ بِٱلْفَصِّ . فَتَلَجْلَجَ ٱلرَّجُلُ وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلَامٍ . فَفَهِمَ ٱلْمَأْمُونُ بِٱلْفِرَاسَةِ أَنَّهُ حَصَلَ فِيهِ خَلَلٌ . فَوَلَّى وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى سَكَنَ جَأْشُهُ ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَأَعَادَ ٱلْقَوْلَ . فَقَالَ : ٱلْأَمَانَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَكَ ٱلْأَمَانُ . فَأَخْرَجَ ٱلْفَصَّ أَرْبَعَ قِطَعٍ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ سَقَطَ مِنْ يَدِي عَلَى ٱلسَّنْدَانِ فَصَارَ كَمَا تَرَى . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ٱصْنَعْ بِهِ أَرْبَعَ خَوَاتِمَ . وَأَلْطَفَ لَهُ فِي ٱلْكَلَامِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَانَ يَشْتَهِي ٱلْفَصَّ عَلَى أَرْبَعِ قِطَعٍ . فَلَمَّا خَرَجَ ٱلرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ : أَتَدْرُونَ كَمْ قِيمَةُ هٰذَا ٱلْفَصِّ . قُلْنَا : لَا . قَالَ : ٱشْتَرَاهُ ٱلرَّشِيدُ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً

(للأتليدي)

حكاية نظام الملك وأبي سعيد الصوفيّ

١٤٩ حُكِيَ أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ قَصَدَ نِظَامَ ٱلْمُلْكِ فَقَالَ

لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنَا أَبْنِي لَكَ مَدْرَسَةً بِبَغْدَادَ مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ لَا يَكُونُ فِي مَعْمُورِ ٱلْأَرْضِ مِثْلُهَا يُخَلَّدُ بِهَا ذِكْرُكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ ٱلسَّاعَةُ. قَالَ : فَٱفْعَلْ . فَكَتَبَ إِلَى وُكَلَائِهِ بِبَغْدَادَ أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ. فَٱبْتَاعَ بُقْعَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ وَخَطَّ ٱلْمَدْرَسَةَ ٱلنِّظَامِيَّةَ وَبَنَاهَا أَحْسَنَ بُنْيَانٍ وَكَتَبَ عَلَيْهَا ٱسْمَ نِظَامِ ٱلْمُلْكِ . وَبَنَى حَوْلَهَا أَسْوَاقًا تَكُونُ مُحْبَسَةً عَلَيْهَا وَٱبْتَاعَ ضِيَاعًا وَخَانَاتٍ وَحَمَّامَاتٍ وُقِفَتْ عَلَيْهَا . فَكَمَلَتْ لِنِظَامِ ٱلْمُلْكِ بِذٰلِكَ رِئَاسَةٌ وَسُؤْدُدٌ وَذِكْرٌ جَمِيلٌ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ خَبَرُهُ . وَعَمَّ ٱلْمَشَارِقَ وَٱلْمَغَارِبَ أَثَرُهُ . وَكَانَ ذٰلِكَ فِي سِنِي عُشْرِ ٱلْخَمْسِينَ وَٱلْأَرْبَعِمِائَةِ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ . ثُمَّ رَفَعَ حِسَابَ ٱلنَّفَقَاتِ إِلَى نِظَامِ ٱلْمُلْكِ فَبَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ نَمَى ٱلْخَبَرُ إِلَى نِظَامِ ٱلْمُلْكِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَأَهْلِ ٱلْحِسَابِ أَنَّ جَمِيعَ مَا أَنْفَقَ نَحْوُ تِسْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَنَّ سَائِرَ ٱلْأَمْوَالِ ٱحْتَجَبَهَا لِنَفْسِهِ وَخَانَكَ فِيهَا . فَدَعَاهُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ إِلَى أَصْبَهَانَ لِلْحِسَابِ . فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو سَعِيدٍ بِذٰلِكَ أَرْسَلَ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ يَقُولُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُطَبِّقَ ٱلْأَرْضَ بِذِكْرِكَ وَأَنْشُرَ لَكَ فَخْرًا لَا تَمْحُوهُ ٱلْأَيَّامُ . قَالَ : وَمَا هُوَ . قَالَ : أَنْ تَمْحُوَ ٱسْمَ نِظَامِ ٱلْمُلْكِ عَنْ هٰذِهِ ٱلْمَدْرَسَةِ وَتَكْتُبَ ٱسْمَكَ عَلَيْهَا

وَتَزِنَ لَهُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ٱلْخَلِيفَةُ يَقُولُ : أَنْفِذْ مَنْ يَقْبِضُ ٱلْمَالَ . فَلَمَّا ٱسْتَوْثَقَ مِنْهُ مَضَى إِلَى أَصْبَهَانَ فَقَالَ لَهُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ : إِنَّكَ رَفَعْتَ لَنَا نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأُحِبُّ أَنْ تُخْرِجَ ٱلْحِسَابَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : لاَ تُطِلِ ٱلْخِطَابَ إِنْ رَضِيتَ فَبِهَا وَإِلاَّ مَحَوْتُ ٱسْمَكَ ٱلْمَكْتُوبَ عَلَيْهَا وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا ٱسْمَ غَيْرِكَ فَأَرْسِلْ مَعِي مَنْ يَقْبِضُ ٱلْمَالَ . فَلَمَّا أَحَسَّ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ بِذٰلِكَ قَالَ : يَا شَيْخُ قَدْ سَوَّغْنَا لَكَ جَمِيعَ ذٰلِكَ وَلاَ تَمْحُ ٱسْمَنَا . ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ بَنَى بِتِلْكَ ٱلأَمْوَالِ ٱلرِّبَاطَاتِ لِلصُّوفِيَّةِ وَٱشْتَرَى ٱلضِّيَاعَ وَٱلْخَانَاتِ وَٱلْبَسَاتِينَ وَٱلدُّورَ وَوَقَفَ جَمِيعَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلصُّوفِيَّةِ (للطرطوشي)

ان للعالم خالقا

١٥٠ حُكِيَ أَنَّ دَهْرِيًّا جَاءَ إِلَى هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدِ ٱتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِكَ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا . فَمَنْ كَانَ فَاضِلاً مِنْ هٰؤُلاَءِ فَأْمُرْهُ أَنْ يَحْضُرَ هٰهُنَا حَتَّى أَبْحَثَ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأُثْبِتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ . فَأَرْسَلَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ لأَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ ٱلْعُلَمَاءِ . وَقَالَ : يَا إِمَامَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا ٱلدَّهْرِيُّ وَهُوَ يَدَّعِي نَفْيَ ٱلصَّانِعِ وَيَدْعُوكَ إِلَى ٱلْمُنَاظَرَةِ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَذْهَبُ بَعْدَ ٱلظُّهْرِ . فَجَاءَ رَسُولُ ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَ بِمَا

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ . فَأَرْسَلَ ثَانِياً . فَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَتَى إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَاسْتَقْبَلَهُ هَارُونُ وَجَاءَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ فِي الصَّدْرِ وَقَدِ اجْتَمَعَ الْأَكَابِرُ وَالْأَعْيَانُ . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : يَا أَبَا حَنِيفَةَ لِمَ أَبْطَأْتَ فِي مَجِيئِكَ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : قَدْ حَصَلَ لِي أَمْرٌ عَجِيبٌ فَلِذَلِكَ أَبْطَأْتُ . وَذَلِكَ أَنَّ بَيْتِي وَرَاءَ الدِّجْلَةِ . فَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي وَجِئْتُ إِلَى جَنْبِ الدِّجْلَةِ حَتَّى أَعْبُرَهَا فَرَأَيْتُ بِجَنْبِ الدِّجْلَةِ سَفِينَةً عَتِيقَةً مُقَطَّعَةً قَدِ افْتَرَقَ أَلْوَاحُهَا . فَلَمَّا وَقَعَ بَصَرِي عَلَيْهَا اضْطَرَبَتِ الْأَلْوَاحُ وَتَحَرَّكَتْ وَاجْتَمَعَتْ وَتَوَصَّلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَصَارَتِ السَّفِينَةُ صَحِيحَةً بِلَا نَجَّارٍ وَلَا عَمَلِ عَامِلٍ . فَقَعَدْتُ عَلَيْهَا وَعَبَرْتُ الْمَاءَ وَجِئْتُ هٰهُنَا . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : اسْمَعُوا أَيُّهَا الْأَعْيَانُ مَا يَقُولُ إِمَامُكُمْ وَأَفْضَلُ زَمَانِكُمْ . فَهَلْ سَمِعْتُمْ كَلَاماً أَكْذَبَ مِنْ هٰذَا كَيْفَ تَحْصُلُ السَّفِينَةُ الْمَكْسُورَةُ بِلَا عَمَلِ نَجَّارٍ فَهُوَ كَذِبٌ مَحْضٌ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَائِكُمْ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَيُّهَا الْكَافِرُ الْمُطْلَقُ إِذَا لَمْ تَحْصُلِ السَّفِينَةُ بِلَا صَانِعٍ وَنَجَّارٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ هٰذَا الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ بِعَدَمِ الصَّانِعِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِ الدَّهْرِيِّ فَقَتَلُوهُ (للسيوطي)

الباب الرابع

فِي ٱلْفُكَاهَاتِ

١٥١ نَظَرَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ إِلَى أَحْمَقَ عَلَى حَجَرٍ فَقَالَ : حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ (للأَبشيهي)

١٥٢ نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى فَيْلَسُوفٍ يُؤَدِّبُ شَيْخًا فَقَالَ لَهُ : مَا تَصْنَعُ . قَالَ : أَغْسِلُ حَبَشِيًّا لَعَلَّهُ يَبْيَضُّ (للمستعصميّ)

١٥٣ قَالَ ٱلْحَاجِرِيُّ يَهْجُو طَبِيبًا :

يَمْشِي وَعِزْرَائِيلُ مِنْ خَلْفِهِ يُشَمِّرُ ٱلْأَرْدَانَ لِلْقَبْضِ

١٥٤ قِيلَ إِنَّ رَجُلًا ٱدَّعَى ٱلنُّبُوَّةَ فِي أَيَّامِ أَحَدِ ٱلْمُلُوكِ . فَلَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : أَنْتَ نَبِيٌّ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَإِلَى مَنْ بُعِثْتَ . قَالَ : إِلَيْكَ . قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ سَفِيهٌ أَحْمَقُ . قَالَ : إِنَّمَا يُبْعَثُ لِكُلِّ قَوْمٍ مِثْلُهُمْ . فَضَحِكَ ٱلْمَلِكُ وَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ (للأَبشيهي)

١٥٥ تَرَكَ رَجُلٌ ٱلنَّبِيذَ فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تَرَكْتَهُ وَهُوَ رَسُولُ ٱلسُّرُورِ إِلَى ٱلْقَلْبِ . فَقَالَ : وَلٰكِنَّهُ بِئْسَ ٱلرَّسُولُ . يُبْعَثُ إِلَى ٱلْجَوْفِ فَيَذْهَبُ إِلَى ٱلرَّأْسِ (للشريشي)

١٥٦ سَرَقَ رَجلٌ صُرَّةً مِنَ ٱلدَّرَاهِمِ وَمَضَى حَتَّى أَتَى إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَدَخَلَ يُصَلِّي. فَقَرَأَ ٱلإِمَامُ : وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . وَكَانَ ٱسْمُ ٱلأعْرَابِيِّ . فَقَالَ : لاَ شَكَّ أَنَّكَ سَاحِرٌ. ثمَّ رَمَى ٱلصُّرَّةَ وَخَرَجَ هَارِبًا

(للقليوبي)

١٥٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْمُلُوكِ لِصَاحِبِ خَيْلِهِ : قَدِّمْ لِي ٱلْفَرَسَ ٱلأَبْيَضَ . فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لاَ تَقُلِ ٱلْفَرَسَ ٱلأَبْيَضَ . فَإِنَّهُ عَيْبٌ يُخِلُّ بِهَيْبَةِ ٱلْمُلُوكِ وَلٰكِنِ ٱلْفَرَسَ ٱلأَشْهَبَ . فَلَمَّا أُحْضِرَ ٱلطَّعَامُ قَالَ لِصَاحِبِ ٱلسِّمَاطِ : قَدِّمِ ٱلصَّحْنَ ٱلأَشْهَبَ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : قُلْ مَاشِئْتَ فَمَا لِي حِيلَةٌ فِي تَقْوِيمِكَ

(للأبشيهي)

١٥٨ نَظَرَ أَشْعَبُ إِلَى رَجلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا . فَقَالَ لَهُ : أَسْأَلُكَ بِٱللهِ إِلاَّ زِدتَّ فِي سَعَتِهِ طَوْقًا أَوْ طَوْقَيْنِ . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجلُ : مَا مَعْنَى ذٰلِكَ . قَالَ : لَعَلَّهُ أَنْ يُهْدَى إِلَيَّ يَوْمًا فِيهِ شَيْءٌ

(للشريشي)

١٥٩ كَانَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلشَّيْخِ ٱلْكَرْمَانِيِّ شَاعِرًا عَلَى زِيِّ ٱلْفُقَرَاءِ عَلِيلَ ٱلْعَيْنَيْنِ وَكَانَ يَصْنَعُ ٱلأَكْحَالَ وَيَبِيعُ ٱلطَّالِبِينَ . فَٱشْتَرَى مِنْهُ أَحَدٌ يَوْمًا كُحْلاً بِدِرْهَمٍ وَرَأَى ٱلْمُشْتَرِي أَنَّ عَيْنَهُ عَلِيلَةٌ فَأَعْطَاهُ دِرْهَمَيْنِ وَقَالَ : هٰذَا ثَمَنُ كُحْلِكَ وَهٰذَا ٱلآخَرُ لَكَ .

اُشْتَرِ بِهِ أَنتَ أَيضاً كُحلاً وَكَحِلْ عَيْنَيْكَ . فَاَستَحْسَنَ الشَّيْخُ ذٰلِكَ

(لابن طقطقي)

الحجّاج والشيخ

١٦٠ حُكِيَ أَنَّ الحَجَّاجَ خَرَجَ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ لِلتَّنَزُّهِ فَصَرَفَ عَنْهُ أَصْحَابَهُ وَانْفَرَدَ بِنَفْسِهِ فَلَاقَى شَيْخاً مِنْ بَنِي عِجْلٍ فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ يَا شَيْخُ . قَالَ : مِنْ هٰذِهِ القَرْيَةِ . قَالَ : مَا رَأْيُكُمْ بِحُكَّامِ البِلَادِ . قَالَ : كُلُّهُمْ أَشْرَارٌ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَخْتَلِسُونَ أَمْوَالَهُمْ . قَالَ : وَمَا قَوْلُكَ فِي الحَجَّاجِ . قَالَ : هٰذَا أَنْجَسُ الكُلِّ سَوَّدَ اللّٰهُ وَجْهَهُ وَوَجْهَ مَنِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى هٰذِهِ البِلَادِ . فَقَالَ الحَجَّاجُ : أَتَعْرِفُ مَنْ أَنَا . قَالَ : لَا وَاللّٰهِ . قَالَ : أَنَا الحَجَّاجُ . قَالَ : أَنَا فِدَاكَ . وَأَنْتَ تَعْرِفُ مَنْ أَنَا . قَالَ : لَا . قَالَ : أَنَا زَيْدُ بْنُ عَامِرٍ مَجْنُونُ بَنِي عِجْلٍ أُصْرَعُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً فِي مِثْلِ هٰذِهِ السَّاعَةِ . فَضَحِكَ الحَجَّاجُ وَأَجَازَهُ (لابن قتيبة)

الرشيد ومدّعي النبوءة

١٦١ إِدَّعَى رَجُلٌ النُّبُوءَةَ فِي زَمَانِ الرَّشِيدِ . فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ قُدَّامَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ قَالَ لَهُ : لِكُلِّ نَبِيٍّ بَيِّنَةٌ تَدُلُّ عَلَى نُبُوءَتِهِ . فَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ دَلَائِلِكَ . قَالَ : اسْأَلْ مَا تُرِيدُ . قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تَصِيرَ هٰؤُلَاءِ المَمَالِيكُ المُرْدُ كُلُّهُمْ بِلِحًى . فَأَطْرَقَ إِلَى الأَرْضِ سَاعَةً ثُمَّ

رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : كَيْفَ يَحِلُّ أَنْ أُصَيِّرَ هؤُلاَءِ ٱلْمُرْدَ بِلِحًى وَأُغَيِّرَ هٰذِهِ ٱلصُّورَةَ ٱلْحَسَنَةَ وَلٰكِنْ أُصَيِّرُ هؤُلاَءِ ٱلَّذِينَ هُمْ بِلِحًى مُرْدًا فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَٱسْتَحْسَنَ ٱلرَّشِيدُ جَوَابَهُ وَعَفَا عَنْهُ

(لابن طقطقي)

١٦٢ يُقَالُ إِنَّ هَبَنَّقَةَ كَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَهْلِهِ فَيَرْعَى ٱلسِّمَانَ فِي ٱلْعُشْبِ وَيُنَحِّي ٱلْمَهَازِيلَ . فَقِيلَ لَهُ : وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ . فَقَالَ : لاَ أُصْلِحُ مَا أَفْسَدَ ٱللهُ وَلاَ أُفْسِدُ مَا أَصْلَحَ ٱللهُ (لطائف العرب)

المعتصم وابن الجنيد

١٦٣ كَانَ ٱلْمُعْتَصِمُ يَأْنَسُ بِعَلِيِّ بْنِ ٱلْجُنَيْدِ ٱلإِسْكَافِيِّ . وَكَانَ عَجِيبَ ٱلصُّورَةِ وَٱلْحَدِيثِ . فَقَالَ ٱلْمُعْتَصِمُ لِٱبْنِ حَمَّادٍ : ٱذْهَبْ إِلَى ٱبْنِ ٱلْجُنَيْدِ وَقُلْ لَهُ يَتَهَيَّأْ لِيُزَامِلَنِي . فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : تَهَيَّأْ لِمُزَامَلَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ مُزَامَلَةَ ٱلْخُلَفَاءِ كَبِيرَةٌ . فَقَالَ : كَيْفَ أَتَهَيَّأُ لَهَا . أُصِيبُ رَأْسًا غَيْرَ رَأْسِي . أَشْتَرِي لِحْيَةً غَيْرَ لِحْيَتِي . قَالَ ٱبْنُ حَمَّادٍ : شُرُوطُهَا ٱلإِمْتَاعُ بِٱلْحَدِيثِ وَٱلْمُذَاكَرَةِ وَٱلْمُنَادَمَةِ . وَأَنْ لاَ تَبْصُقَ وَلاَ تَسْعُلَ وَلاَ تَمْتَخِطَ وَلاَ تَتَنَحْنَحَ . وَأَنْ تَتَقَدَّمَ فِي ٱلرُّكُوبِ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَيْلِ وَأَنْ يَتَقَدَّمَكَ فِي ٱلنُّزُولِ . فَمَتَى لَمْ يَفْعَلْ هٰذَا ٱلْمُعَادِلُ كَانَ وَمُثَقَّلَةَ ٱلرَّصَاصِ ٱلَّتِي يُعَدَّلُ بِهَا ٱلْقُبَّةُ وَاحِدًا . فَقَالَ لِٱبْنِ حَمَّادٍ :

اُذْهَبْ قُلْ لَهُ : لاَ نُزَامِلُكَ إِلاَّ مَنْ كَانَ ذَا نِيءٍ الْأَصْلِ . فَرَجَعَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ وَأَخْبَرَهُ فَضَحِكَ وَقَالَ : عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا عَلِيُّ أَبْعَثُ إِلَيْكَ أَنْ تُزَامِلَنِي فَلاَ تَفْعَلُ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ رَسُولَكَ هٰذَا الْأَرْعَنَ جَاءَنِي بِشُرُوطِ حَسَانَ السَّامِيِّ وَخَالَوَيْهِ الْحَاكِمِيِّ . فَقَالَ : لاَ تَبْصُقْ وَلاَ تَعْطُسْ . وَجَعَلَ يُفَرْقِعُ بِصَادَاتِهِ وَهٰذَا لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ . فَإِنْ رَضِيتَ أَنْ أُزَامِلَكَ إِذَا أَتَتْنِي الْعَطْسَةُ عَطَسْتُ وَإِلاَّ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَمَلٌ . فَضَحِكَ الْمُعْتَصِمُ حَتَّى فَحَصَ بِرِجْلَيْهِ وَقَالَ : نَعَمْ زَامِلْنِي عَلَى هٰذِهِ الشُّرُوطِ (للشريشي)

الضيف المضجر الممل

١٦٤ أَضَافَ رَجُلٌ رَجُلاً فَأَطَالَ الْمُقَامَ حَتَّى كَرِهَهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ : كَيْفَ لَنَا أَنْ نَعْلَمَ مِقْدَارَ مُقَامِهِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَلْقِ بَيْنَنَا شَرًّا حَتَّى نَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ . فَفَعَلَ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلضَّيْفِ : بِالَّذِي يُبَارِكُ لَكَ فِي غُدُوِّكَ غَدًا أَيُّنَا أَظْلَمُ . فَقَالَ : وَالَّذِي يُبَارِكُ لِي فِي قِيَامِي عِنْدَكُمْ شَهْرًا مَا أَعْلَمُ

البصريّ والمدنيّ

١٦٥ نَزَلَ بَصْرِيٌّ عَلَى مَدَنِيٍّ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ . فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ فَقَالَ الْمَدَنِيُّ لِامْرَأَتِهِ : إِذَا كَانَ يَوْمُ غَدٍ فَإِنِّي أَقُولُ لِضَيْفِنَا:

كَمْ ذِرَاعٍ تَقفِزُ فَأَقْفِزَ . فَإِذَا قفَزَ فَأَغلِقِي ٱلْبَابَ خَلْفَهُ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ قَالَ ٱلْمَدَنِيُّ : كَمْ قَفْزُكَ يَا أَبَا فُلَانٍ . قَالَ : جَيِّدٌ . فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَقفِزَ مَعَهُ فَأَجَابَهُ . فَوَثَبَ ٱلْمَدَنِيُّ مِنْ دَارِهِ إِلَى خَارِجٍ أَذْرُعًا . وَقَالَ لِلضَّيْفِ : ثِبْ أَنْتَ . فَوَثَبَ ٱلضَّيْفُ إِلَى دَاخِلِ ٱلدَّارِ ذِرَاعَيْنِ . فَقَالَ لَهُ : وَثَبْتُ أَنَا إِلَى خَارِجِ ٱلدَّارِ أَذْرُعًا وَأَنْتَ إِلَى دَاخِلِهَا ذِرَاعَيْنِ. فَقَالَ ٱلضَّيْفُ : ذِرَاعَانِ فِي ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى خَارِجٍ (للمبرّد)

الشاعر والمأمون

١٦٦ أَتَى شَاعِرٌ ٱلْمَأْمُونَ فَقَالَ : لَقَدْ قُلْتُ فِيكَ شِعْرًا . فَقَالَ : أَنْشِدْنِيهِ . فَقَالَ :

حَيَّاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ حَيَّاكَا   إِذْ بِجَمَالِ ٱلْوَجْهِ رَقَّاكَا
بَغْدَادُ مِنْ نُورِكَ قَدْ أَشْرَقَتْ   وَأَوْرَقَ ٱلْعُودُ بِجَدْوَاكَا

(قَالَ) فَأَطْرَقَ ٱلْمَأْمُونُ سَاعَةً وَقَالَ : يَا أَعْرَابِيُّ وَأَنَا قَدْ قُلْتُ فِيكَ شِعْرًا وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

حَيَّاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ حَيَّاكَ   إِنَّ ٱلَّذِي أَمَّلْتَ أَخْطَاكَا
أَتَيْتَ شَخْصًا قَدْ خَلَا كِيسُهُ   وَلَوْ حَوَى شَيْئًا لَأَعْطَاكَا

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلشِّعْرُ بِٱلشِّعْرِ حَرَامٌ . فَٱجْعَلْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا يُسْتَطَابُ . فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ (للأتليدي)

هارون الرشيد وجعفر مع الشيخ البدويّ

١٦٧ مِمَّا يُحْكَى أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ خَرَجَ يَوْماً مِنَ ٱلْأَيَّامِ هُوَ وَأَبُو يَعْقُوبَ ٱلنَّدِيمُ وَجَعْفَرٌ ٱلْبَرْمَكِيُّ وَأَبُو نوَاس وَسَارُوا فِي ٱلصَّحْرَاءِ . فَرَأَوْا شَيْخاً مُتَّكِئاً عَلَى حِمَارٍ لَهُ فَقَالَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ لِجَعْفَرٍ : اُسْأَلْ هٰذَا ٱلشَّيْخَ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ . قَالَ : مِنَ ٱلْبَصْرَةِ . قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : وَإِلَى أَيْنَ سَيْرُكَ . قَالَ : إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ فِيهَا . قَالَ : أَلْتَمِسُ دَوَاءً لِعَيْنِي . فَقَالَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ : يَا جَعْفَرُ مَازِحْهُ . فَقَالَ : إِذَا مَازَحْتُهُ أَسْمَعُ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ . فَقَالَ بِحَقِّي عَلَيْكَ أَنْ تُمَازِحَهُ . فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلشَّيْخِ : إِنْ وَصَفْتُ لَكَ دَوَاءً يَنْفَعُكَ فَمَا ٱلَّذِي تُكَافِئُنِي بِهِ . فَقَالَ لَهُ : ٱللّٰهُ تَعَالَى يُكَافِئُكَ عَنِّي بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مُكَافَأَتِي . فَقَالَ : أَنْصِتْ إِلَيَّ حَتَّى أَصِفَ لَكَ هٰذَا ٱلدَّوَاءَ ٱلَّذِي لَا أَصِفُهُ لِأَحَدٍ غَيْرِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا هُوَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : خُذْ لَكَ ثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ هُبُوبِ ٱلرِّيحِ وَثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ شُعَاعِ ٱلشَّمْسِ وَثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ زَهْرِ ٱلْقَمَرِ وَثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ نُورِ ٱلسِّرَاجِ . وَٱجْمَعِ ٱلْجَمِيعَ وَضَعْهَا فِي ٱلرِّيحِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ ضَعْهَا فِي هَاوَنٍ بِلَا قَعْرٍ وَدُقَّهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . فَإِذَا دَقَقْتَهَا فَضَعْهَا فِي جَفْنَةٍ مَشْقُوقَةٍ وَضَعِ ٱلْجَفْنَةَ فِي ٱلرِّيحِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ

اُسْتَعْمِلْ هٰذَا الدَّوَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلاثَةَ دَرَاهِمَ عِنْدَ النَّوْمِ . وَاُسْتَمِرَّ عَلَى ذٰلِكَ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ فَإِنَّكَ تُعَافَى إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى. فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْخُ كَلامَ جَعْفَرٍ قَالَ : لاَ عَافَاكَ اللّٰهُ يَا صَافِعَ الذَّقَنِ . خُذْ مِنِّي هٰذِهِ اللَّطْمَةَ مُكَافَأَةً لَكَ عَلَى وَصْفِكَ هٰذَا الدَّوَاءَ . وَبَادَرَهُ بِضَرْبَةٍ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ . فَضَحِكَ هَارُونُ الرَّشِيدُ حَتَّى اُسْتَلْقَى وَأَمَرَ لِذٰلِكَ الرَّجُلِ بِثَلاثَةِ آلافِ دِرْهَمٍ (ألف ليلة وليلة)

العليل والناسك

١٦٨ نَزَلَ رَجُلٌ بِصَوْمَعَةِ نَاسِكٍ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ أَرْبَعَةَ أَرْغِفَةٍ وَذَهَبَ لِيُحْضِرَ إِلَيْهِ عَدَساً . فَحَمَلَهُ وَجَاءَ فَوَجَدَهُ قَدْ أَكَلَ الْخُبْزَ فَذَهَبَ فَأَتَى بِغَيْرِهِ فَوَجَدَهُ قَدْ أَكَلَ الْعَدَسَ . فَفَعَلَ مَعَهُ ذٰلِكَ عَشْرَ مَرَاتٍ . فَسَأَلَهُ النَّاسِكُ أَيْنَ مَقْصِدُهُ . قَالَ : إِلَى الأرْدُنّ . قَالَ : لِمَاذَا . قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ بِهَا طَبِيباً حَاذِقاً أَسْأَلُهُ عَمَّا يُصْلِحُ مَعِدَتِي . فَإِنِّي قَلِيلُ الشَّهْوَةِ لِلطَّعَامِ . فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : إِذَا ذَهَبْتَ وَأَصْلَحْتَ مَعِدَتَكَ فَلاَ تَجْعَلْ رُجُوعَكَ عَلَيَّ وَقَالَ :

يَا ضَيْفَنَا لَوْ زُرْتَنَا لَوَجَدْتَنَا نَحْنُ الضُّيُوفَ وَأَنْتَ رَبَّ الْمَنْزِلِ

الأعرابيان

١٦٩ قِيلَ خَرَجَ أَعْرَابِيٌّ قَدْ وَلَّاهُ ٱلْحَجَّاجُ بَعْضَ ٱلنَّوَاحِي فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً . فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ وَرَدَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ حَيِّهِ . فَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلطَّعَامَ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ جَائِعًا فَسَأَلَهُ عَنْ أَهْلِهِ وَقَالَ : مَا حَالُ ٱبْنِي عُمَيْرٍ . قَالَ : عَلَى مَا تُحِبُّ قَدْ مَلَأَ ٱلْأَرْضَ وَٱلْحَيَّ رِجَالًا وَنِسَاءً . قَالَ : فَمَا حَالُ أُمِّ عُمَيْرٍ . قَالَ : صَالِحَةٌ أَيْضًا . قَالَ : فَمَا حَالُ ٱلدَّارِ . قَالَ : عَامِرَةٌ بِأَهْلِهَا . قَالَ : وَكَلْبُنَا إِيقَاعٌ . قَالَ : قَدْ مَلَأَ ٱلْحَيَّ نَبْحًا . قَالَ : فَمَا حَالُ جَمَلِي زُرَيْقٍ . قَالَ : عَلَى مَا يَسُرُّكَ . (قَالَ) فَٱلْتَفَتَ إِلَى خَادِمِهِ وَقَالَ : ٱرْفَعِ ٱلطَّعَامَ . فَرَفَعَهُ وَلَمْ يَشْبَعِ ٱلْأَعْرَابِيُّ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ وَقَالَ : يَا مُبَارَكَ ٱلنَّاصِيَةِ أَعِدْ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ . قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ . قَالَ : فَمَا حَالُ كَلْبِي إِيقَاعٍ . قَالَ : مَاتَ . قَالَ : وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهُ . قَالَ : ٱخْتَنَقَ بِعَظْمَةٍ مِنْ عِظَامِ جَمَلِكَ زُرَيْقٍ فَمَاتَ . قَالَ : أَوَمَاتَ جَمَلِي زُرَيْقٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهُ . قَالَ : كَثْرُ نَقْلِ ٱلْمَاءِ إِلَى قَبْرِ أُمِّ عُمَيْرٍ . قَالَ : أَوَمَاتَتْ أُمُّ عُمَيْرٍ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهَا . قَالَ : كَثْرَةُ بُكَائِهَا عَلَى عُمَيْرٍ . قَالَ : أَوَمَاتَ عُمَيْرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهُ . قَالَ : سَقَطَتْ عَلَيْهِ ٱلدَّارُ . قَالَ : أَوَسَقَطَتِ ٱلدَّارُ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَامَ لَهُ بِٱلْعَصَا

ضَارِباً . فوَلَّى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ هَارِباً (للأبشيهي)

قصة أبي دُلامة والخليفة السفّاح

١٧٠ قيلَ إِنَّ أَبَا دُلاَمَةَ الشَّاعِرَ كَانَ وَاقِفاً بَيْنَ يَدَيِ السَّفَّاحِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : سَلْنِي حَاجَتَكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلاَمَةَ : أُرِيدُ كَلْبَ صَيْدٍ . فَقَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ : وَأُرِيدُ دَابَّةً أَتَصَيَّدُ عَلَيْهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهَا . قَالَ : وَغُلاَماً يَقُودُ الْكَلْبَ وَيَصِيدُ بِهِ . قَالَ : أَعْطُوهُ غُلاَماً . قَالَ : وَجَارِيَةً تُصْلِحُ الصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا مِنْهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ جَارِيَةً . قَالَ : هُؤُلاَءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبِيدُكَ . فَلاَ بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ يَسْكُنُونَهَا . فَقَالَ : أَعْطُوهُ دَارًا تَجْمَعُهُمْ . قَالَ : وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَعِيشُونَ . قَالَ : قَدْ أَقْطَعْتُكَ عَشْرَ ضِيَاعٍ عَامِرَةٍ وَعَشْرَ ضِيَاعٍ غَامِرَةٍ . قَالَ : وَمَا الْغَامِرَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا لاَ نَبَاتَ فِيهَا . قَالَ : قَدْ أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِائَةَ ضَيْعَةٍ غَامِرَةٍ مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدٍ . فَضَحِكَ مِنْهُ وَقَالَ : اجْعَلُوهَا كُلَّهَا عَامِرَةً (للأتليدي)

المأمون والطفيلي

١٧١ رَوَى ابْنُ عَامِرٍ الْفِهْرِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ : أَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَشَرَةُ رِجَالٍ كَانُوا قَدْ رُمُوا عِنْدَهُ بِالزَّنْدَقَةِ

فَحُمِلُوا إِلَيْهِ . فَمَرَّ بِهِمْ طُفَيْلِيٌّ فَرَآهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَظَنَّ خَيْرًا وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى السَّاحِلِ وَقَالَ : مَا اجْتَمَعَ هٰؤُلَاءِ إِلاَّ لِوَلِيمَةٍ . فَانْسَلَّ وَدَخَلَ الزَّوْرَقَ وَقَالَ : لاَ شَكَّ أَنَّهَا نُزْهَةٌ . فَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ يَسِيرٌ حَتَّى قَيَّدُوا الْقَوْمَ وَقُيِّدَ مَعَهُمْ . فَعَلِمَ أَنَّهُ وَقَعَ فِيمَا لاَ طَاقَةَ لَهُ بِهِ وَرَامَ الْخَلاَصَ فَلَمْ يَقْدِرْ . وَسَارُوا إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى بَغْدَادَ وَأُدْخِلُوا عَلَى الْمَأْمُونِ . فَاسْتَدْعَى بِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ . وَجَعَلَ يُذَكِّرُهُ بِفِعْلِهِ وَبِقَوْلِهِ وَيَضْرِبُ عُنُقَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلاَّ الطُّفَيْلِيُّ . وَفَرَغَتِ الْعَشَرَةُ فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْمُتَوَكِّلِ : مَنْ هٰذَا . فَقَالَ : لاَ أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّنَا رَأَيْنَاهُ مَعَهُمْ فَجِئْنَا بِهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَعْرِفْ مِنْ أَحْوَالِهِمْ شَيْئًا وَإِنَّمَا رَأَيْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا وَلِيمَةٌ يُدْعَوْنَ إِلَيْهَا فَلَحِقْتُ بِهِمْ . فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : أَوَ قَدْ بَلَغَ مِنْ شُؤْمِ التَّطَفُّلِ أَنْ يَحُلَّ بِصَاحِبِهِ هٰذَا الْمَحَلَّ . لَقَدْ سَلِمَ هٰذَا الْجَاهِلُ مِنَ الْقَتْلِ وَلٰكِنْ يُؤَدَّبْ حَتَّى لاَ يَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا (للأتليدي)

اللصان والحمار

١٧٢ قِيلَ إِنَّ لِصَّيْنِ سَرَقَا حِمَارًا وَمَضَى أَحَدُهُمَا لِيَبِيعَهُ . فَقَابَلَهُ رَجُلٌ مَعَهُ طَبَقٌ فِيهِ سَمَكٌ فَقَالَ لَهُ : أَتَبِيعُ هٰذَا الْحِمَارَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ : أَمْسِكْ هٰذَا الطَّبَقَ حَتَّى أَرْكَبَهُ وَأُجَرِّبَهُ فَإِنْ أَعْجَبَنِي

اشْتَرَيْتهُ بِثَمَنٍ يُعْجِبُكَ . فَأَمْسَكَ اللِّصُّ الطَّبَقَ وَرَكِبَ الرَّجُلُ الحِمَارَ وَأَخَذَ يُرَدِّدُهُ وَيُجْرِيهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا حَتَّى ابْتَعَدَ عَنِ اللِّصِّ كَثِيرًا.. فَدَخَلَ بَعْضَ الأَزِقَّةِ وَمَا زَالَ يَقْطَعُ بِهِ مِنْ زُقَاقٍ إِلَى آخَرَ حَتَّى اخْتَفَى عَنْهُ بِالكُلِّيَّةِ . فَأَخَذَتِ اللِّصَّ الحَيْرَةُ مِنْ ذَلِكَ وَعَرَفَ أَخِيرًا أَنَّهَا حِيلَةٌ عَلَيْهِ . فَرَجَعَ بِالطَّبَقِ فَالْتَقَاهُ رَفِيقُهُ فَقَالَ : مَافَعَلْتَ بِالحِمَارِ هَلْ بِعْتَهُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : بِكَمْ . قَالَ : بِرَأْسِ مَالِهِ وَهَذَا الطَّبَقُ رِبْحٌ . فَقَالَ مُتَمَثِّلاً :

وَلَكَمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِيدَ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفَّيْ حُنَيْنِ

القاضي والتاجر

١٧٣ كَانَ القَاضِي ابْنُ حَدِيدٍ نَاظِرَ الدِّيوَانِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَقَاضِيهَا. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الدِّيوَانِ أَحْضَرَ التَّرْجُمَانُ بَعْضَ تُجَّارِ الفِرَنْجِ الوَاصِلِينَ وَلِحْيَتُهُ مَحْلُوقَةٌ وَشَوَارِبُهُ سَالِمَةٌ . وَكَانَ ابْنُ حَدِيدٍ لَهُ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ وَشَوَارِبُهُ خَفِيفَةٌ لاَ تَكَادُ أَنْ تَتَبَيَّنَ إِلاَّ مِنْ قُرْبٍ . فَسَأَلَ ابْنُ حَدِيدٍ التَّاجِرَ عَنْ بِضَاعَتِهِ وَبَلَدِهِ وَالتَّرْجُمَانُ يُفَسِّرُ لَهُ . ثُمَّ قَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ لأَيِّ مَعْنًى حَلَقْتَ لِحْيَتَكَ وَتَرَكْتَ شَوَارِبَكَ. فَسَأَلَهُ التَّرْجُمَانُ عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ الفِرَنْجِيُّ : قُلْ لِلْقَاضِي إِنَّ الأَسَدَ بِشَوَارِبَ بِلاَ لِحْيَةٍ . وَالتَّيْسَ بِلِحْيَةٍ بِلاَ شَوَارِبَ . فَخَجِلَ القَاضِي

وَٱنْقَطَعَ عَنْ رَدِّ ٱلْجَوَابِ (للقليوبي)

أبو دُلامة في الحرب

١٧٤ كَانَ أَبُو دُلَامَةَ مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ . فَدَعَا رَجُلٌ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ إِلَى ٱلْبِرَازِ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ لِأَبِي دُلَامَةَ : ٱخْرُجْ إِلَيْهِ . فَأَنْشَدَ يَقُولُ :

أَلَا لَا تَلُمْنِي إِنْ فَرَرْتُ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تُحَطَّمَا
فَلَوْ أَنَّنِي فِي ٱلسُّوقِ أَبْتَاعُ مِثْلَهَا ... وَجَدِّكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَا

فَضَحِكَ أَبُو مُسْلِمٍ وَأَعْفَاهُ (للأصبهاني)

ابن الفرزدق

١٧٥ كَانَ لِلْفَرَزْدَقِ نَدِيمٌ يُسَمَّى زِيَادًا ٱلْأَقْطَعَ . فَأَتَى بَابَهُ فَخَرَجَ ٱبْنٌ لَهُ صَغِيرٌ فَقَالَ لَهُ : ٱبْنُ مَنْ أَنْتَ . قَالَ : ٱبْنُ ٱلْفَرَزْدَقِ . قَالَ : فَمَا بَالُكَ حَبَشِيًّا . قَالَ : فَمَا بَالُ يَدِكَ مَقْطُوعَةً . قَالَ : قُطِعَتْ فِي حَرْبِ ٱلْحَرُورِيَّةِ . قَالَ : بَلْ قُطِعَتْ فِي ٱللُّصُوصِيَةِ . فَقَالَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ لَعْنَةُ ٱللّٰهِ . ثُمَّ أَخْبَرَ ٱلْفَرَزْدَقَ بِٱلْخَبَرِ . فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ ٱبْنِي حَقًّا

الأعرابيّ والكامخ

١٧٦ قُدِّمَ لِأَعْرَابِيٍّ كَامَخٌ (وَهُوَ أُكْلَةٌ مَصْنُوعَةٌ مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱللَّبَنِ) فَلَمْ يَسْتَطِبْهُ . وَأَكَلَ مِنْهُ شَيْئًا وَخَرَجَ وَدَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ

وَٱلْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ . فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ : وَٱلْكَامِخُ لَا تَنْسَهُ أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ

المتشوّق الى الحرب

١٧٧ قَالَ أَفْلَحُ ٱلتُّرْكِيُّ : خَرَجْنَا مَرَّةً إِلَى حَرْبٍ لَنَا وَمَعَنَا رَجُلٌ كَانَ يَقُولُ : أَنَا أَتَمَنَّى أَنْ أَرَى ٱلْحَرْبَ كَيْفَ هِيَ . فَأَخْرَجْنَاهُ مَعَنَا فَأَوَّلُ سَهْمٍ جَاءَ وَقَعَ فِي رَأْسِهِ . فَلَمَّا ٱنْصَرَفْنَا دَعَوْنَا لَهُ مُعَالِجًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِن خَرَجَ ٱلزُّجُّ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ دِمَاغِهِ مَاتَ . وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ دِمَاغِهِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَأْسٌ . فَسَبَقَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ : بَشَّرَكَ ٱللّٰهُ بِخَيْرٍ ٱنْزِعْهُ فَمَا فِي رَأْسِي دِمَاغٌ . فَقَالَ ٱلطَّبِيبُ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . قَالَ : لَوْ كَانَ فِيَّ ذَرَّةٌ مِنْ دِمَاغٍ مَا كُنْتُ هٰهُنَا (للشريشي)

باقل الربعيّ

١٧٨ إِخْتَلَفَ أَعْرَابِيَّانِ فِي رَجُلٍ فَقَالَ ٱلْأَوَّلُ : مِنْ بَنِي رَاسِبٍ . وَقَالَ ٱلثَّانِي : بَلْ مِنْ بَنِي طُفَاوَةَ . فَمَرَّ بِهِمَا بَاقِلُ ٱلرَّبَعِيُّ . فَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : أَلْقُوهُ فِي ٱلْمَاءِ فَإِنْ رَسَبَ فَهُوَ مِنْ بَنِي رَاسِبٍ . وَإِنْ طَفَا فَمِنْ بَنِي طُفَاوَةَ . فَضُرِبَ ٱلْمَثَلُ فِي حُكْمِهِ (للقليوبي)

الرَّاعِي والجرَّة

١٧٩ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ لِأَحَدِ الأَغْنِيَاءِ رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا فِي إِحْدَى الْبَرَارِي . وَكَانَ قَدْ عَيَّنَ لَهُ مَعَاشًا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ السَّمْنِ . فَكَانَ الرَّاعِي يُبْقِي السَّمْنَ وَيَدْخَرُهُ فِي جَرَّةٍ لَهُ كَانَتْ مُعَلَّقَةً فِي كُوخِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي كُوخِهِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ . وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَصَاهُ . أَخَذَ يُفَكِّرُ بِمَا يَعْمَلُهُ فِيمَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنَ السَّمْنِ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنِّي سَأَذْهَبُ بِهِ غَدًا إِلَى السُّوقِ وَأَبِيعُهُ وَأَشْتَرِي بِثَمَنِهِ نَعْجَةً حَامِلًا فَتَضَعُ لِي نَعْجَةً أُخْرَى. ثُمَّ تَكْبَرُ هٰذِهِ وَتَلِدُ لِي مَعَ أُمِّهَا نِعَاجًا أُخَرَ وَهٰكَذَا إِلَى أَنْ يَصِيرَ عِنْدِي قَطِيعٌ كَبِيرٌ . فَأَرُدُّ مَا عِنْدِي مِنَ الْغَنَمِ إِلَى صَاحِبِهِ وَأَتَّخِذُ لِي أَجِيرًا يَرْعَى غَنَمِي . وَأَبْتَنِي لِي قَصْرًا عَظِيمًا فَأُزَيِّنُهُ بِالْمَفْرُوشَاتِ الْحَسَنَةِ وَالْأَوَانِي الْمُرَصَّعَةِ وَالْمَنْقُوشَاتِ الْبَهِجَةِ . وَمَتَى بَلَغَ رُشْدُ وَلَدِي أُحْضِرُ لَهُ مُعَلِّمًا أَدِيبًا حَكِيمًا يُعَلِّمُهُ الأَدَبَ وَالْحِكْمَةَ وَآمُرُهُ بِطَاعَتِي وَاحْتِرَامِي . فَإِنِ امْتَثَلَ وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ الْعَصَا . وَرَفَعَ يَدَهُ بِعَصَاهُ فَأَصَابَتِ الْجَرَّةَ فَكَسَرَتْهَا . فَسَقَطَ السَّمْنُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وَثِيَابِهِ مُتَبَدِّدًا فِي كُلِّ جِهَةٍ . فَحَزِنَ لِذٰلِكَ حُزْنًا عَظِيمًا قَائِلًا : لَعَلَّ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يُصْغِي إِلَى تَخَيُّلَاتِهِ

هَمّ جحى

١٨٠ حُكِيَ أَنَّ جُحَى قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ وَهٰذَا ٱلرَّجُلُ جَارُهُ : هَلْ سَمِعْتَ يَا أَخِي ٱلْبَارِحَةَ صُرَاخَنَا . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ . وَأَيُّ شَيْءٍ نَزَلَ بِكُمْ . قَالَ لَهُ : سَقَطَ ثَوْبِي مِنْ أَعْلَى ٱلسَّطْحِ إِلَى ٱلارْضِ . فَقَالَ لَهُ : وَإِذَا سَقَطَ مَا ٱلَّذِي يَضُرُّهُ . قَالَ لَهُ : يَا أَحْمَقُ لَوْ كُنْتُ فِيهِ أَلَسْتُ كُنْتُ أَتَكَسَّرُ وَأَمُوتُ (للقليوبي)

المنصور وابن هرمة

١٨١ دَخَلَ ٱبْنُ هَرْمَةَ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ وَٱمْتَدَحَهُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ : سَلْ حَاجَتَكَ . قَال : تَكْتُبُ إِلَى عَامِلِكَ بِالْمَدِينَةِ أَنَّهُ إِذَا وَجَدَنِي سَكْرَانَ لَا يَحُدُّنِي . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ : هٰذَا حَدٌّ لَا سَبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ . فَقَالَ : مَا لِي حَاجَةٌ غَيْرُهَا . فَقَالَ لِكَاتِبِهِ : ٱكْتُبْ إِلَى عَامِلِنَا بِٱلْمَدِينَةِ . مَنْ أَتَاكَ بِٱبْنِ هَرْمَةَ وَهُوَ سَكْرَانُ فَٱجْلِدْهُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَٱجْلِدِ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مِائَةً . فَكَانَ ٱلشُّرْطَةُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَهُوَ سَكْرَانُ وَيَقُولُونَ : مَنْ يَشْتَرِي ثَمَانِينَ بِمِائَةٍ . فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَيَتْرُكُونَهُ

(للأتليدي)

١٨٢ قَالَ هِلَالٌ ٱلرَّأْيِي وَهُوَ هِلَالُ بْنُ عَطِيَّةَ لِبَشَّارٍ ٱلشَّاعِرِ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا يُمَازِحُهُ : إِنَّ ٱللّٰهَ لَمْ يُذْهِبْ بَصَرَ أَحَدٍ إِلَّا عَوَّضَهُ بِشَيْءٍ .

فَمَا عَوَّضَكَ • قَالَ : الطَّوِيلَ الْعَرِيضَ • قَالَ : وَمَا هٰذَا • قَالَ : أَنْ لاَ أَرَاكَ وَلاَ أَمْثَالَكَ مِنَ الثُّقَلاَءِ (للأصبهاني)

حكاية بشّار الطفيليّ

١٨٢ حُكِيَ عَنْ بَشَّارٍ الطُّفَيْلِيّ أَنَّهُ قَالَ : رَحَلْتُ يَوْمًا إِلَى الْبَصْرَةِ فَلَمَّا دَخَلْتُهَا قِيلَ لِي : إِنَّ هُنَا عَرِيفًا لِلطُّفَيْلِيِّينَ يَبَرُّهُمْ وَيَكْسُوهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ وَيُقَاسِمُهُمْ . فَسِرْتُ إِلَيْهِ فَبَرَّنِي وَكَسَانِي وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّام . وَلَهُ جَمَاعَةٌ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ بِالزَّلاَّتِ فَيَأْخُذُ النِّصْفَ وَيُعْطِيهِمِ النِّصْفَ . فَوَجَّهَنِي مَعَهُمْ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَحَصَلْتُ فِي وَلِيمَةٍ فَأَكَلْتُ وَأَزْلَلْتُ مَعِي شَيْئًا كَثِيرًا . وَجِئْتُهُ بِهِ فَأَخَذَ النِّصْفَ وَأَعْطَانِي النِّصْفَ فَبِعْتُ مَا وَقَعَ لِي بِدَرَاهِمَ . فَلَمْ أَزَلْ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ أَيَّامًا • ثُمَّ دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى عُرْسٍ جَلِيلٍ فَأَكَلْتُ وَخَرَجْتُ بِزَلَّةٍ حَسَنَةٍ • فَلَقِيَنِي إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهَا بِدِينَارٍ فَأَخَذْتُهُ وَكَتَمْتُهُ وَكَتَمْتُ أَمْرَهَا • فَدَعَا جَمَاعَةً مِنَ الطُّفَيْلِيِّينَ فَقَالَ : إِنَّ هٰذَا الْبَغْدَادِيَّ قَدْ خَانَ • فَظَنَّ أَنِّي لاَ أَعْلَمُ مَا فَعَلَ • فَاصْفَعُوهُ وَعَرِّفُوهُ مَا كَتَمَنَا • فَأَجْلَسُونِي شِئْتُ أَمْ أَبَيْتُ وَمَا زَالُوا يَصْفَعُونِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ • فَيَصْفَعُنِي الْأَوَّلُ مِنْهُمْ وَيَشَمُّ يَدِي وَيَقُولُ : أَكَلَ مُضَيْرَةً • وَيَصْفَعُنِي الْآخَرُ وَيَشَمُّ يَدِي وَيَقُولُ : أَكَلَ كَذَا • وَيَصْفَعُنِي الْآخَرُ • حَتَّى

ذَكَرُوا كُلَّ شَيْءٍ أَكَلْتُهُ مَا غَلِطُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ . ثُمَّ صَفَعَنِي شَيْخٌ مِنْهُمْ صَفْعَةً عَظِيمَةً وَقَالَ : بَاعَ ٱلزَّلَّةَ بِدِينَارٍ . وَصَفَعَنِي آخَرُ وَقَالَ : هَاتِ ٱلدِّينَارَ . فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ وَجَرَّدَنِي مِنَ ٱلثِّيَابِ ٱلَّتِي أَعْطَانِيهَا وَقَالَ : ٱخْرُجْ يَا خَائِنُ فِي غَيْرِ حِفْظِ ٱللهِ . فَخَرَجْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَحَلَفْتُ أَنْ لَا أُقِيمَ بِبَلَدٍ فِيهِ طُفَيْلِيَّةٌ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ

كرم معن بن زائدة

١٨٤ حُكِيَ فِي أَخْبَارِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ : ٱحْمِلْنِي أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ . فَأَمَرَ لَهُ بِنَاقَةٍ وَفَرَسٍ وَبَغْلَةٍ وَحِمَارٍ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱللهَ خَلَقَ مَرْكُوبًا غَيْرَ هٰذَا لَحَمَلْتُكَ عَلَيْهِ . وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ مِنَ ٱلْخَزِّ بِجُبَّةٍ وَقَمِيصٍ وَدُرَّاعَةٍ وَسَرَاوِيلَ وَعِمَامَةٍ وَمِنْدِيلٍ وَمِطْرَفٍ وَرِدَاءٍ وَكِسَاءٍ وَجَوْرَبٍ وَكِيسٍ . وَلَوْ عَلِمْنَا لِبَاسًا غَيْرَ هٰذَا مِنَ ٱلْخَزِّ لَأَعْطَيْنَاكَهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَى ٱلْخِزَانَةِ وَصَبِّ تِلْكَ ٱلْخِلَعِ عَلَيْهِ

طُفَيْلِيّ ومسافر

١٨٥ صَحِبَ طُفَيْلِيٌّ رَجُلًا فِي سَفَرٍ . فَلَمَّا نَزَلُوا بِبَعْضِ ٱلْمَنَازِلِ قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : خُذْ دِرْهَمًا وَٱمْضِ ٱشْتَرِ لَنَا لَحْمًا . فَقَالَ لَهُ ٱلطُّفَيْلِيُّ : قُمْ أَنْتَ وَٱللهِ إِنِّي لَتَعِبٌ فَٱشْتَرِ أَنْتَ . فَمَضَى ٱلرَّجُلُ فَٱشْتَرَاهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : قُمْ فَٱطْبُخْهُ . فَقَالَ : لَا أُحْسِنُ . فَقَامَ ٱلرَّجُلُ فَطَبَخَهُ .

ثُمَّ قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلطُّفَيْلِيّ : قُمْ فَٱثْرِدْ . فَقَالَ : وَٱللّٰهِ إِنِّي لَكَسْلَانُ . فَثَرَدَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : قُمْ فَٱغْتَرِفْ . قَالَ : أَخْشَى أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَى ثِيَابِي . فَغَرَفَ ٱلرَّجُلُ حَتَّى ٱرْتَوَى ٱلثَّرِيدُ . فَقَالَ لَهُ : قُمِ ٱلْآنَ فَكُلْ . قَالَ : نَعَمْ إِلَى مَتَى هٰذَا ٱلْخِلَافُ قَدْ وَٱللّٰهِ ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ خِلَافِكَ . وَتَقَدَّمَ فَأَكَلَ (للشريشي)

المهديّ والأعرابيّ

١٧٦ يُحْكَى أَنَّ ٱلْمَهْدِيَّ خَرَجَ يَتَصَيَّدُ . فَغَارَ بِهِ فَرَسُهُ حَتَّى دَخَلَ إِلَى خِبَاءِ أَعْرَابِيٍّ فَقَالَ : يَا أَعْرَابِيُّ هَلْ مِنْ قِرًى . قَالَ : نَعَمْ . فَأَخْرَجَ لَهُ قُرْصَ شَعِيرٍ فَأَكَلَهُ . ثُمَّ أَخْرَجَ لَهُ فَضْلَةً مِنْ لَبَنٍ فَسَقَاهُ . ثُمَّ أَتَاهُ بِنَبِيذٍ فِي رَكْوَةٍ فَسَقَاهُ قَعْبًا . فَلَمَّا شَرِبَ قَالَ : يَا أَخَا ٱلْعَرَبِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا . قَالَ : لَا وَٱللّٰهِ . قَالَ : أَنَا مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْخَاصَّةِ . قَالَ لَهُ : بَارَكَ ٱللّٰهُ فِي مَوْضِعِكَ . ثُمَّ سَقَاهُ قَعْبًا آخَرَ فَشَرِبَهُ فَقَالَ : يَا أَعْرَابِيُّ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا . قَالَ : زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْخَاصَّةِ . قَالَ : لَا بَلْ أَنَا مِنْ قُوَّادِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : رَحُبَتْ بِلَادُكَ وَطَابَ مُرَادُكَ . ثُمَّ سَقَاهُ ثَالِثًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَالَ : يَا أَعْرَابِيُّ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا . قَالَ : زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ قُوَّادِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَا وَلٰكِنِّي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَأَخَذَ ٱلْأَعْرَابِيُّ ٱلرَّكْوَةَ وَأَوْكَاهَا

وَقَالَ : وَٱللهِ لَوْ شَرِبْتَ ٱلرَّابِعَ لَٱدَّعَيْتَ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ • فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ • وَأَحَاطَتْ بِهِ ٱلْخَيْلُ وَنَزَلَتْ إِلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ وَٱلْأَشْرَافُ فَطَارَ قَلْبُ ٱلاعْرَابِيِّ فَقَالَ لَهُ ٱلْمَهْدِيُّ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا خَوْفَ • ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِكُسْوَةٍ وَمَالٍ (للأتليدي)

حكاية باقل

١٨٧ ٱلْعَرَبُ تَقُولُ : أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ • وَمِنْ عِيِّهِ أَنَّهُ ٱشْتَرَى ظَبْيًا فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ فَسُئِلَ عَنْ ثَمَنِهِ فَحَلَّ عَنْهُ يَدَيْهِ وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ وَأَشَارَ بِهَا • وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ يُرِيدُ أَنَّهُ بِأَحَدَ عَشَرَ دِرْهَمًا • فَهَرَبَ ٱلظَّبْيُ • وَلَمْ يُلْهَمْ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ سَوْمِهِ بِلِسَانِهِ • وَلَمَّا عُيِّرَ بَاقِلٌ بِفِعْلِهِ قَالَ :

يَلُومُونَ فِي عِيِّهِ بَاقِلًا كَأَنَّ ٱلْحَمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقِ
فَلَا تُكْثِرُوا ٱلْعَتْبَ فِي عِيِّهِ فَلَلْعِيُّ أَجْمَلُ بِٱلْأَمْوَقِ
خُرُوجُ ٱللِّسَانِ وَفَتْحُ ٱلْبَنَانِ أَخَفُّ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَنْطِقِ

اسحاق الموصلي وكلثوم العتابي

١٨٨ مِنْ طُرَفِ إِسْحَاقَ أَنَّ كُلْثُومًا ٱلْعَتَّابِيَّ كَانَ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَغَزَارَةِ ٱلْأَدَبِ وَكَثْرَةِ ٱلْحِفْظِ وَٱلتَّرَسُّلِ وَٱلنَّظْمِ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَحَدٌ • فَحَضَرَ مَجْلِسَ ٱلْمَأْمُونِ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَغَمَزَ إِسْحَاقَ بِٱلْعَبَثِ بِهِ • فَأَقْبَلَ إِسْحَاقُ يُعَارِضُهُ فِي كُلِّ بَابٍ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ وَهُوَ

لاَ يَعْرِفُ إِسْحَاقَ • فَقَالَ : أَيَأْذَنُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي نِسْبَةِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ وَٱلسُّؤَالِ عَنِ ٱسْمِهِ • فَقَالَ : ٱفْعَلْ • فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : مَا ٱسْمُكَ وَمَنْ أَنْتَ • فَقَالَ : أَنَا مِنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْمِي كُلْ بَصَلْ • فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : أَمَّا ٱلنِّسْبَةُ فَمَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا ٱلِٱسْمُ فَمُنْكَرٌ • فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : مَا أَقَلَّ إِنْصَافَكَ أَوَ مَا كُلْ ثُومْ مِنَ ٱلْأَسْمَاءِ • فَٱلْبَصَلُ أَطْيَبُ مِنَ ٱلثُّومِ • فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : قَاتَلَكَ ٱللّٰهُ مَا أَمْلَحَكَ • مَا رَأَيْتُ كَٱلرَّجُلِ حَلَاوَةً • أَيَأْذَنُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي صِلَتِهِ بِمَا وَصَلَنِي فَقَدْ وَٱللّٰهِ غَلَبَنِي • فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : بَلْ ذٰلِكَ مَوْفُورٌ عَلَيْكَ • وَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِهِ • فَٱنْصَرَفَ إِسْحَاقُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَنَادَمَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ (الأغاني)

جعفر والرشيدُ

١٧٩ حُكِيَ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَرَقًا شَدِيدًا • فَٱسْتَدْعَى جَعْفَرًا وَقَالَ : أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُزِيلَ مَا بِقَلْبِي مِنَ ٱلضَّجَرِ • فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ يَكُونُ عَلَى قَلْبِكَ ضَجَرٌ وَقَدْ خَلَقَ ٱللّٰهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تُزِيلُ ٱلْهَمَّ عَنِ ٱلْمَهْمُومِ وَٱلْغَمَّ عَنِ ٱلْمَغْمُومِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهَا • فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : وَمَا هِيَ يَا جَعْفَرُ • فَقَالَ لَهُ : قُمْ بِنَا ٱلْآنَ حَتَّى نَطْلُعَ فَوْقَ سَطْحِ هٰذَا ٱلْقَصْرِ فَنَتَفَرَّجَ عَلَى ٱلنُّجُومِ

وَاشْتِبَاكِهَا وَارْتِفَاعِهَا وَالْقَمَرِ وَحُسْنِ طَلْعَتِهِ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَاجَعْفَرُ مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَحْ شُبَّاكَ الْقَصْرِ الَّذِي يُطِلُّ عَلَى الْبُسْتَانِ وَتَفَرَّجْ عَلَى حُسْنِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ . وَاسْمَعْ صَوْتَ تَغْرِيدِ الْأَطْيَارِ . وَانْظُرْ إِلَى هَدِيرِ الْأَنْهَارِ . وَشُمَّ رَوَائِحَ تِلْكَ الْأَزْهَارِ . فَقَالَ : يَا جَعْفَرُ مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَحِ الشُّبَّاكَ الَّذِي يُطِلُّ عَلَى دِجْلَةَ حَتَّى نَتَفَرَّجَ عَلَى تِلْكَ الْمَرَاكِبِ وَالْمَلَّاحِينَ . فَهٰذَا يُصَفِّقُ وَهٰذَا يُنْشِدُ مَوَالِيَ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ جَعْفَرٌ : قُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى نَنْزِلَ إِلَى الْإِصْطَبْلِ الْخَاصِّ وَنَنْظُرَ إِلَى الْخَيْلِ الْعَرَبِيَّاتِ . وَنَتَفَرَّجَ عَلَى حُسْنِ أَلْوَانِهَا مَا بَيْنَ أَدْهَمَ كَاللَّيْلِ إِذَا أَظْلَمَ وَأَشْقَرَ وَأَشْهَبَ وَكُمَيْتٍ وَأَحْمَرَ وَأَبْيَضَ وَأَخْضَرَ وَأَبْلَقَ وَأَصْفَرَ وَأَلْوَانٍ تُحَيِّرُ الْعُقُولَ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَقِيَ إِلَّا ضَرْبُ عُنُقِ مَمْلُوكِكَ جَعْفَرٍ فَإِنِّي وَاللّٰهِ قَدْ عَجَزْتُ عَنْ إِزَالَةِ هَمِّ مَوْلَانَا . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَزَالَ عَنْهُ كَرْبُهُ (للأتليدي)

الشيخ المحتال والمرأة

١٨٩ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمُجَاوِرِينَ كَانَ لَا يَعْرِفُ الْخَطَّ وَلَا الْقِرَاءَةَ

وَإِنَّمَا كَانَ يَحْتَالُ عَلَى ٱلنَّاسِ بِحِيَلٍ يَأْكُلُ مِنْهَا ٱلْخُبْزَ . فَخَطَرَ بِبَالِهِ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ مَكْتَبًا . وَيُقْرِئَ فِيهِ ٱلصِّبْيَانَ فَجَمَعَ أَلْوَاحًا وَأَوْرَاقًا مَكْتُوبَةً وَعَلَّقَهَا فِي مَكَانٍ وَكَبَّرَ عِمَامَتَهُ وَجَلَسَ عَلَى بَابِ ٱلْمَكْتَبِ . فَصَارَ ٱلنَّاسُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى عِمَامَتِهِ وَإِلَى ٱلْأَلْوَاحِ وَٱلْأَوْرَاقِ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ فَقِيهٌ جَيِّدٌ فَيَأْتُونَ إِلَيْهِ بِأَوْلَادِهِمْ . فَصَارَ يَقُولُ لِهٰذَا : ٱكْتُبْ . وَلِهٰذَا : ٱقْرَأْ . فَصَارَ ٱلْأَوْلَادُ يُعَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي بَابِ ٱلْمَكْتَبِ عَلَى عَادَتِهِ وَإِذَا بِٱمْرَأَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنْ بَعِيدٍ وَبِيَدِهَا مَكْتُوبٌ . فَقَالَ فِي بَالِهِ : لَابُدَّ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةَ تَقْصِدُنِي لِأَقْرَأَ لَهَا ٱلْمَكْتُوبَ ٱلَّذِي مَعَهَا فَكَيْفَ يَكُونُ عَمَلِي مَعَهَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُ قِرَاءَةَ ٱلْخَطِّ . وَهَمَّ بِٱلنُّزُولِ لِيَهْرُبَ مِنْهَا . فَلَحِقَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ وَقَالَتْ لَهُ : إِلَى أَيْنَ . فَقَالَ لَهَا : أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ ٱلظُّهْرَ وَأَعُودَ . فَقَالَتْ لَهُ : ٱلظُّهْرُ بَعِيدٌ فَٱقْرَأْ لِي هٰذَا ٱلْكِتَابَ . فَأَخَذَهُ مِنْهَا وَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَصَارَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَهُزُّ عِمَامَتَهُ تَارَةً وَيُرَقِّصُ حَوَاجِبَهُ تَارَةً أُخْرَى وَيُظْهِرُ غَيْظًا . وَكَانَ زَوْجُ ٱلْمَرْأَةِ غَائِبًا وَٱلْكِتَابُ مُرْسَلٌ إِلَيْهَا مِنْ عِنْدِهِ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْفَقِيهَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لَا شَكَّ أَنَّ زَوْجِي مَاتَ وَهٰذَا ٱلْفَقِيهُ يَسْتَحِي

أَنْ يَقُولَ لِي إِنَّهُ مَاتَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي إِنْ كَانَ مَاتَ فَقُلْ لِي . فَهَزَّ رَأْسَهُ وَسَكَتَ . فَقَالَتْ لَهُ ٱلْمَرْأَةُ : هَلْ أَشُقُّ ثِيَابِي . فَقَالَ لَهَا : شُقِّي . فَقَالَتْ لَهُ : هَلْ أَلْطِمُ وَجْهِي . فَقَالَ لَهَا : ٱلْطِمِي . فَأَخَذَتِ ٱلْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ وَعَادَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا وَصَارَتْ تَبْكِي هِيَ وَأَوْلَادُهَا . فَسَمِعَ بَعْضُ جِيرَانِهَا ٱلْبُكَاءَ فَسَأَلُوا عَنْ حَالِهَا فَقِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ جَاءَهَا كِتَابٌ بِمَوْتِ زَوْجِهَا . فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هٰذَا كَلَامٌ كَذِبٌ لِأَنَّ زَوْجَهَا أَرْسَلَ إِلَيَّ مَكْتُوبًا بِٱلْأَمْسِ يُخْبِرُ فِيهِ أَنَّهُ طَيِّبٌ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ وَأَنَّهُ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَكُونُ عِنْدَهَا . فَقَامَ مِنْ سَاعَتِهِ وَجَاءَ إِلَى ٱلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا : أَيْنَ ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي جَاءَكِ فَجَاءَتْ بِهِ إِلَيْهِ . فَأَخَذَهُ مِنْهَا وَقَرَأَهُ وَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي طَيِّبٌ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ وَبَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ أَكُونُ عِنْدَكُمْ وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ مِلْحَفَةً وَمِرْطًا . فَأَخَذَتِ ٱلْكِتَابَ وَعَادَتْ بِهِ إِلَى ٱلْفَقِيهِ وَقَالَتْ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ مَعِي . وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ جَارُهَا مِنْ سَلَامَةِ زَوْجِهَا وَإِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مِلْحَفَةً وَمِرْطًا . فَقَالَ لَهَا : صَدَقْتِ وَلَكِنْ يَا حُرْمَةُ ٱعْذِرِينِي فَإِنِّي كُنْتُ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مُغْتَاظًا مَشْغُولَ ٱلْخَاطِرِ وَرَأَيْتُ ٱلْمِرْطَ مَلْفُوفًا فِي ٱلْمِلْحَفَةِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَاتَ وَكَفَّنُوهُ . وَكَانَتِ ٱلْمَرْأَةُ لَا تَعْرِفُ

ٱلْحِيلَةَ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ مَعْذُورٌ . وَأَخَذَتِ ٱلْكِتَابَ وَٱنْصَرَفَتْ عَنْهُ

المُغفّل والشاطر

١٩٠ إِنَّ بَعْضَ ٱلْمُغَفَّلِينَ كَانَ سَائِرًا وَبِيَدِهِ مِقْوَدُ حِمَارِهِ وَهُوَ يَجُرُّهُ خَلْفَهُ . فَنَظَرَهُ رَجُلَانِ مِنَ ٱلشُّطَّارِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَنَا آخُذُ هٰذَا ٱلْحِمَارَ مِنْ هٰذَا ٱلرَّجُلِ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَأْخُذُهُ . فَقَالَ لَهُ : ٱتْبَعْنِي وَأَنَا أُرِيكَ . فَتَبِعَهُ . فَتَقَدَّمَ ذٰلِكَ ٱلشَّاطِرُ إِلَى ٱلْحِمَارِ وَفَكَّ مِنْهُ ٱلْمِقْوَدَ وَأَعْطَاهُ لِصَاحِبِهِ وَجَعَلَ ٱلْمِقْوَدَ فِي رَأْسِهِ . وَمَشَى خَلْفَ ٱلْمُغَفَّلِ حَتَّى عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ ذَهَبَ بِٱلْحِمَارِ ثُمَّ وَقَفَ فَجَرَّهُ ٱلْمُغَفَّلُ بِٱلْمِقْوَدِ فَلَمْ يَمْشِ . فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ فَرَأَى ٱلْمِقْوَدَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ . فَقَالَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا حِمَارُكَ وَلِي حَدِيثٌ عَجِيبٌ . وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَةٌ عَجُوزٌ صَالِحَةٌ جِئْتُ إِلَيْهَا فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ وَأَنَا سَكْرَانُ فَقَالَتْ لِي : يَا وَلَدِي تُبْ إِلَى ٱللّٰهِ تَعَالَى مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَعَاصِي . فَأَخَذْتُ ٱلْعَصَا وَضَرَبْتُهَا بِهَا فَدَعَتْ عَلَيَّ فَمَسَخَنِي ٱللّٰهُ تَعَالَى حِمَارًا وَأَوْقَعَنِي فِي يَدِكَ . فَمَكَثْتُ عِنْدَكَ هٰذَا ٱلزَّمَانَ كُلَّهُ فَلَمَّا كَانَ هٰذَا ٱلْيَوْمُ تَذَكَّرَتْنِي أُمِّي وَحَنَّ قَلْبُهَا عَلَيَّ فَدَعَتْ لِي فَأَعَادَنِي ٱللّٰهُ آدَمِيًّا كَمَا كُنْتُ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللّٰهِ ٱلْعَظِيمِ . بِٱللّٰهِ عَلَيْكَ يَا أَخِي أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ مِمَّا فَعَلْتُ بِكَ مِنَ ٱلرُّكُوبِ وَغَيْرِهِ . ثُمَّ

خلَّى سَبِيلَهُ فَمَضَى وَرَجَعَ صَاحِبُ ٱلْحِمَارِ إِلَى دَارِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْغَمِّ فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: مَا ٱلَّذِي دَهَاكَ وَأَيْنَ ٱلْحِمَارُ. فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ مَا عِنْدَكِ خَبَرٌ بِأَمْرِ ٱلْحِمَارِ فَأَنَا أُخْبِرُكِ بِهِ. ثُمَّ حَكَى لَهَا ٱلْحِكَايَةَ. فَقَالَتْ: يَا وَيْلَتَنَا مِنَ ٱللهِ تَعَالَى كَيْفَ مَضَى لَنَا هٰذَا ٱلزَّمَانُ كُلُّهُ وَنَحْنُ نَسْتَخْدِمُ ٱبْنَ آدَمَ. ثُمَّ تَصَدَّقَتْ وَٱسْتَغْفَرَتْ وَجَلَسَ ٱلرَّجُلُ فِي ٱلدَّارِ مُدَّةً مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ. فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: إِلَى مَتَى هٰذَا ٱلْقُعُودُ فِي ٱلْبَيْتِ مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ ٱمْضِ إِلَى ٱلسُّوقِ وَٱشْتَرِ حِمَارًا وَٱشْتَغِلْ عَلَيْهِ. فَمَضَى إِلَى ٱلسُّوقِ وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَى ٱلْحَمِيرِ فَإِذَا هُوَ بِحِمَارِهِ يُبَاعُ. فَلَمَّا عَرَفَهُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا مَشْؤُومُ أَلَعَلَّكَ رَجَعْتَ إِلَى ٱلسُّكْرِ وَضَرَبْتَ أُمَّكَ. وَٱللهِ لَنْ أَشْتَرِيَكَ أَبَدًا

(الف ليلة وليلة)

سنان بن ثابت والطبيب القرويّ

١٩١ مِنْ ظَرِيفِ مَا جَرَى لِسِنَانَ بْنِ ثَابِتٍ فِي ٱلطِّبِّ فِي ٱمْتِحَانِ ٱلْأَطِبَّاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ ٱلْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذٰلِكَ أَنَّهُ أُحْضِرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِيحُ ٱلْبَشَرَةِ وَٱلْهَيْئَةِ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجَبِ مَنْظَرِهِ وَرِفْعَتِهِ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدِ ٱشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ ٱلشَّيْخِ شَيْئًا أَحْفَظُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي ٱلصِّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ

اَلشَّيْخُ مِنْ كُمِّهِ قِرْطَاساً فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ : وَٱللّٰه مَا أُحْسِنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جُمْلَةً وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَائِرُهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي . فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّكَ لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَصْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهِلٍ إِلَّا بِمَا قَرُبَ مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ . قَالَ ٱلشَّيْخُ : هٰذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعَدَّيْتُ ٱلسَّكَنْجَبِينَ وَٱلْجُلَّابَ . وَٱنْصَرَفَ . وَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ ٱلْبِزَّةِ مَلِيحُ ٱلْوَجْهِ ذَكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ : عَلَى مَنْ قَرَأْتَ قَالَ : عَلَى أَبِي . قَالَ :وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ . قَالَ : ٱلشَّيْخُ ٱلَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِٱلْأَمْسِ . قَالَ : نِعْمَ ٱلشَّيْخُ . وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَا تَتَجَاوَزْهُ .وَٱنْصَرِفْ مُصَاحَبًا

(لابي الفرج)

حذاء ابي القاسم الطنبوريّ

١٩٢ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ ٱسْمُهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيُّ. وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ سَبْعُ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ فِي غَايَةِ ٱلثِّقَلِ وَصَارَ ٱلنَّاسُ يَضْرِبُونَ بِهِ ٱلْمَثَلَ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ ٱلزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ سِمْسَارٌ : يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا ٱلْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ

حِمْلُ زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ بَعْدَ هٰذِهِ الْمُدَّةِ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِّينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ إِلَى سُوقِ الْعَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمْسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءُ وَرْدٍ فِي غَايَةِ الطِّيبَةِ وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَلِعَجَلَةِ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِّينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ الْمُذَهَّبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هٰذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللّٰهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ رَأَى بِجَانِبِ مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذٰلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسَ الْقَاضِي جَاءَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحَمَّ . فَلَمَّا خَرَجَ فَتَّشَ

عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ ٱلَّذِي لَبِسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَفَتَّشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى مَدَاسِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ ٱلْمَثَلُ . فَأَرْسَلَ ٱلْقَاضِي خَدَمَهُ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ ٱلْقَاضِي عِنْدَهُ . فَأَحْضَرَهُ ٱلْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً وَغَرَّمَهُ بَعْضَ ٱلْمَالِ وَأَطْلَقَهُ

فَخَرَجَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ مِنَ ٱلْحَبْسِ وَأَخَذَ مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضْبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةَ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَغَاصَ فِي ٱلْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا ٱلْمَدَاسُ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هٰذَا مَدَاسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيِّ فَٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةَ فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي ٱلْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَنَظَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ ٱلْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ فَسَقَطَ عَلَى ٱلرَّفِّ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلزُّجَاجُ وَمَاءُ ٱلْوَرْدِ . فَوَقَعَ ٱلزُّجَاجُ وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ ٱلْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذٰلِكَ فَعَرَفَ ٱلْأَمْرَ فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَا فَقْرَاهُ أَفْقَرَنِي هٰذَا ٱلْمَدَاسُ ٱلْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيَحْفِرَ لَهُ فِي ٱللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَرْتَاحَ مِنْهُ . فَسَمِعَ ٱلْجِيرَانُ حِسَّ ٱلْحَفْرِ

فَظَنُّوا أَن أَحَدًا يَنقُبُ عَلَيْهِمْ. فرَفَعُوا ٱلْأَمْرَ إِلَى ٱلْحَاكِمِ فَأَرْسلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَاعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَسْتَحِلُّ أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جيرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضَ ٱلْمَالِ

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ ٱلسِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَان مِنَ ٱلْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ إِلَى كَنِيفِ ٱلْخَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَّ قَصَبَةَ ٱلْكَنِيفِ ففَاضَ وَضَجِرَ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلرَّائِحَةِ ٱلْكَرِيهَةِ. فَفَتَّشُوا عَلَى ٱلسَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاساً فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ. فَحَمَلُوهُ إِلَى ٱلْوَالِي وَأَخْبَرُوهُ بِمَا وَقَعَ. فَأَحْضَرَ ٱلْوَالِي أَبَا ٱلْقَاسِمِ وَوَبَّخَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ تَصْلِيحُ ٱلْكَنِيفِ فَغَرِمَ جُمْلَةَ مَالٍ. وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْوَالِي مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيباً لَهُ وَأَطْلَقَهُ

فَخَرَجَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ وَٱلْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُغْتَاظٌ مِنْهُ: وَٱللهِ مَا عُدتُّ أُفَارِقُ هٰذَا ٱلْمَدَاسَ. ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ حَتَّى يَجِفَّ. فَرَآهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ رِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَرَ بِهِ إِلَى سَطْحٍ آخَرَ فَسَقَطَ مِنَ ٱلْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَآلَمَهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا. فَنَظَرُوا وَفَتَّشُوا لِمَنِ ٱلْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ. فَرَفَعُوا ٱلْأَمْرَ إِلَى ٱلْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِٱلْعِوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ ٱلْمَجْرُوحِ مُدَّةَ

مَرَضِهِ . فَنَفِدَ عِنْدَ ذٰلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ أَخَذَ ٱلْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى ٱلْقَاضِي وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ حَضْرَةِ مَوْلَانَا ٱلْقَاضِي أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هٰذَا ٱلْمَدَاسِ مُبَارَأَةً شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كُلًّا مِنَّا بَرِيٌّ مِنْ صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلُهُ هٰذَا ٱلْمَدَاسُ لَا أُوخَذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ ٱلْقَاضِي مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى

(لطائف العرب)

الباب الخامس

فِي ٱلْفَضَائِلِ وَٱلنَّقَائِصِ

النصيحة والمشورة

١٩٣ إِنَّ ٱلْحَكِيمَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا شَاوَرَ فِيهِ ٱلرِّجَالَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا خَبِيرًا . لِأَنَّ مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ . وَمَنِ ٱسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ . قَالَ ٱلْحَسَنُ : ٱلنَّاسُ ثَلٰثَةٌ . فَرَجُلٌ رَجُلٌ . وَرَجُلٌ نِصْفُ رَجُلٍ . وَرَجُلٌ لَا رَجُلٌ . فَأَمَّا ٱلرَّجُلُ ٱلرَّجُلُ فَذُو ٱلرَّأْيِ وَٱلْمَشُورَةِ . وَأَمَّا ٱلرَّجُلُ

ٱلَّذِي هُوَ نِصْفُ رَجُلٍ فَٱلَّذِي لَهُ رَأْيٌ وَلاَ يُشَاوِرُ . وَأَمَّا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي لَيْسَ بِرَجُلٍ فَٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ وَلاَ يُشَاوِرُ (للأبشيهي)

١٩٤ قَالَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي :

أَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ ٱلشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ ٱلْمَحَلُّ ٱلثَّانِي
فَإِذَا هُمَا ٱجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ ٱلْفَتَى أَقْرَانَهُ بِٱلرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ ٱلْأَقْرَانِ
لَوْلاَ ٱلْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ

١٩٥ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْأَمْرِ إِذْ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لاَ يَسْتَغْنِي عَنْ مَشُورَةِ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ ٱلْقَوَادِمَ مِنْ رِيشِ ٱلْجَنَاحِ تَسْتَعِينُ بِٱلْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارٌ:

إِذَا بَلَغَ ٱلرَّأْيُ ٱلْمَشُورَةَ فَٱسْتَعِنْ بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمِ
وَلاَ تَجْعَلِ ٱلشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيشُ ٱلْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ ٱلْغُلُّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيَّدْ بِقَائِمِ

قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رِجَالَ ٱلرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ أَبْيَاتِكَ فِي ٱلْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْمُشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . صَوَابٍ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَإٍ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ

ٱلْجَاحِظُ : ٱلْمَشُورَةُ لِقَاحُ ٱلْعُقُولِ وَرَائِدُ ٱلصَّوَابِ وَٱلْمُسْتَشِيرُ عَلَى طَرَفِ ٱلنَّجَاحِ . وَٱسْتِشَارَةُ ٱلْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ وَحَزْمِ ٱلتَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أُخْطِئَ وَقَدِ ٱسْتَشَرْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدِ ٱسْتَبْدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لأَبي نصر المقدسي)

المودّة والصداقة

١٩٦ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ لِيَكُنْ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكْسِبُهُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ خَلِيلاً صَالِحاً . فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلْخَلِيلِ كَمَثَلِ ٱلنَّخْلَةِ . إِنْ قَعَدتَّ فِي ظِلِّهَا أَظَلَّتْكَ . وَإِنِ ٱحْتَطَبْتَ مِنْ حَطَبِهَا نَفَعَكَ . وَإِنْ أَكَلْتَ مِنْ تَمْرِهَا وَجَدْتَهُ طَيِّباً (أمثال العرب)

قَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ :

أَلْمَرْءُ فِي زَمَنِ ٱلْإِقْبَالِ كَٱلشَّجَرَهْ ... وَٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا مَا دَامَتِ ٱلثَّمَرَهْ
حَتَّى إِذَا رَاحَ عَنْهَا حَمْلُهَا ٱنْصَرَفُوا ... وَخَلَّفُوهَا تُقَاسِي ٱلْحَرَّ وَٱلْغَبَرَهْ

قَالَ زُهَيْرٌ :

أَلْوُدُّ لَا يَخْفَى وَإِنْ أَخْفَيْتَهُ ... وَٱلْبُغْضُ تُبْدِيهِ لَكَ ٱلْعَيْنَانِ

قَالَ آخَرُ :

إِحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً ... وَٱحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ

فلربّما انقلبَ الصَّدِيقُ فكانَ أعلمَ بالمَضَرَّهْ

١٩٧ قَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : خَيْرُ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ إِنِ ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي ٱلْمَوَدَّةِ . وَإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنقُصكَ . وَإِنْ كُوثِرْتَ عَضَدَكَ . وَإِنِ ٱسْتَرْفَدتَّ رَفَدَكَ . وَأَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ :

إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى ٱلذَّنْبِ مِنْ أَخٍ وَكُنْتُ اجَازِيهِ فَأَيْنَ ٱلتَّفَاضُلُ
وَلَكِنْ أُدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرَّنِي وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

قَالَ آخَرُ :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي بِلِسَانِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهْوَ غَائِبُ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعْوَزَتْهُ ٱلنَّوَائِبُ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

إِصْحَبْ ذَوِي ٱلْفَضْلِ وَأَهْلَ ٱلدِّينِ فَٱلْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى ٱلْقَرِينِ

قَالَ طَرَفَةُ بْنُ زَيْدٍ :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ وَلَا تَصْحَبِ ٱلْأَرْدَا فَتَرْدَى مَعَ ٱلرَّدِي
عَنِ ٱلْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِٱلْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

١٩٨ قِيلَ لِبُزُرْجُمِهْرَ : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ : مَا أُحِبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبَّاسٍ :

أَلْقَرَابَةَ تقْطَعُ . وَأَلْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَتَقَارُبِ ٱلْقلُوبِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْأَكَابِرِ : يَنبَغِي أَنْ تَستَنْبِطَ لِزَلَّةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَقُلْ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقبَلُ عُذْرَهُ فَأَنْتَ ٱلْمَعْتُوبُ لَا هُوَ

قَالَ ٱلْمُبَرِّدُ :

مَا ٱلْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ ... وَلَمْ يَخُنْكَ وَلَيْسَ ٱلْقُرْبُ لِلنَّسَبِ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ دَوِيِّ ٱلصَّدْرِ مُضْطَغِنٍ ... وَمِنْ بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ مُقْتَرِبِ

قَالَ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَلْقَاكَ بِٱلْبِشْرِ وَٱلرِّضَا ... وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ ٱلْمَتْكَ عَقَارِبُهْ

قَالَ بَشَّارٌ :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي ... صَدِيقُكَ إِنَّ ٱلرَّأْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَيْنِهِ ... وَلٰكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهْوَ غَائِبُ

١٩٩ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادَهُ : يَا بَنِيَّ عَاشِرُوا ٱلنَّاسَ عِشْرَةً إِنْ غِبْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ . وَإِنْ فُقِدْتُمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱلْقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاحَظُ بِٱلْمَوَدَّةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذٰلِكَ هِيَ فِي ٱلْبُغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱرْجُوهُ . وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱحْذَرُوهُ

قَالَ ٱلطُّغْرَائِيُّ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهْوَ أَجَلُّ ذُخْرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ ٱلزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتْ إِسَاءَتُهُ فَهَبْهَا لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلشِّيَمِ ٱلْحِسَانِ
تُرِيدُ مُهَذَّبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانِ

قَالَ ٱلْعَطْوِيُّ :

صُنِ ٱلْوُدَّ إِلَّا عَنِ ٱلْأَكْرَمِينَ وَمَنْ بِمُؤَاخَاتِهِ تَشْرُفُ
وَلَا تَغْتَرِرْ بِذَوِي خِلَّةٍ وَإِنْ مَوَّهُوا لَكَ أَوْ زَخْرَفُوا

حفظ اللسان

٢٠٠ قَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ : ٱلْزَمِ ٱلسُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً . وَتَجَنَّبِ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ ٱلنَّدَامَةُ (كليلة ودمنة)

وَمِمَّا أَنْشَدُوهُ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ :

إِحْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي ٱلْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ ٱلشُّجْعَانُ

٢٠١ قَالَ لُقْمَانُ لِوَلَدِهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا ٱفْتَخَرَ ٱلنَّاسُ بِحُسْنِ كَلَامِهِمْ . فَٱفْتَخِرْ أَنْتَ بِحُسْنِ صَمْتِكَ (للأبشيهي)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

أَلصَّمْتُ زَيْنٌ وَٱلسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِكْثَارَا
مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى ٱلْكَلَامِ مِرَارَا

٢٠٢ بَلَغَنَا أَنَّ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ وَأَكْثَمَ بْنَ صَيْفِيٍّ اجْتَمَعَا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : كَمْ وَجَدْتَ فِي ابْنِ آدَمَ مِنَ الْعُيُوبِ . فَقَالَ : هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ . وَقَدْ وَجَدْتُ خَصْلَةً إِنِ اسْتَعْمَلَهَا الْإِنْسَانُ سَتَرَتِ الْعُيُوبَ كُلَّهَا . قَالَ : مَا هِيَ . قَالَ : حِفْظُ اللِّسَانِ (للأبشيهي)

كتمان السرّ

٢٠٣ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ : سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَالشِّفَاهُ أَقْفَالُهَا وَالْأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا . فَلْيَحْفَظْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ

قَالَ الشَّاعِرُ :

صُنِ السِّرَّ عَنْ كُلِّ مُسْتَصْحَبٍ ... وَحَاذِرْ فَمَا الرَّأْيُ إِلَّا الْحَذَرْ

أَسِيرُكَ سِرُّكَ إِنْ صُنْتَهُ ... وَأَنْتَ أَسِيرٌ لَهُ إِنْ ظَهَرْ

قَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي الْقِرْطَاسِ ضَاعْ ... كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ شَاعْ

٢٠٤ أَسَرَّ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى رَجُلٍ حَدِيثًا وَأَمَرَهُ بِكِتْمَانِهِ . فَلَمَّا انْقَضَى الْحَدِيثُ قَالَ لَهُ : أَفَهِمْتَ . قَالَ : بَلْ جَهِلْتُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَحَفِظْتَ . قَالَ : بَلْ نَسِيتُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِذَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَذَاعَهُ كَانَ اللَّوْمُ عَلَيَّ لَا عَلَيْهِ . قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ

ذُلكَ . قَالَ : لِأَنِّي أَنَا كُنْتُ أَوْلَى بِصِيَانَتِهِ مِنْهُ (للثعالبي)

جَاءَ فِي ٱلْفَخْرِيِّ :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ ٱلْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ   فَصَدْرُ ٱلَّذِي يُسْتَوْدَعُ ٱلسِّرَّ أَضْيَقُ

٢٠٥ قَالَ ٱبْنُ ٱلْخَطِيرِ :

لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ   وَٱلسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ ٱلنَّاسِ مَكْتُومُ
فَٱلسِّرُّ عِنْدِيَ فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ   ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَٱلْبَابُ مَخْتُومُ

قَالَ أَبُو ٱلْمَحَاسِنِ ٱلشَّوَّاءُ فِي شَخْصٍ لَا يَكْتُمُ ٱلسِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ :

لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْـ   ـطِقُ إِلَّا بِغِيبَةٍ أَوْ مُحَالِ
أَشْبَهَ ٱلنَّاسِ بِالصَّدَى إِنْ تُحَدِّثْـ   ـهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي ٱلْحَالِ

الصدق والكذب

٢٠٦ أَلْكَذِبُ هُوَ ٱلْإِخْبَارُ عَلَى خِلَافِ ٱلْوَاقِعِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ لَمْ أَدَعِ ٱلْكَذِبَ تَوَرُّعًا . تَرَكْتُهُ تَصَنُّعًا (الكنز المدفون للسيوطي)

قَالَ عُمَرُ : عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ

عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ   أَحْرَقَكَ ٱلصِّدْقُ بِنَارِ ٱلْوَعِيدْ
وَٱبْغِ رِضَا ٱلْمَوْلَى فَأَغْبَى ٱلْوَرَى   مَنْ أَسْخَطَ ٱلْمَوْلَى وَأَرْضَى ٱلْعَبِيدْ

وَقِيلَ : لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ ٱلنُّطْقِ ٱلصِّدْقُ (للابشيهي)

٢٠٧ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : ٱلصِّدْقُ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ . وَزَكَاةُ ٱلْخِلْقَةِ . وَثَمَرَةُ ٱلْمُرُوءَةِ . وَشُعَاعُ ٱلضَّمِيرِ . وَعَنْ جَلَالَةِ ٱلْقَدْرِ عِبَارَتُهُ . وَإِلَى ٱعْتِدَالِ وَزْنِ ٱلْعَقْلِ يُنْسَبُ صَاحِبُهُ • قَالَ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : ٱلْكَذَّابُ وَٱلْمَيْتُ سَوَاءٌ • لِأَنَّ فَضِيلَةَ ٱلْحَيِّ ٱلنُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوثَقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ • قَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : ٱلْكَذَّابُ لِصٌّ • لِأَنَّ ٱللِّصَّ يَسْرِقُ مَالَكَ • وَٱلْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ • وَلَا تَأْمَنْ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ • وَمَنِ ٱغْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ (زهر الاداب للقيرواني)

٢٠٨ خَطَبَ ٱلْحَجَّاجُ فَأَطَالَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : ٱلصَّلَاةَ • فَإِنَّ ٱلْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ وَٱلرَّبَّ لَا يَعْذِرُكَ • فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ • فَأَتَاهُ قَوْمُهُ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَجْنُونٌ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُ . فَقَالَ : إِنْ أَقَرَّ بِٱلْجُنُونِ خَلَّيْتُهُ . فَقَالَ : مَعَاذَ ٱللهِ لَا أَزْعُمُ أَنَّ ٱللهَ ٱبْتَلَانِي وَقَدْ عَافَانِي . فَبَلَغَ ذٰلِكَ ٱلْحَجَّاجَ فَعَفَا عَنْهُ لِصِدْقِهِ (للثعالبي)

٢٠٩ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : إِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ وَٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ . وَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ وَٱلْبِرَّ يَهْدِي

إِلَى ٱلْجَنَّةِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذا عُرِفَ ٱلْإِنْسَانُ بِٱلْكِذْبِ لَمْ يَزَلْ ... لَدَى ٱلنَّاسِ كَذَابًا وَلَوْ كَانَ صَادِقَا
فَإِنْ قَالَ لَا تُصْغِي لَهُ جُلَسَاؤُهُ ... وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ نَاطِقَا

وَقَالَ مَحْمُودُ بْنُ أَبِي ٱلْجُنُودِ :

لِي حِيلَةٌ فِي مَنْ يَنِمُّ ... وَلَيْسَ فِي ٱلْكَذَّابِ حِيلَهْ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ ... فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَهْ

الحسد

٢١٠ وَقَفَ ٱلْأَحْنَفُ عَلَى قَبْرِ ٱلْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : رَحِمَكَ ٱللهُ كُنْتَ لَا تَحْقِرُ ضَعِيفًا . وَلَا تَحْسِدُ شَرِيفًا

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

إِصْبِرْ عَلَى كَيْدِ ٱلْحَسُودِ ... فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
كَٱلنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

٢١١ قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : ٱلْحَسَدُ حَسَدَانِ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ . فَٱلْمَحْمُودُ أَنْ تَرَى عَالِمًا فَتَشْتَهِيَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ . أَوْ زَاهِدًا فَتَشْتَهِيَ مِثْلَ فِعْلِهِ . وَٱلْمَذْمُومُ أَنْ تَرَى عَالِمًا أَوْ فَاضِلًا فَتَشْتَهِيَ أَنْ يَمُوتَ (للثعالبي)

قَالَ مَنْصُورٌ ٱلْفَقِيهُ :

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ ٱلْأَدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى ٱللهِ فِي فَضْلِهِ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبْ

قَالَ أَبُو تَمَّام :

وَاذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا ٱشْتِعَالُ ٱلنَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ ٱلْعُودِ

سوء الخلق

٢١٢ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ : ٱلْكَلَامُ ٱللَّيِّنُ يُلِينُ ٱلْقُلُوبَ ٱلَّتِي هِيَ أَقْسَى مِنَ ٱلصُّخُورِ . وَٱلْكَلَامُ ٱلْخَشِنُ يُخَشِّنُ ٱلْقُلُوبَ ٱلَّتِي هِيَ أَنعَمُ مِنَ ٱلْحَرِيرِ (للغزّالي)

٢١٣ قِيلَ : سُوءُ ٱلْخُلْقِ يُعْدِي لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى أَنْ يُقَابَلَ بِمِثْلِهِ . وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلسَّلَفِ : ٱلْحَسَنُ ٱلْخُلْقِ ذُو قَرَابَةٍ عِنْدَ ٱلْأَجَانِبِ وَٱلسَّيِّءُ ٱلْخُلْقِ أَجْنَبِيٌّ عِنْدَ أَهْلِهِ (للابشيهي)

٢١٤ صَحِبَ رَجُلٌ رَجُلًا بِسُوءِ ٱلْخُلْقِ . فَلَمَّا فَارَقَهُ قَالَ : قَدْ فَارَقْتُهُ وَخُلْقُهُ لَمْ يُفَارِقْهُ . وَنَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى رَجُلٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ خَبِيثِ ٱلنَّفْسِ فَقَالَ : بَيْتٌ حَسَنٌ وَفِيهِ سَاكِنٌ نَذْلٌ

الغضب

٢١٥ قِيلَ لِحَكِيمٍ : أَيُّ ٱلْأَحْمَالِ أَثْقَلُ . فَقَالَ : ٱلْغَضَبُ . وَرُوِيَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ : مَهْمَا أَعْجَزَنِي ٱبْنُ آدَمَ فَلَنْ يُعْجِزَنِي إِذَا غَضِبَ لِأَنَّهُ يَنْقَادُ لِي فِيمَا أَبْتَغِيهِ وَيَعْمَلُ بِمَا أُرِيدُهُ وَأَرْتَضِيهِ . وَقِيلَ لِأَبِي عَبَّادٍ :

مَنْ أَبْعَدُ مِنَ ٱلرَّشَادِ ٱلسَّكْرَانُ أَمِ ٱلْغَضْبَانُ . فَقَالَ : ٱلْغَضْبَانُ لَا يَعْذِرُهُ أَحَدٌ فِي مَأْثَمٍ يَجْتَرِحُهُ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْذِرُ ٱلسَّكْرَانَ

مدح التواضع وذمّ الكبر

٢١٦ قِيلَ : مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ دُونَ قَدْرِهِ رَفَعَهُ ٱلنَّاسُ فَوْقَ قَدْرِهِ . وَمَنْ رَفَعَهَا عَنْ حَدِّهِ وَضَعَهُ ٱلنَّاسُ دُونَ حَدِّهِ . وَقِيلَ لِبُزُرْجُمِهْرَ : هَلْ تَعْرِفُ نِعْمَةً لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا . قَالَ : نَعَمِ ٱلتَّوَاضُعُ . قِيلَ : فَهَلْ تَعْرِفُ بَلَاءً لَا يُرْحَمُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ . قَالَ : نَعَمِ ٱلْكِبْرُ

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ : أُرِيدُ رَجُلًا إِذَا كَانَ فِي ٱلْقَوْمِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَبَعْضِهِمْ . وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِيرَهُمْ فَكَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ .

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

مُتَبَذِّلٌ فِي ٱلْقَوْمِ وَهْوَ مُبَجَّلٌ ‌ ‌ ‌ مُتَوَاضِعٌ فِي ٱلْحَيِّ وَهْوَ مُعَظَّمُ

وَقَالَ آخَرُ :

مُتَوَاضِعٌ وَٱلنُّبْلُ يَحْرُسُ قَدْرَهُ ‌ ‌ ‌ وَأَخُو ٱلتَّوَاضُعِ بِٱلنَّبَاهَةِ يَنْبُلُ

وَقَالَ ٱلْخُوَارَزْمِيُّ :

عَجِبْتُ لَهُ لَمْ يَلْبَسِ ٱلْكِبْرَ حُلَّةً ‌ ‌ ‌ وَفِينَا لِأَنْ جُزْنَا عَلَى بَابِهِ كِبْرُ

(للثعالبي)

٢١٧ مَنْ أَرَادَ ٱلدُّخُولَ فِي مَجْلِسِ ٱلْعُلَمَاءِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ

بِالتَّوَاضُعِ وَالذُّلِّ وَالْخُشُوعِ وَالِانْكِسَارِ.. فَمَنْ أَتَى بِهٰذِهِ الصِّفَاتِ يَنَالُ الْمَغْفِرَةَ مِنَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ . وَمَنْ أَتَى مِثْلَ قَارُونَ بِالْكِبْرِ وَالْإِكْثَارِ يَجِدُ الْقَطِيعَةَ وَالْعُقُوبَةَ مِنَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (للسيوطي)

٢١٨ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ عَلَيْهِ إِلَّا الْمُتَوَاضِعَ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ وَعَفَا عَنْ قُدْرَةٍ وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . وَقَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ : عَلِّمْنِي التَّوَاضُعَ . فَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي . وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقْتُهُ إِلَى الذُّنُوبِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

يَا مَنْ تَشَرَّفَ فِي الدُّنْيَا وَلَذَّتِهَا ... لَيْسَ التَّشَرُّفُ رَفْعَ الطِّينِ بِالطِّينِ

إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ الْقَوْمِ كُلِّهِمِ ... فَانْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيِّ مِسْكِينِ

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

مَنْ شَاءَ عَيْشًا رَغِيدًا يَسْتَفِيدُ بِهِ ... فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالَا

فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ أَدَبًا ... وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ دُونَهُ مَالَا

(للشريشي)

٢١٩ وَقِيلَ : دَعِ الْكِبْرَ . مَتَى كُنْتَ مِنْ أَهْلِ النُّبْلِ لَمْ يَضُرَّكَ التَّبَذُّلُ . وَمَتَى لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ لَمْ يَنْفَعْكَ التَّنَبُّلُ . قَالَ الْمَأْمُونُ :

مَا تَكَبَّرَ أَحَدٌ إِلاَّ لِنَقْصٍ وَجَدَهُ فِي نَفْسِهِ . وَلاَ تَطَاوَلَ إِلاَّ لِوَهْنٍ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ . قَالَ بُزُرْجُمِهْرُ : وَجَدْنَا ٱلتَّوَاضُعَ مَعَ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبُخْلِ أَحْمَدَ عِنْدَ ٱلْحُكَمَاءِ مِنَ ٱلْكِبْرِ مَعَ ٱلْأَدَبِ وَٱلسَّخَاءِ . قَالَ مَنْصُورٌ ٱلْفَقِيهُ : يَا قَرِيبَ ٱلْعَهْدِ بِٱلْمَخْرَجِ لِمَ لاَ تَتَوَاضَعُ (للثعالبي)

ذمّ من اعتذر فأساء

٢٢٠ قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ : عُذْرُهُ أَشَدُّ مِنْ جُرْمِهِ . رُبَّ إِصْرَارٍ أَحْسَنُ مِنِ ٱعْتِذَارٍ . وَقِيلَ : تُبْ مِنْ عُذْرِكَ ثُمَّ مِنْ ذَنْبِكَ

قَالَ ٱلْخُبْزَرِيُّ :

وَكَمْ مُذْنِبٍ لَمَّا أَتَى بِٱعْتِذَارِهِ جَنَى عُذْرُهُ ذَنْبًا مِنَ ٱلذَّنْبِ أَعْظَمَا

(للثعالبي)

ذمّ المسكرات

٢٢١ كَانَ ٱلْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيّ ٱلْمَنْصُورُ يَأْخُذُ ٱلْكَأْسَ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهَا : أَمَّا ٱلْمَالَ فَتَبْتَلِعِينَ . وَأَمَّا ٱلْمُرُوءَةَ فَتَخْلَعِينَ . وَأَمَّا ٱلدِّينَ فَتُفْسِدِينَ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ ٱلْفَضْلِ :

تَرَكْتُ ٱلنَّبِيذَ وَشُرَّابَهُ وَصِرْتُ صَدِيقًا لِمَنْ عَابَهُ

شَرَابٌ يُضِلُّ طَرِيقَ ٱلْهُدَى وَيَفْتَحُ لِلشَّرِّ أَبْوَابَهُ

قَالَ أَبُو عَلِيّ :

تَرَكْتُ ٱلنَّبِيذَ لِأَهْلِ ٱلنَّبِيذِ وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ عَذْبًا قَرَاحَا

قَالَ ٱبْنُ ٱلْوَرْدِيّ :

أُتْرُكِ ٱلْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى كَيْفَ يَسْعَى بِجُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

(للشريشي)

ذمّ الغيبة

٢٢٢ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْغِيبَةَ مِنْ أَقْبَحِ ٱلْقَبَائِحِ وَأَكْثَرِهَا ٱنْتِشَارًا فِي ٱلنَّاسِ حَتَّى لَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا ٱلْقَلِيلُ مِنَ ٱلنَّاسِ. وَهِيَ ذِكْرُكَ ٱلْإِنْسَانَ بِمَا يَكْرَهُ وَلَوْ بِمَا فِيهِ. سَوَاءٌ كَانَ فِي دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ خَلْقِهِ أَوْ خُلْقِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ. سَوَاءٌ ذَكَرْتَهُ بِلَفْظِكَ أَوْ بِكِتَابِكَ أَوْ رَمَزْتَ إِلَيْهِ بِعَيْنِكَ أَوْ يَدِكَ أَوْ رَأْسِكَ أَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ. وَقِيلَ لِلرَّبِيعِ ٱبْنِ خَيْثَمَ: مَا نَرَاكَ تَعِيبُ أَحَدًا. فَقَالَ: لَسْتُ عَنْ نَفْسِي رَاضِيًا فَأَتَفَرَّغَ لِذَمِّ ٱلنَّاسِ. وَأَنْشَدَ:

لِنَفْسِيَ أَبْكِي لَيْسَ أَبْكِي لِغَيْرِهَا لِنَفْسِيَ مِنْ نَفْسِي عَنِ ٱلنَّاسِ شَاغِلُ

٢٢٣ إِسْتَحِ مِنْ ذَمِّ مَنْ لَوْ كَانَ حَاضِرًا لَبَالَغْتَ فِي مَدْحِهِ. وَمَدْحِ مَنْ لَوْ كَانَ غَائِبًا لَسَارَعْتَ إِلَى ذَمِّهِ. وَمِنْ كَلَامِهِمْ: كَمَا أَنَّ ٱلذُّبَابَ يَتْبَعُ مَوَاضِعَ ٱلْجُرُوحِ فَيَنْكِيهَا وَيَجْتَنِبُ ٱلْمَوَاضِعَ ٱلصَّحِيحَةَ.

كَذٰلِكَ ٱلْأَشْرَارُ يَتَبَعُونَ ٱلْمَعَايِبَ فَيَذْكُرُونَهَا وَيَدْفِنُونَ ٱلْمَحَاسِنَ

(لبهاء الدين)

٢٢٤ إِعْلَمْ أَنَّهُ كَمَا يُحَرَّمُ عَلَى ٱلْمُغْتَابِ ذِكْرُ ٱلْغِيبَةِ كَذٰلِكَ يُحَرَّمُ عَلَى ٱلسَّامِعِ ٱسْتِمَاعُهَا . فَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَسْتَمِعُ إِنْسَانًا يَبْتَدِئُ بِغِيبَةٍ أَنْ يَنْهَاهُ إِنْ لَمْ يَخَفْ ضَرَرًا . فَإِنْ خَافَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ ٱلْإِنْكَارُ بِقَلْبِهِ وَمُفَارَقَةُ ذٰلِكَ ٱلْمَجْلِسِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ مُفَارَقَتِهِ (للابشيهي)

سَمِعَ عَلِيٌّ رَجُلًا يَغْتَابُ آخَرَ عِنْدَ ٱبْنِهِ ٱلْحَسَنِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ

(للمستعصميّ)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ   كَصَوْنِ ٱللِّسَانِ عَنِ ٱلنُّطْقِ بِهْ

فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقَبِيحِ   شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَٱنْتَبِهْ

المزاح

٢٢٥ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ ٱلْعَرَبِ : ٱلْمُزَاحُ يُذْهِبُ ٱلْمَهَابَةَ وَيُورِثُ ٱلضَّغِينَةَ أَوِ ٱلْمَهَانَةَ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزّ : ٱلْمُزَاحُ يَأْكُلُ ٱلْهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ . وَمَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي ٱسْتِخْفَافٍ بِهِ وَحِقْدٍ عَلَيْهِ

قَالَ نَاصِحُ ٱلدِّينِ بْنُ ٱلدَّهَّانِ :

لَا تَجْعَلِ ٱلْهَزْلَ دَأْبًا فَهْوَ مَنْقَصَةٌ وَٱلْجِدُّ تَعْلُو بِهِ بَيْنَ ٱلْوَرَى ٱلْقِيَمُ
وَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ مَلْكٍ تَبَسُّمُهُ مَا سَحَّتِ ٱلسُّحْبُ إِلَّا حِينَ تَبْتَسِمُ

٢٢٦ كَانَ يُقَالُ: ٱلْإِفْرَاطُ فِي ٱلْمَزْحِ مُجُونٌ وَٱلِٱقْتِصَادُ فِيهِ ظَرَافَةٌ . وَيُقَالُ : ٱلْمَزْحُ فِي ٱلْكَلَامِ . كَٱلْمِلْحِ فِي ٱلطَّعَامِ . وَقَدْ نَظَمَهُ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ فَقَالَ :

اِفِدْ طَبْعَكَ ٱلْمَكْدُودَ بِٱلْهَمِّ رَاحَةً قَلِيلًا وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْمَزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ٱلْمَزْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي ٱلطَّعَامَ مِنَ ٱلْمِلْحِ

(لابي نصر المقدسي)

الكرم

٢٢٧ أَلْجُودُ سُهُولَةُ ٱلْبَذْلِ وَسُقُوطُ شُحِّ ٱلنَّفْسِ . وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ :

يَا وَاحِدَ ٱلْعُرْبِ ٱلَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرْ
لَوْ كَانَ مِثْلُكَ آخَرٌ مَا كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا فَقِيرْ

(الكنز المدفون)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ ٱلْعَرَبِ: ذَلِّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ. وَقُودُوهَا إِلَى ٱلْمَحَامِدِ . وَعَلِّمُوهَا ٱلْمَكَارِمَ . وَصِلُوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ . وَتَحَلَّوْا بِٱلْجُودِ يُلْبِسْكُمُ ٱلْمَحَبَّةَ . وَلَا تَعْتَقِدُوا ٱلْبُخْلَ فَتَتَعَجَّلُوا ٱلْفَقْرَ

(لابن عبد ربه)

قَالَ أَبُو تَمَّام يَصِفُ بَعْضَ ٱلْكِرَام :

تَعَوَّدَ بَسْطَ ٱلْكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ ... أَرَادَ ٱنْقِبَاضًا لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ
هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ... لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ ٱللهَ سَائِلُهْ

٢٢٨ قَالُوا : ٱلسَّخِيُّ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِبَذْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ . لاَ يَلْتَمِسُ عَرَضَ دُنْيَا فَيَحْبَطَ عَمَلُهُ . وَلاَ طَلَبَ مُكَافَأَةٍ فَيَسْقُطَ شُكْرُهُ . وَيَكُونَ مَثَلُهُ فِيمَا أَعْطَى مَثَلَ ٱلصَّائِدِ ٱلَّذِي يُلْقِي ٱلْحَبَّ لِلطَّائِرِ لاَ يُرِيدُ نَفْعَهُ وَلٰكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : مَنْ أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ. قَالَ : مَنْ جَادَ مِنْ قِلَّةٍ . وَصَانَ وَجْهَ ٱلسَّائِلِ عَنِ ٱلْمَذَلَّةِ (لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْحُسَيْنِ ٱلْجَزَّارُ فِي ٱلْحَثِّ عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ :

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلاَمَ أَصُونُهُ ... وَمَا سَادَ فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْبُخْلِ دِينُهُ
وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا يَسَارٍ فَإِنَّهُ ... خَلِيقٌ لَعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ

قَالَ بَعْضُهُمْ : ٱلْجُودُ أَشْرَفُ ٱلْأَخْلَاقِ . وَأَنْفَسُ ٱلْأَعْلَاقِ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْجُودُ حَارِسُ ٱلنَّفْسِ مِنَ ٱلذَّمِّ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْأَسْخِيَاءُ يَعْبُدُهُمُ ٱلْمَالُ . وَٱلْبُخَلَاءُ يَعْبُدُونَهُ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ : لَوْ كَانَ شَيْءٌ يُشْبِهُ ٱلرُّبُوبِيَّةَ لَقُلْتُ : ٱلْجُودُ . وَيُقَالُ : مَنْ جَادَ سَادَ .

وَمَنْ بَخِلَ رَذُلَ .وَقَالَ عُمَرُ :اَلسَّيِّدُ اَلْجَوَادُ حِينَ يُسْأَلُ .وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ ... فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكْ

قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ بَعْضَ اَلْخُلَفَاءِ :

بَنَتِ اَلْمَكَارِمُ وَسْطَ كَفِّكَ مَنْزِلاً ... وَجَعَلْتَ مَالَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحَا
فَإِذَا اَلْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا ... كَانَتْ يَدَاكَ لِقُفْلِهَا مِفْتَاحَا

٢٢٩ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرْمُزَ: اِسْتَقْلِلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي. وَاسْتَكْثِرْ قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ . فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ اَلْكَرِيمِ فِيمَا يُعْطِي . وَقُرَّةَ عَيْنِ اَللَّئِيمِ فِيمَا يَأْخُذُ. وَلَا تَجْعَلِ اَلشَّحِيحَ لَكَ مُعِيناً . وَلَا اَلْكَذَّابَ أَمِيناً . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ مَعَ شُحٍّ وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ . وَالسَّلَامُ

(للمستعصمي)

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ ... تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

الشكر

٢٣٠ أَلشُّكْرُ اَلثَّنَاءُ عَلَى اَلْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرٰهِيمُ اَلشَّيْبَانِيُّ : كُنْتُ أَرَى رَجُلاً مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ اَلْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لِبْدُهُ . وَلَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ اَلنَّاسِ وَإِدْخَالِ اَلْمَرَافِقِ عَلَى

ٱلضَّعِيفِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنِ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هٰذَا ٱلتَّعَبَ فِي ٱلْقِيَامِ بِحَوَائِجِ ٱلنَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَٱللّٰهِ سَمِعْتُ تَغْرِيدَ ٱلْأَطْيَارِ . بِٱلْأَسْحَارِ . فِي فُرُوعِ ٱلْأَشْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ ٱلْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصْوَاتِ ٱلْقِيَانِ . فَمَا طَرِبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ ثَنَاءٍ حَسَنٍ بِلِسَانٍ حَسَنٍ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرٍّ لِرَجُلٍ حُرٍّ (للشريشي)

٢٣١ قَالَ سُلَيْمَانُ ٱلتَّيْمِيُّ : إِنَّ ٱللّٰهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ . وَكَلَّفَهُمْ مِنَ ٱلشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ . قِيلَ : ٱلشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلنِّعَمِ لِأَنَّهُ يَبْقَى وَٱلنِّعَمُ تَفْنَى . وَقِيلَ : ٱلشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي ٱلنِّعَمِ . وَأَمَانٌ مِنَ ٱلنِّقَمِ . وَقَالُوا : كُفْرُ ٱلنِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ ٱلْمَزِيدَ فِيهَا . وَقَالُوا : مَنْ حَمِدَكَ فَقَدْ وَفَاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ . وَقَالُوا : إِذَا قَصُرَتْ يَدَاكَ عَنِ ٱلْمُكَافَأَةِ فَلْيَطُلْ لِسَانُكَ بِٱلشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ٱلْوَاقِدِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ٱلْبَرْمَكِيِّ فَقُلْتُ : إِنَّ هٰهُنَا قَوْمًا يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هٰؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا فَكَيْفَ لَنَا شُكْرُ شُكْرِهِمْ (لابن عبد ربّه)

مدح العدل

٢٣٢ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ : ٱلْعَدْلُ سُورٌ لَا يُغْرِقُهُ مَاءٌ وَلَا يُحْرِقُهُ

نَارٌ وَلاَ يَهْدِمُهُ مَنْجَنِيقٌ . وَقِيلَ : عَدْلٌ قَائِمٌ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ دَائِمٍ .
وَقِيلَ أَيْضاً : لاَ يَكُونُ ٱلْعُمْرَانُ حَيْثُ لاَ يَعْدِلُ ٱلسُّلْطَانُ . وَقِيلَ
لِحَكِيمٍ : مَا قِيمَةُ ٱلْعَدْلِ . قَالَ : مُلْكُ ٱلأَبَدِ . فَقِيلَ : فَقِيمَةُ ٱلْجَوْرِ .
قَالَ : ذُلُّ ٱلْحَيَاةِ

٢٣٣ قِيلَ : بِئْسَ ٱلزَّادُ إِلَى ٱلْمَعَادِ ظُلْمُ ٱلْعِبَادِ . وَقِيلَ : ٱلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ
وَخِيمٌ . كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ إِلَى عَامِلٍ : إِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ إِلَى
ظُلْمِ ٱلنَّاسِ فَٱذْكُرْ قُدْرَةَ ٱللهِ عَلَيْكَ . وَكَانَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ لَقِيَهُ
ٱلرَّشِيدُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ كَلاَمِهِ :

نَامَتْ عُيُونُكَ وَٱلْمَظْلُومُ مُنْتَصِبٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ ٱللهِ لَمْ تَنَمِ

(للثعالبي)

قَالَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحُ : لَأُعْمِلَنَّ ٱللِّينَ حَتَّى لاَ يَنْفَعَ إِلاَّ ٱلشِّدَّةُ .
وَلَأُكْرِمَنَّ ٱلْخَاصَّةَ مَا أَمِنْتُهُمْ عَلَى ٱلْعَامَّةِ . وَلَأُغْمِدَنَّ سَيْفِي حَتَّى
يَسُلَّهُ ٱلْحَقُّ . وَلَأُعْطِيَنَّ حَتَّى لاَ أَرَى لِلْعَطِيَّةِ مَوْضِعاً (للشبراويّ)

مدح الحلم والصفح

٢٣٤ قَالَ ٱبْنُ طَبَاطَبَا : كَانَ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلاَمٌ ٱحْتَمَلْتُهُ
عَنْهُ ثُمَّ نَدِمْتُ . فَرَأَيْتُ فِي ٱلْمَنَامِ كَأَنَّ شَيْخاً أَتَانِي فَأَنْشَدَنِي :

أَنَدِمْتَ حِينَ صَفَحْتَ عَمَّـــنْ قَدْ أَسَاءَ وَقَدْ ظَلَمْ

لاَ تَنْـدَمَنَّ فَشَرٌّنَا مَنْ أَتْبَعَ ٱلْخَيْرَ ٱلنَدَمْ

(للثعالبي)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

لاَ تَنْتَقِمْ إِنْ كُنْتَ ذَا قُدْرَةٍ فَٱلصَفْحُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ أَصْلَحُ

وَٱصْفَحْ إِذَا أَذْنَبَ خِلٌّ عَسَى تلقَى إِذَا أَذْنَبْتَ مَنْ يَصفَحُ

٢٣٥ قِيلَ : لَذَّةُ ٱلعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ ٱلتَّشَفِّي. لِانَّ لَذَّةَ ٱلعَفْوِ يَلحَقُهَا حَمْدُ ٱلعَاقِبَةِ وَلَذَّةَ ٱلتشَفِّي يَلحَقُهَا غَمُّ ٱلنَّدَامَةِ . وَقِيلَ : ٱلْعَفْوُ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ زَكَاةُ ٱلنَفْسِ . وَقِيلَ : وَمِنْ كَرَمِ ٱلأَخْلاَقِ أَنْ يغفرَ ٱلذَنْبُ . وَقِيلَ : ٱلِاحْتِمَالُ قَبرُ ٱلعُيُوبِ (للطرطوشي)

قَالَ ٱلْبُحتُرِيُّ :

إِذَا أَنتَ لَمْ تُضْرِبْ عَنِ ٱلْحِقْدِ لَمْ تَفُزْ بِشُكْرٍ وَلَمْ تَسْعَدْ بِتَقْرِيظِ مَادِحِ

٢٣٦ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ :مَا ٱلْحِلْمُ.قَالَ : أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ. وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب : حِلْمُكَ عَلَى ٱلسَّفِيهِ يُكْثِرُ أَنصَارَكَ عَلَيْهِ . قَالوا : لاَ يَظْهَرُ ٱلْحِلْمُ إِلاَّ مَعَ ٱلِانْتِصَارِ . كَمَا لاَ يَظْهَرُ ٱلْعَفْوُ إِلاَّ مَعَ ٱلِاقْتِدَارِ . وَقَالُوا : مَا قُرِنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزْيَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي. أَوْ

جَهْلٌ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي. أَوْ عَوْرَةٌ لاَ أُوَارِيهَا بِسَتْرِي. وَقَالَ ٱلْمُوَرِّقُ ٱلْعِجْلِيُّ: مَا تَكَلَّمْتُ فِي ٱلْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي ٱلرِّضَا

(لابن عبد ربّهِ)

قَالَ ٱلنَّوَاجِيُّ:

يُخَاطِبُنِي ٱلسَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ ٱلْإِحْرَاقُ طِيبَا

٢٣٧ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ: يُدْرَكُ بِٱلرِّفْقِ مَا لاَ يُدْرَكُ بِٱلْعُنْفِ. أَلاَ تَرَى أَنَّ ٱلْمَاءَ عَلَى لِينِهِ يَقْطَعُ ٱلْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ. وَقَالَ أَشْجَعُ ٱلسُّلَمِيُّ لِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى: مَا كَادَ يُدْرَكُ بِٱلرِّجَالِ وَلاَ بِٱلْمَالِ مَا أَدْرَكْتَ بِٱلرِّفْقِ. وَقَالَ ٱلنَّابِغَةُ:

أَلرِّفْقُ يُمْنٌ وَٱلْأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَٱسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ نَجَاحَا

قَالَ ٱلشَّعْبِيُّ لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ: إِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا أَوْقَعْتَ. وَأَخَذَ ذٰلِكَ ٱلشَّاعِرُ فَقَالَ:

فَدَاوَيْتُهُ بِٱلْحِلْمِ وَٱلْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ ٱلسَّهْمُ

(للثعالبي)

قِيلَ لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ: تَطْمَعُ فِي ٱلْخِلَافَةِ وَأَنْتَ بَخِيلٌ جَبَانٌ. قَالَ: وَلِمَ لاَ أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ عَفِيفٌ (لابي الفرج)

٢٣٨ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ :

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنَّ حِفْظَ ٱلذُّ م نُوبِ إِذَا قَدُمْنَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ

قِيلَ : ٱلِاعْتِرَافُ . يُزِولُ بِهِ ٱلِاقْتِرَافُ . لَا عَتْبَ مَعَ إِقْرَارٍ . وَلَا ذَنْبَ مَعَ ٱسْتِغْفَارٍ . ٱلْمُعْتَرِفُ بِٱلْجَرِيرَةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْغَفِيرَةِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

إِذَا مَا ٱمْرُؤٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَكَ ٱلذَّنْبُ

قَالَ كُلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو لِصَدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا : إِمَّا أَنْ تُقِرَّ بِذَنْبِكَ فَيَكُونَ إِقْرَارُكَ حُجَّةً لَنَا فِي ٱلْعَفْوِ . وَإِلَّا فَطِبْ نَفْسًا بِٱلِانْتِصَارِ مِنْكَ

أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ ٱطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ ٱلذَّنْبِ ذَنْبَانِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصَّوْلِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا ٱلصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرَقٍ بِرِيقِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلَا صَدِيقِ

٢٣٩ أُتِيَ ٱلْمَنْصُورُ بِرَجُلٍ أَذْنَبَ . فَقَالَ : إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ . فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِٱلْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِٱلْإِحْسَانِ . فَعَفَا عَنْهُ . قَالَ أَبُو فِرَاسٍ :

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ ٱلذُّنُو بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَهْ

لَكِنَّ عَادَتَكَ ٱلْجَمِيلَةَ أَنْ تَغُضَّ عَلَى ٱلْجَرِيرَهْ

(للثعالبي)

دَخَلَ ٱبْنُ حُزَيْمٍ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَأَرَادَ أَنْ يَغْزُوَهُمْ جَيْشاً . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْمُسِيءِ . فَلَأَنْ تُطِيعَكَ ٱلْعَرَبُ طَاعَةَ مَحَبَّةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةَ خَوْفٍ (لابن عبد ربه)

لَمَّا ظَفِرَ ٱلْمَأْمُونُ بِإِبْرٰهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ شَاوَرَ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ ٱلْأَحْوَلَ ٱلْوَزِيرَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نُظَرَاءُ وَإِنْ عَفَوْتَ فَمَا لَكَ نَظِيرٌ (وفيات الأعيان لابن خلّكان)

ذمّ المماراة

٢٤٠ قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ : لَا تُمَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . فَإِنَّهُ يَخْتَزِنُ عَنْكَ عِلْمَهُ وَلَمْ تَضُرَّهُ شَيْئاً . وَقَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : مَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ . وَمَنْ يُكْثِرِ ٱلْمِرَاءَ يُشْتَمْ . وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ ٱلسُّوءِ يُتَّهَمْ . يَا بُنَيَّ لَا تُمَارِ ٱلْعُلَمَاءَ فَيَمْقُتُوكَ . أَلْمِرَاءُ يُقَسِّي ٱلْقُلُوبَ وَيُورِثُ ٱلضَّغَائِنَ . إِذَا رَأَيْتَ ٱلرَّجُلَ لَجُوجاً مُمَارِياً مُعْجَباً بِنَفْسِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ

الصبر

٢٤١ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: ٱلصَّبْرُ صَبْرَانِ. صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ. وَٱلثَّانِي أَشَدُّهُمَا عَلَى ٱلنَّفْسِ (لبهاء الدين)

مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ:

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي ٱلْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلْأَثَرِ
لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يَدْخُلْكَ مَعْجِزَةٌ ... فَٱلنُّجْحُ يَهْلِكُ بَيْنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلضَّجَرِ

لِٱمْرَأَةٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ:

أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ صَبْرًا ... إِنَّ بَعْدَ ٱلْعُسْرِ يُسْرَا
إِشْرَبِ ٱلصَّبْرَ وَإِنْ كَا ... نَ مِنَ ٱلصَّبْرِ أَمَرَّا

٢٤٢ شَكَا رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرَ ٱلصَّادِقِ أَذِيَّةَ جَارِهِ. فَقَالَ لَهُ: ٱصْبِرْ عَلَيْهِ. قَالَ: يَنْسُبُنِي إِلَى ٱلذُّلِّ. قَالَ: إِنَّمَا ٱلذَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ

(للمستعصمي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ ٱلْعُسْرِ تَيْسِيرُ ... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتٌ وَتَدْبِيرُ
وَلِلْمُهَيْمِنِ فِي حَالَاتِنَا نَظَرٌ ... وَفَوْقَ تَدْبِيرِنَا لِلّٰهِ تَدْبِيرُ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِذَا مَا أَتَاكَ ٱلدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ ... فَأَفْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرَا
فَإِنَّ تَصَارِيفَ ٱلزَّمَانِ عَجِيبَةٌ ... فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرَا

قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ غَمْرَةٍ هاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ   تَلَقَّيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجلَّتِ
وَكَانَتْ عَلَى الأَيَامِ نَفْسِي عَزِيزَةً   فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ

٢٤٣ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِياض : أَلاَ تَرَوْنَ كَيفَ يَزْوِي اللهُ الدُّنيا عَمَّنْ يحِبُّ وَيُمَرِّرُهَا عَلَيْهِمْ تَارَةً بِالْجُوعِ وَمَرَّةً بِالْحَاجَةِ . كَمَا تَصنَعُ الأُمُّ الشفِيقَةُ بِوَلَدِهَا تَفْطِمُهُ بِالصَّبْرِ مَرَّةً وَبِالْحُضَضِ أُخْرَى وَإِنما تُرِيدُ صَلاَحَهُ (لبهاء الدين)

أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبِسْ لَهَا   صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْزَمُ
لاَ تَشْكُوَنَّ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا   تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لاَ يَرْحَمُ

وَقَالَ آخَرُ :

وَاصْبِرْ إِذَا مَاشِئْتَ إِكْلِيلَ الْهَنَا   فَبِغَيْرِ حُسْنِ الصَّبْرِ لَنْ تَتَكَلَّلاَ
فَإِذَا كَرِهْتَ الصَّبْرَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا   حَقًّا كَرِهْتَ بِأَنْ تَكُونَ مُكَلَّلاَ

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

مَاأَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ   عِنْدَ الإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ
مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُؤْلِمَةٍ   أَلْوَتْ يَدَاهُ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

قَالَ آخَرُ :

أَمَا وَالَّذِي لاَيَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ   وَمَنْ لَيْسَ فِي كُلِّ الأُمُورِ لَهُ كُفْوُ

لَئِنْ كَانَ بَدْءُ ٱلصَّبْرِ مُرًّا مَذَاقُهُ ... لَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِ ٱلثَّمَرُ ٱلْحُلْوُ

قَالَ مُحَمَّدٌ ٱلْابِيوَرْدِيُّ :

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي ... أَعِزُّ وَأَهْوَالُ ٱلزَّمَانِ تَهُونُ

وَظَلَّ يُرِينِي ٱلْخَطْبَ كَيْفَ ٱعْتِدَاؤُهُ ... وَبِتُّ أُرِيهِ ٱلصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

٢٤٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: ٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلصَّبْرَ مِنَ ٱلْامُورِ بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ . إِذَا فَارَقَ ٱلرَّأْسُ ٱلْجَسَدَ فَسَدَ ٱلْجَسَدُ . وَإِذَا فَارَقَ ٱلصَّبْرُ ٱلْامُورَ فَسَدَتِ ٱلْامُورُ . وَلِلّٰهِ مَنْ قَالَ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ ... وَيُحْمَدُ مِنْهُ ٱلصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ

فَمَنْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ ٱصْطِبَارُهُ ... فَقَدْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

وَإِذَا مَسَّكَ ٱلزَّمَانُ بِضُرٍّ ... عَظُمَتْ دُونَهُ ٱلْخُطُوبُ وَجَلَّتْ

وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَائِبُ اخْرَى ... سَئِمَتْ نَفْسُكَ ٱلْحَيَاةَ وَمَلَّتْ

فَٱصْطَبِرْ وَٱنْتَظِرْ بُلُوغَ ٱلْأَمَانِي ... فَٱلرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ

قَالَ مَحْمُودٌ ٱلْوَرَّاقُ :

أَلدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ ... لٰكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدْبِرُ

فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ ... فَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

٢٤٥ (مِنْ كِتَابِ أَنِيسِ ٱلْعُقَلَاءِ) . إِعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مَعَ ٱلصَّبْرِ . وَٱلْفَرَجَ مَعَ ٱلْكَرْبِ . وَٱلْيُسْرَ مَعَ ٱلْعُسْرِ . قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ :

بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ ٱلصَّبْرِ تُعَالَجُ مَغَالِيقُ ٱلْأُمُورِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عِنْدَ ٱنْسِدَادِ ٱلْفُرَجِ . تَبْدُو مَطَالِعُ ٱلْفَرَجِ (لبهاء الدين)

وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَلصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرَجَّى وَكُلُّ صَعْبٍ بِهِ يَهُونُ
فَٱصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ ٱللَّيَالِي فَرُبَّمَا أَمْكَنَ ٱلْحَرُونُ
وَرُبَّمَا نِيلَ بِٱصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتِ لَا يَكُونُ

قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

تَحَمَّلْ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ فَمَا فِي ٱسْتِقَامَتِهِ مَطْمَعُ
وَأَنَّى لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ وَفِيهِ طَبَائِعُهُ ٱلْأَرْبَعُ

قَالَ غَيْرُهُ :

دَعِ ٱلْأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ ٱلْبَلَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ ٱللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ ٱلدُّنْيَا بَقَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالِكُ ٱلدُّنْيَا سَوَاءُ

قَالَ آخَرُ :

إِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ ٱلْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ ٱلْوَاحِدِ ٱلْعَلَّامِ
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ تَضَايَقَ كَرْبُهَا وَرَمَاكَ رَيْبُ صُرُوفِهَا بِسِهَامِ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ تَخْفَى عَلَى ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَوْهَامِ
كَمْ مِنْ نَجِيٍّ بَيْنَ أَطْرَافِ ٱلْقَنَا وَفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ ٱلضِّرْغَامِ

القناعة

٢٤٦ أَلْقَنَاعَةُ ٱلِٱكْتِفَاءُ بِٱلْمَوْجُودِ .وَتَرْكُ ٱلتَّشَوُّقِ إِلى ٱلْمَفْقُودِ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ ٱلْعَبْدُ حُرٌّ إِذَا قَنِعَ . وَٱلْحُرُّ عَبْدٌ إِذَا طَمِعَ .وَقَالَ بَعْضُهُمْ :مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِٱلْقَلِيلِ لَمْ يَكْتَفِ بِٱلْكَثِيرِ. وَمِنْ فُصُولِ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ : أَعْرَفُ ٱلنَّاسِ بِٱللهِ مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ . وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ ... فَكُلُّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ

قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ ... عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلْيَا مِنَ ٱلْعَيْشِ لَمْ يَزَلْ ... حَقِيرًا وَفِي ٱلدُّنْيَا أَسِيرَ غُبُونِهَا

٢٤٧ قَالُوا : ٱلْغَنِيُّ مَنِ ٱسْتَغْنَى بِٱللهِ .وَٱلْفَقِيرُ مَنِ ٱفْتَقَرَ إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَالُوا : لَا غَنِيَّ إِلَّا غَنِيُّ ٱلنَّفْسِ (لابن عبد ربّه)

قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ :

وَجَدْتُ ٱلْقَنَاعَةَ أَصْلَ ٱلْغِنَى ... فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُمْتَسِكْ
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ ... وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكْ
وَعِشْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ ... أَمُرُّ عَلَى ٱلنَّاسِ شِبْهَ ٱلْمَلِكْ

نَظَرَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ إِلَى قَصَّارٍ

يَضْرِبُ بِٱلثَّوْبِ ٱلْمِغْسَلَةِ . فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ ٱلْخِلَافَةَ . فَبَلَغَ كَلَامُهُ أَبَا حَاتِمٍ . فَقَالَ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي جَعَلَهُمْ إِذَا حَضَرَهُمُ ٱلْمَوْتُ يَتَمَنَّوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَنَا ٱلْمَوْتُ لَمْ نَتَمَنَّ مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

بِقَدْرِ ٱلصُّعُودِ يَكُونُ ٱلْهُبُوطُ فَإِيَّاكَ وَٱلرُّتَبَ ٱلْعَالِيَهْ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ فِي عَافِيَهْ

٢٤٨ كَانَ أَنُوشَرْوَانُ يُمْسِكُ عَنِ ٱلطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ : نَتْرُكُ مَا نُحِبُّ لِئَلَّا نَقَعَ فِيمَا نَكْرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ ٱلْحَكِيمُ قَلِيلَ ٱلْأَكْلِ خَشِنَ ٱللِّبَاسِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ ٱلرَّحْمَةَ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ ذُو رُوحٍ فَلَا تَرْحَمُهَا . فَكَتَبَ لَهُ سُقْرَاطُ فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ لِتَأْكُلَ . وَٱلسَّلَامُ

٢٤٩ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ ٱلْعِزَّ فَٱطْلُبْهُ بِٱلطَّاعَةِ . وَإِذَا أَرَدْتَ ٱلْغِنَى فَٱطْلُبْهُ بِٱلْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ ٱللّٰهَ عَزَّ نَصْرُهُ . وَمَنْ لَزِمَ ٱلْقَنَاعَةَ زَالَ فَقْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : ٱلْقِنْيَةُ يَنْبُوعُ ٱلْأَحْزَانِ . نَظَمَهُ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ مَا لَكَ لَا تَقْتَنِي مِنَ ٱلْمَالِ ذُخْرًا يُفِيدُ ٱلْغِنَى

فَقُلْتُ وَأَفْحَمْتُهُمْ فِي ٱلْجَوَابِ   لِئَلَّا أَخَافَ وَلَا أَحْزَنَا

(لبهاء الدين)

الباب السادس
فِي ٱلْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والأمراء

كتاب المحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٢ م)

٢٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ نَزَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ فَدَعَوْنَا مَالِكَهَا إِلَى طَاعَتِنَا فَأَبَى . فَحَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَأُسَلِّطَنَّ مِنْكَ عَلَيْكَ . فَلَا تَكُنْ كَٱلْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ . وَٱلْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ . وَٱلسَّلَامُ

ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع

٢٥١ إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى سَلَّطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَنَامِ . وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَنِي عَلَى

مَنْ خَالَفَنِي . وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فَبِهَا وَنِعْمَتْ . وَإِلا فَاعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ قَدَمِي ثَلاثَةَ أَشْيَاءَ الْخَرَابَ وَالْقَحْطَ وَالْوَبَاءَ . وَإِثْمُ كُلِّ ذٰلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (أخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن زكرويه الى بعض عماله

٢٥٢ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عِنْدِ الْمَهْدِيِّ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللّٰهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللّٰهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حُمَيْدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ . فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللّٰهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أُنْهِيَ إِلَيْنَا مَا حَدَثَ قِبَلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللّٰهِ الْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعَيْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . فَأَعْظَمْنَا ذٰلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ لَنَا اللّٰهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفَذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ حِمْصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ أَعْدَاءِ اللّٰهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجْرِيَنَا اللّٰهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَثِيقًا بِاللّٰهِ وَبِنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعَوِّدُنَاهُ فِي كُلِّ مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرَ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِ

عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

(تاريخ حلب لكمال الدين)

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقي ملك الروم

لمّا وثب الفُرس على هرمزَ ملكهم فسملوا عينيهِ ثم قتلوهُ وملّكوا عليهم بهرامَ المرزُبانَ كان لهرمزَ ابنٌ حدثٌ اسمهُ كسرى وهو المعروف بأنوشروان العادل . فتنكّر كأنهُ سائلٌ وشقّ سلطانَ الفُرسِ حتى جاءَ نصيبين وصار الى الرُّها ومنها الى منبج وكتب الى موريقي كتاباً نسختهُ :

٢٥٣ لِلْأَبِ ٱلْمُبَارَكِ وَٱلسَّيِّدِ ٱلْمُقَدَّمِ مُورِيقِيَ مَلِكِ ٱلرُّومِ مِنْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ٱلسَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُعْلِمُ ٱلْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَبِيدِ أَبِي جَهِلُوا قَدْرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عَبِيدٌ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا نِعَمَ آبَائِي لَدَيْهِمْ فَٱعْتَدَوْا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْزَعَ إِلَى مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونَ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ ٱلْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ ٱلْمَرَدَةِ . وَلَأَنْ يَكُونَ مَوْتِي عَلَى أَيْدِي ٱلْمُلُوكِ أَفْضَلُ وَأَقَلُّ عَارًا مِنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ . فَفَزِعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءَ أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَى مِثْلِي وَتُمِدَّنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ ٱلْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلَدًا سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى

فلمّا قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على اجابة مسئلتهِ لأنهُ لجأ اليهِ فأنجدهُ بعشرين ألفاً . وسيّر لهُ من الاموال أربعين قنطاراً ذهباً وكتب اليهِ كتاباً نسختهُ :

٢٥٤ مِنْ مُورِيقِيَ عَبْدِ يَشُوعَ ٱلْمَسِيحِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ ٱلْفُرْسِ وَلَدِي وَأَخِي ٱلسَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ ٱلْعَبِيدِ ٱلَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْعُمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ غَمْطًا . وَخُرُوجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَحْضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ . فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذٰلِكَ أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى ٱلتَّرَأُّفِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ ٱلِاسْتِتَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَٱلِاسْتِظْلَالَ بِكَنَفِهِ آثَرُ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ ٱلْمَرَدَةِ وَٱلْمَوْتَ عَلَى أَيْدِي ٱلْمُلُوكِ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ فَإِنَّكَ ٱخْتَرْتَ أَفْضَلَ ٱلْخِصَالِ وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذٰلِكَ فَقَدْ صَدَّقْنَا قَوْلَكَ وَقَبِلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا أَمَلَكَ وَأَتْمَمْنَا بُغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمِدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ ٱلْجُيُوشِ وَٱلْأَمْوَالِ وَصَيَّرْتُكَ لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا . فَٱقْبِضِ ٱلْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقُدِ ٱلْجُيُوشَ وَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ ٱللّٰهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْتَرِكَ ٱلضَّجَرُ وَٱلْهَلَعُ . بَلْ تَشَمَّرْ لِعَدُوِّكَ وَلَا تُقَصِّرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَأْطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَٱنْحَطَطْتَ عَنْ مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ ٱللّٰهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرَجَاءِ ٱللّٰهِ تَعَالَى (لأبي الفرج الملطي)

كتاب عُمر بن الخطّاب الى عَمرو بن العاص

٢٥٥ إِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ ٱللّٰهَ ٱلذي لاَ إِلاَهَ إِلاَّ هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخَرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِثُنَيَّاتِ ٱلطُّرُقِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ ٱلْبَيِّنِ . وَلَمْ أُقَدِّمْكَ مِصْرَ أَجْعَلُهَا لَكَ طُعْمَةً وَلاَ لِقَوْمِكَ . وَلٰكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ ٱلْخَرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَٱحْمِلِ ٱلْخَرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فَيْءُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مَنْ تَعْلَمُ قَوْمٌ مَحْصُورُونَ . وَٱلسَّلاَمُ

٢٥٦ (فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ): أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِئُنِي فِي ٱلْخَرَاجِ . وَيَزْعُمُ أَنِّي أَعْنُدُ عَنِ ٱلْحَقِّ وَأُنَكِّبُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَٱللّٰهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحِ مَا تَعْلَمُ وَلٰكِنْ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ ٱسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتُهُمْ فَنَظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ ٱلرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَنَصِيرَ إِلَى مَا لاَ غِنَى بِهِمْ عَنْهُ . وَٱلسَّلاَمُ (لجلال الدين السيوطي)

كتاب عنبسة بن اسحاق الى المأمون وهو عاملهُ على الرَّقَّة
يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وعَبْثهم بها

٢٥٧ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سُبُلَ ٱلْمُجْتَازِينَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ

وَٱلْمُعَاهِدِينَ نَفَرٌ مِنْ شُذَّاذِ ٱلْأَعْرَابِ ٱلَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا يَخَافُونَ فِي ٱللّٰهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْلَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَحَصْدِهِ هٰذِهِ ٱلطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ ٱللّٰهِ مَا يَرْدَعُ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ لَأَذَنْتُ بِٱلِٱسْتِنْجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَأَسْعَيْتُ ٱلْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ فِي أُمُورِهِ بِٱلتَّأْيِيدِ وَٱلنَّصْرِ .

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ ٱلْمَأْمُونُ) :

أَسْمَعْتَ غَيْرَ كَهَامِ ٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ ... لَا يَقْطَعُ ٱلسَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ ٱلْحَذِرِ

سَيُصْبِحُ ٱلْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ ... مِثْلَ ٱلْهَشِيمِ إِذَرَتْهُ ٱلرِّيحُ بِٱلْمَطَرِ

(فوجّه عنبسة بالبيتين الى الأعراب فما بقي منهم اثنان) (لابن عبد ربّه)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الأمين

٢٥٨ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ . وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذٰلِكَ ٱلَّذِي عَوَّدَكَ ٱللّٰهُ فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّمَ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ ٱلْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ ٱلشَّرَّ . هٰذِهِ رُقْعَةُ ٱلْوَالِهِ ٱلَّتِي تَرْجُوكَ فِي ٱلْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ ٱلدَّهْرِ . وَفِي ٱلْمَمَاتِ لِجَمِيلِ ٱلذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَٱسْتِكَانَتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَأَنْ تَصِلَ رَحِمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ ٱللّٰهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَٱفْعَلْ . وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

فلمّا وقف المأمون عليها بكى على أخيهِ الامين ورقّ لها وكتب اليها الجواب :

٢٥٩ وَصَلَتْ رُقْعَتُكِ يَا أُمَّاهُ (حَاطَكِ ٱللّٰهُ وَتَوَلَّاكِ بِالرِّعَايَةِ) وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَنِي شَهِدَ ٱللّٰهُ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتِهِ فِيهَا . لٰكِنَّ ٱلْأَقْدَارَ نَافِذَةٌ وَٱلْأَحْكَامَ جَارِيَةٌ وَٱلْأُمُورَ مُتَصَرِّفَةٌ وَٱلْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَٱلدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ. وَٱلْغَدْرُ وَٱلْبَغْيُ حَتْفُ ٱلْإِنْسَانِ وَٱلْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أُخِذَ لَكِ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ ٱللّٰهِ إِلَّا وَجْهَهُ وَأَنَا بَعْدَ ذٰلِكَ لَكِ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَٱلسَّلَامُ

ثم أمر بردّ ضياعها وجميع ما أُخِذ منها وأقطعها ما كان في يدها وأعادها الى حالتها الأولى في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراح لليمني)

كتاب أبي بكر الى يزيد بن أبي سُفيان

٢٦٠ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعَنِّفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي ٱلسَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ . وَٱسْتَعْمِلِ ٱلْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ ٱلظُّلْمَ وَٱلْجَوْرَ . فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نُصِرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ ٱللّٰهِ . وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا ٱمْرَأَةً وَلَا

طِفْلاً . وَلاَ تَقْرَبُوا نَخْلاً وَلاَ تحْرِقُوا زَرْعاً . وَلاَ تَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمِرًا . وَلاَ تَعْقِرُوا بَهِيمَةً إِلاَّ بَهِيمَةَ ٱلْمَأْكُول . وَلاَ تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا إِذَا صَالَحْتُمْ . وَسَتَمُرُّونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي ٱلصَّوَامِعِ رُهْبَانٍ تَرَهَّبُوا لِلّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا ٱنْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَٱرْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلاَ تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلاَ تَقْتُلُوهُمْ وَٱلسَّلاَمُ (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عُمر بن الخطَّاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٢٦١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيُسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَنْفُذُ أَمْرُكَ . فَيَالَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْغِيكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَٱحْتَرِسْ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنِ ٱحْتِرَاسِكَ مِنَ ٱلْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ سَقْطَةً لاَ شَوَى لَهَا وَتَعْثُرَ عَثْرَةً لاَ لَعًا لَهَا (أَيْ لاَ إِقَالَةَ). وَٱلسَّلاَمُ

كتاب عُمر الى سعد بن أَبي وقَّاص ومن معهُ من الاجناد

٢٦٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ ٱلْأَجْنَادِ بِتَقْوَى ٱللّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى ٱللّهِ أَفْضَلُ ٱلْعُدَّةِ عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَأَقْوَى ٱلْمَكِيدَةِ فِي ٱلْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ ٱحْتِرَاساً مِنَ ٱلْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ ٱلْجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَلَوْلاَ ذٰلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلاَ عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ . فَإِنِ ٱسْتَوَيْنَا فِي ٱلْمَعْصِيَةِ كَانَ

لهم الفضل علينا في القوة . وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم . واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم . أسأل الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم . ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم . والسفر لم ينقص قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع . وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة . حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم . ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه . وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه . فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه . وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم . ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك . والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم . والله المستعان

كتاب صلاح الدين الى معزّ الدين صاحب الجزيرة

٢٦٣ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ ٱلِٱنْتِمَاءَ إِلَيَّ ٱبْتِدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذٰلِكَ مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ ٱلْخِيفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ . فَقَبِلْتُكَ وَآوَيْتُكَ وَنَصَرْتُكَ وَبَسَطْتَ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ وَدِمَائِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ . فَنَفَذْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذٰلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَهِ . فَٱتَّفَقَ وُقُوعُ هٰذِهِ ٱلْوَاقِعَةِ لِلْإِسْلَامِ فَدَعَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ ٱلنَّاسُ . وَأَقَمْتَ هٰذِهِ ٱلْمُدَّةَ ٱلْمَدِيدَةَ وَقَلِقْتَ هٰذَا ٱلْقَلَقَ وَتَحَرَّكْتَ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَةَ . وَٱنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدِ حَالٍ مَعَ ٱلْعَدُوِّ . فَٱنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصِرْ مَنْ تَنْتَمِي إِلَيْهِ غَيْرِي وَٱحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ ٱلْتِفَاتٌ

كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيّات

٢٦٤ أَحُلْتَ عَمَّا عَهِدتُّ مِنْ أَدَبِكْ ... أَمْ نِلْتَ مُلْكًا فَتِهْتَ فِي كُتُبِكْ

أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ ٱلْ ... إِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكْ

أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي ثِقَةٍ ... يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَ بِكْ

أَتْعَبْتَ كَفَّيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي ... حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعَبِكْ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلزَّيَّاتِ)

كَيْفَ أَخُونُ ٱلْإِخَاءَ يَا أَمَلِي ... وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكْ

أَنْكَرْتَ شَيْئاً فَلَسْتَ فَاعِلَهُ ... وَلَنْ تَرَاهُ يُخَطُّ فِي كُتُبِكْ
إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي ... فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ مِنْ حَسَبِكْ
فَاعْفُ فَدَتْكَ النُّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ ... يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكْ

كتاب عُمر الى أبي عُبَيدة بعد فتوح الشام

٢٦٥ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَّيْتُكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ تَسْتَحْيِ فَإِنَّ اللّٰهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ . وَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللّٰهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلاَلِ إِلَى الْهُدَى وَقَدِ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى جُنْدِ مَا هُنَالِكَ مَعَ خَالِدٍ فَاقْبِضْ جُنْدَهُ وَاعْزِلْهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلاَ تَقُلْ إِنِّي أَرْجُو لَكُمُ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ بِاللّٰهِ وَإِيَّاكَ وَالتَّغْرِيرَ بِإِلْقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغُضَّ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ وَأَلْهِ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الآخِرَةِ سِتْرُ الْخِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ سَلَفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظِرٌ سَفَرًا وَرَحِيلاً مِنْ دَارٍ مَضَتْ نَضَارَتُهَا وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرَّحَّالُ عَنْهَا لِغَيْرِهَا وَيَكُونُ زَادُهُ التَّقْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ فِي الصُّلْحِ أَوِ الْقِتَالِ فَأَنْتَ الْوَلِيُّ وَصَاحِبُ الأَمْرِ . وَالسَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

(فتوح الشام للواقدي)

﴿ فصل في الهدايا ﴾

٢٦٦ كتب احمد بن أبي طاهر مع هديةٍ :

مِنْ سُنَّةِ ٱلْأَمْلَاكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ ٱلدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ ٱلْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ ٱلدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أُهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أُهْدِ نَفْسِي فَهْيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أُهْدِ مَالِي فَهْوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا ٱلْحَمْدُ وَٱلشُّكْرُ وَٱلْمَدْحُ ٱلَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جاريةٌ من جواري المأمون تفاحةً لهُ وكتبت اليهِ :

٢٦٧ إِنِّي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ ٱلرَّعِيَّةِ فِي ٱلْهَدَايَا إِلَيْكَ وَتَوَاتُرَ أَلْطَافِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخِفُّ مُؤُونَتُهَا وَتَهُونُ كُلْفَتُهَا وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هٰذَا ٱلنَّعْتُ وَيَكْمُلُ فِيهِ هٰذَا ٱلْوَصْفُ إِلَّا ٱلتُّفَّاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي ٱلْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي ٱلتَّقَرُّبِ . وَأَحْبَبْتُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا وَمَا قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ ٱلشُّعَرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بِعَيْنِ ٱلْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمُقْلَةِ ٱلصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ ٱلرَّشِيدُ :

أَحْسَنُ ٱلْفَاكِهَةِ ٱلتُّفَّاحُ اُجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ ٱلْفِضَّةِ وَلَوْنُ ٱلتِّبْرِ . يَلَذُّ بِهَا مِنَ ٱلْحَوَاسِّ ٱلْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَٱلْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَٱلْفَمُ بِطَعْمِهَا

﴿ فصول في العتاب والاعتذار ﴾

كتاب أبي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٢٦٨ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِلِكَ بِأَسْبَابِ ٱلْأَمَلِ وَذَرَائِعِ ٱلْحَمْدِ فِرَارًا مِنَ ٱلْفَقْرِ وَرَجَاءً لِلْغِنَى وَٱزْدَدتُّ بِهِمَا بُعْدًا مِمَّا فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدتُّ . وَقَدْ قَسَمْتُ ٱللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي . أُمِرْتُ بِٱلْيَأْسِ مِنْ أَهْلِ ٱلْبُخْلِ فَسَأَلْتُهُمْ . وَنُهِيتَ عَنْ مَنْعِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فَمَنَعْتَهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٢٦٩ إِنَّ مَوَدَّةَ ٱلْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِٱلذِّلَّةِ وَٱلصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتَصْرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أُحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِٱلْمَحَلِّ ٱلنَّفِيسِ وَأُنْزِلُهَا بِٱلْمَنْزِلِ ٱلرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذِلَّتَكَ عِنْدَ ٱلضَّعَةِ وَضَرَعَتَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ وَتَغَيُّرَكَ عِنْدَ ٱلْاِسْتِغْنَاءِ وَٱطِّرَاحَكَ لِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ . فَكَانَ ذٰلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوًى وَلَا تَرَى ٱلْقَبِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٢٧٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشَّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ . ٱبْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ وَأَعْقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَطْمَعَنِي أَوَّلُكَ فِي إِخَائِكَ وَآيَسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقَمْنَا عَلَى ٱئْتِلَافٍ . وَٱفْتَرَقْنَا عَلَى ٱخْتِلَافٍ

وله أيضاً في هذا الباب

٢٧١ لَوْ كَانَتِ ٱلشُّكُوكُ تَخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَٱحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي . وَلٰكِنَّ ٱلثِّقَةَ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقَبِّحُهُ جَفَاؤُكَ . وَٱللّٰهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبّر

٢٧٢ وَصَلَ كِتَابُكَ ٱلْمُفْتَتَحُ بِٱلْعِتَابِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلتَّقْرِيعِ ٱللَّطِيفِ فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ ٱلسُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ ٱلَّذِي لَطُفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ ٱلرِّقَّةِ وَٱلْفِطْنَةِ . وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ أَهْلُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبَلَهِ . فَلَا أَعْدَمَنِي ٱللّٰهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَى

مَا ٱسْتَحَقَّهُ عَتْبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِيَ ٱلْمَخْرَجُ مِنْهُ

(لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٢٧٣ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِٱلصَّيْدِ وَإِدْمَانِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ

فلمّا قرأهُ الرشيد رمى به الى يحيى وقال له : يا أبي اقرأ هذا الكتاب وا كتب اليهِ بما يردعه عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ ٱللهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَ بِكَ . قَدِ ٱنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّشَاغُلِ بِٱلصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِدْ مَا هُوَ أَزْيَنُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَٱلسَّلَامُ (لابن خلّكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٢٧٤ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ ٱلْخِلَافَةِ بِغَيْرِ كَلَامِ ٱلْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَائِلُ ٱلْهَوَى وَٱلرَّأْيِ لِلنَّاكِثِ ٱلْمَخْلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّ مَا بَلَغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرُ ذٰلِكَ فَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي أَبْيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :

رُكُوبُكَ ٱلْهَوْلَ مَالَمْ تَلْقَ فُرْصَتَهُ   جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِٱلْإِقْحَامِ تَغْرِير
أَهْوِنْ بِدُنْيَا يُصِيبُ ٱلْمُخْطِئُونَ بِهَا   حَظَّ ٱلْمُصِيبِينَ وَٱلْمَغْرُورُ مَغْرُور
فَٱزْرَعْ صَوَابًا وَخُذْ بِٱلْحَزْمِ حَيْطَتَهُ   فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ ٱلْحَزْمِ تَدْبِيرُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ   فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ مَعْذُور
وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفُزْتَ بِهِ   قَالُوا جَهُولٌ أَعَانَتْهُ ٱلْمَقَادِيرُ

فصول لاحمد بن يوسف

٢٧٥ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ ٱلطَّلِبَةِ إِلَيْكَ . وَلٰكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ ٱلرَّجَاءِ عِلْمِي بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ ٱلْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى ٱلَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُؤْدُدُكَ شَافِعًا . (فَصْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى شِكَايَتِكَ إِلا إِلَيْكَ وَلَا ٱسْتِعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى ٱلنَّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ ٱنْقَلَبْ   وَمِنْ طُولِ وِدِّكَ أَنَّى ذَهَبْ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي   أَرَاكَ بِعَيْنِ ٱلرِّضَا فِي ٱلْغَضَبْ

(فَصْلٌ) . إِنَّ مَسْئَلَتِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتْبِكَ عَلَيَّ مِنَ ٱللُّؤْمِ . وَإِنَّ إِمْسَاكِي عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عِلْمِي بِكَرَمِكَ فِي ٱلسُّخْطِ وَٱلرِّضَا لَعَجْزٌ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ ٱلْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ .

مَسْئَلَتِكَ مَا سَنَحَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لاَ تَجْعَلُ عَتْبَكَ سَبَبًا لِمَنْعِ مَعْرُوفِكَ

فصول لابن مكرّم في الاعتذار

٢٧٦ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَلَةِ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِ . وَلاَ يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَتْبٌ حَدَثَ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ يَتَقَاضَى كَرَمُكَ إِنْجَازَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّفَعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فَصْلٌ) أَنْتَ أَعَزَّكَ اللهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلاَ لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَيَّ لِسَانُ وَاشٍ . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لاَ تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ وَأَرْعَى لِحُقُوقِهِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِذِمَامَاتِهِ مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤَمِّلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا الْتَمَسَهُ وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٢٧٧ مرض الحسن بن وهب فلم يَعُدهُ ابن الزيّات ولم يتعرّف خبرهُ فكتب اليه

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرُ أَيَّدَكَ اللَّـ	ـهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلَا
اجَمِيـلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّا	سِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلَا
أَنَّنِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيلًا	مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولَا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُّدَ فِي الصُّحْـ	ـبَةِ مِنًّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيـلَا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرًّا	وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلَا

فاجابه ابن الزيّات :

دفَعَ ٱللهُ عنكَ نائبةَ ٱلدَّهْـ ـرِ وحاشاكَ أنْ تكونَ عليلَا
أُشهِدُ ٱللهَ ما علمتُ وما ذا كَ منَ ٱلعُذرِ جائزًا مقبُولَا
ولعَمْري أنْ لَوْ علمتُ فلازَمْـ ـتُكَ حولًا لكانَ عندي قليلَا
فاجعلَنْ لي إلى ٱلتَّعلُّقِ بٱلعُذْ ـرِ سبيلًا إنْ لمْ أجدْ لي سبيلَا
فقديمًا ما جادَ بٱلصفحِ وٱلعَفْـ ـوِ وما سامحَ ٱلخليلُ خليلَا

كتاب ابي بكر الخُوارزْمي الى العامل على البريد بالاهواز

٢٧٨ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يا أخي ظَنًّا كَذَّبَهُ قُبْحُ فِعلِكَ . وَضَعْفُ هَجْرِكَ وَوَصْلِكَ . فَإِنَّكَ لا تَعمَلُ فيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلاَ تَصبِرُ مِنْهُمَا عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ. فَلاَ جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وِدّي لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي هِبَةٍ . وَنَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لاَ أَنْدَمَ عَلَى حَسَنَةٍ (للخوارزمي)

﴿ في الطلب وحسن التواصل ﴾

كتاب ابي العيناء الى عُبيد الله بن سليمان

٢٧٩ أَنَا أَعَزَّكَ ٱللهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِك إِنْ أَسقَيْتَهُ رَاعَ وَزَكَا . وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبَلَ وَذَوَى . وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بِرٍّ وَإِغْفَالٌ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَكَلَّمَ عَدُوٌّ وَشَمِتَ حَاسِدٌ . وَلَعِبَتْ بِي ظُنُونُ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لاَعِبًا وَلَهُمْ مُخْرِسًا . وَلِلّهِ دَرُّ أَبِي ٱلأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ :

لاَ تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَزَعَهْ

٢٨٠ (فَوَقَّعَ فِي رُقْعَتِهِ) : أَنَا أَسْعَدَكَ ٱللّٰهُ عَلَى ٱلْحَالِ ٱلَّتِي عَهِدتَّ وَمَيْلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ . وَلَيْسَ مَنْ أُنْسِينَاهُ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مَنْ أَخَّرْنَاهُ تَرَكْنَاهُ مَعَ ٱقْتِطَاعِ ٱلشُّغْلِ لَنَا وَٱقْتِسَامِ زَمَانِنَا . وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعْلِمَنَا أَمْرَكَ . وَقَدْ وَقَّعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتُرِيحَ عِلَّتَكَ وَتُعَرِّفَنِي مَبْلَغَ ٱسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ . وَٱلسَّلَامُ (للقيرواني)

﴿ فصول في المدح والشكر ﴾

كتب ابن مكرّم الى أحمد بن المدبّر :

٢٨١ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ ٱلْفَضْلَ فَإِذَا ٱنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقَرُّوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ ٱلْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ . فَزَادَكَ ٱللّٰهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيُقَدِّمُهُ ٱخْتِيَارُكَ . وَيَقَعُ مِنَ ٱلْأُمُورِ بِمَوْقِعِ بِمُوَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

(وَلَهُ) إِنَّ مِمَّا يُطْمِعُنِي فِي بَقَاءِ ٱلنِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي بَصِيرَةً فِي ٱلْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّهَا وَٱسْتَوْجَبْتَهَا بِمَا فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ ٱلْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ ٱلْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَقَاوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلْقَلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَحِنُّ إِلى عُنْصُرِهِ . فإذا صَادَفَ مَنْبِتَهُ وَنَزَلَ فِي مَغْرِسِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفَرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ تَمَكُّنَ ٱلْإِقَامَة وَتَفتلَ تَفَتُّلَ ٱلطَّبِيعَةِ

فصل له أيضاً

٢٨٢ أَلسَّيْفُ ٱلْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ ٱلصَّدَأُ اسْتَغْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الجَلَاءِ حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرِنْدُهُ لِلِينِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ أَصِفْ نَفْسِي لكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا

(وَلَهُ) زَادَ مَعرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ ٱلنَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِندِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرْ
تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَعِنْدَ ٱلنَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرْ

فصل للعتابي

٢٨٣ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ ٱلْمَسْدُودُ بِهِ ثُلَمُهُمُ ٱلْمُجَدَّدُ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَٱلْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ . وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمُلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثَهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ سَبِيلِهِ . وَلَا انْمَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ

﴿ فصول في التوصية ﴾

كتاب بديع الزمان الى ابن أُخته

٢٨٤ أَنْتَ وَلَدِي ما دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ. وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ. وَالْمِحْبَرَةُ حَلِيفُكَ. وَالدَّفْتَرُ أَلِيفُكَ. فَإِنْ قَصَّرْتَ وَلاَ إِخَالُكَ. فَغَيْرِي خَالُكَ وَالسَّلاَمُ (رسائل بديع الزمان الهمذاني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيَّات للخلفاء في التوصية

٢٨٥ إِنَّ حَقَّ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ تَنْفِيذُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوَدِهِمْ وَرِيَاضَةُ أَخْلاَقِهِمْ. وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فَيُقَدِّمَ مُحْسِنَهُمْ وَيُؤَخِّرَ مُسِيئَهُمْ. لِيَزْدَادَ هٰؤُلاَءِ فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزْدَجِرَ هٰؤُلاَءِ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ.

(وَفَصْلٌ لَهُ): إِنَّ اللّٰهَ أَوْجَبَ لِخُلَفَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ. وَلِعَبِيدِهِ عَلَى خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ. فَإِذَا أَدَّى كُلٌّ إِلَى كُلٍّ حَقَّهُ كَانَ ذٰلِكَ سَبَبًا لِتَمَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأُلْفَةِ

(وَفَصْلٌ): لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللّٰهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلاَّ اتَّصَلَتْ بِرَعِيَّتِهِ عَامَّةً وَشَمَلَتِ الرَّعِيَّةَ كَافَّةً وَعَظُمَ بَلاَءُ اللّٰهِ عِنْدَهُمْ فِيهَا وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا. لِأَنَّ اللّٰهَ جَعَلَ

بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِ وَذَبِّهِ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ. وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنَ سَبِيلِهِمْ. فَأَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُنْطَوِيَ ٱلْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِ. مُؤَيَّدًا بِٱلنَّصْرِ. مُعَزَّزًا بِٱلتَّمْكِينِ. مَوْصُولَ ٱلْبَقَاءِ بِٱلنَّعِيمِ ٱلْمُقِيمِ

﴿ فصول في التعازي ﴾

كتب ابن السمَّاك الى هارون الرشيد يعزّيه بولدٍ :

٢٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ فَٱفْعَلْ. فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ. وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ فِتْنَتِهِ. أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ. أَرَضِيتَ ٱلدَّارَ لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِٱبْنِكَ. أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ ٱلْكَدَرِ وَبَقِيتَ أَنْتَ مُتَعَلِّقًا بِٱلْخَطَرِ وَٱلسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزَّى شبيب بن شبَّة المنصور على اخيهِ ابي العباس فقال :

٢٨٧ جَعَلَ ٱللهُ ثَوَابَ مَا رُزِقْتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا. وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا. وَخَتَمَ ذٰلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ. فَثَوَابُ ٱللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ. وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٢٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ ٱللهُ فِي ٱلِٱغْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ ٱلْمُشَارِكِ

فيها بأن ينالني نصيبٌ منها وأسلمَ من أكثرها. بل اجتمع عليَّ منها أني مخصوصٌ بها دونك مؤلَّمٌ منها بما يؤلمك. فأنا عليلٌ مصروفُ العناية إلى عليل كأني سليمٌ. فأنا أسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك أن يخصَّني بما فيك فإنها شاملةٌ لي ولك. (وفي هذا الباب):
إنَّ الذي يعلمُ حاجتي إلى بقائك قادرٌ على المدافعة عن حوبائك.
فلو قلتَ إنَّ الحقَّ قد سقط عنّي في عيادتك لأني عليلٌ بعلّتك لقام بذلك شاهدٌ عدلٌ في ضميرك وأثرٌ بادٍ في حالي لغيبتك. وأصدقُ الخبر ما حقّقهُ الأثرُ وأفضلُ القولِ ما كان عليه دليلٌ

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٢٨٩ بلغني ما قاساهُ شيخي أيّدهُ اللهُ تعالى في هذه المصيبة من غمٍّ يُشكي بل يُبكي. وجزعٍ يُضني. بل يُفني. والموتُ خطبٌ ثقُلَ حتى خفَّ وكثُرَ حتى قلَّ. وهانَ على الباقي لِما رآهُ بالماضي. وعلى المعزّي لِما نظرهُ في المعزّى. ودخلَ الجميعُ تحتَ قولِ المتنبّيء:

فيدفنُ بعضُنا بعضاً ويمشي أواخرُنا على هامِ الأوالي

وشيخي أعرفُ بالله. من أن يتأدّب بغير أدبِ الله. ولا يُسلِّمَ لقضاء الله. ولكن لمفاجأة المصيبة لذعةٌ يُستراحُ منها إلى مُباثّة الصديق. وإلى تسليةِ الأخِ الشفيق. والسلامُ (رسائل الخوارزمي)

غيرهُ لبعضهم

٢٩٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوْلَى مَنْ تَأَنَّسَ وَسَلَّمَ لِأَمرِ ٱللّٰهِ وَقَبِلَ تَأْدِيبَهُ فِي ٱلصَّبرِ عَلَى نَكَبَاتِ ٱلدُّنْيَا وَتَجَرَّعَ غُصَصَ ٱلْبَلْوَى مَنْ تَنَجَّزَ مِنَ ٱللّٰهِ وَعْدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَٱعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ. وَفِي قَلْبِهِ سَلْوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ ٱلنَّفْسُ عَنْهُ. وَأُنْسٌ مِنْ كُلِّ فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ ٱللَّوْعَةُ بِهِ. وَٱلْمَوْتُ سَبِيلُ ٱلْمَاضِينَ وَٱلْغَابِرِينَ. وَمَوْرِدُ ٱلْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. وَفِي أَنْبِيَاءِ ٱللّٰهِ وَسَالِفِ أَوْلِيَائِهِ أَفْضَلُ ٱلْعِبْرَةِ وَأَحْسَنُ ٱلْأُسْوَةِ. فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ ٱلدُّنْيَا بِأَجْزَلِ ٱلْإِعْطَاءِ وَمِنَ ٱلصَّبرِ عَلَيْهَا بِٱحْتِسَابِ ٱلْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ ٱلْأَنْصِبَاءِ. فَوَهَبَ ٱللّٰهُ لَكَ مِنْ عِصْمَةِ ٱلصَّبرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى ٱلْفَائِزِينَ وَقُرْبَةُ ٱلشَّاكِرِينَ. وَجَعَلَكَ مِنَ ٱلْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبد ربهِ)

كتاب أَبي بكر الخوارزمي الى تلميذٍ لهُ قد ظهر عليهِ الجذري

٢٩١ وَصَلَنِي خَبَرُ ٱلْجُدَرِيِّ فَنَالَ مِنِّي وَهَيَّجَ حُزْنِي. وَرَاعَ قَلْبِي وَأَسْهَرَ عَيْنِي. وَهٰذِهِ ٱلْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً. وَفِي رَأْيِ ٱلْعَيْنِ فَظِيعَةً شَنِيعَةً. فَإِنَّهَا إِلَى ٱلسَّلَامَةِ أَقْرَبُ. وَطَرِيقُهَا إِلَى ٱلْحَيَاةِ أَقْصَدُ. لِأَنَّ عَيْنَ ٱلطَّبِيبِ تَقَعُ عَلَيْهَا. وَظَاهِرُ ٱلدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ. وَبَارِزُ ٱلْجُرْحِ أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ. وَلَعَمْرِي أَنَّهَا تُورِثُ سَوَادَ ٱللَّوْنِ. وَتَذْهَبُ

مِنَ ٱلْوَجْهِ بِدِيبَاجَةِ ٱلْحُسْنِ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ يَسِيرٌ فِي جَنْبِ ٱلسَّلَامَةِ لِلرُّوحِ ٱللَّطِيفَةِ. وَٱلنَّفْسِ ٱلشَّرِيفَةِ. وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ ٱلدُّعَاءِ. لَا أَسْأَلُ صِحَّتَكَ. إِلَّا مِمَّنْ خَلَقَ عِلَّتَكَ. وَأَرَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنَّكَ بِرَبِّكَ. وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِكَ. وَتَجْعَلَ ٱلصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ. وَٱلْيَقِينَ طَبِيبَكَ. وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا دَاءَ أَدْوَأُ مِنْ أَجَلٍ. وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهَلٍ. وَلَا فِرَاشَ أَوْطَأُ مِنْ أَمَلٍ. شَفَاكَ ٱللّٰهُ تَعَالَى. وَحَسْبُكَ بِهِ طَبِيبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذٍ لهُ ورد عليهِ كتابهُ بأنهُ عليل

٢٩٢ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظَرِي إِلَيْهِ. ثُمَّ غَمَّنِي ٱطِّلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ. جَعَلَ ٱللّٰهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً. وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى ٱلْأُولَى أَجْرًا. وَعَلَى ٱلْآخِرَةِ شُكْرًا. وَبِوُدِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوَلُ عِيَادَتِكَ. فَٱحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِٱلتَّعَهُّدِ وَٱلْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ. فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ قِسْمٌ كَقِسْمِكَ. وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ. وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقِيتُكَ عَلِيلًا لَٱنْصَرَفْتُ وَأَنَا أَعَلُّ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللّٰهِ تَعَالَى جَلْدٌ عَلَى أَوْجَاعِ أَعْضَائِي. غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي. شَفَاكَ ٱللّٰهُ وَعَافَاكَ. وَكَفَانِي فِيكَ ٱلْمَحْذُورَ وَكَفَاكَ. وَغَفَرَ ذَنْبَكَ. وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ (لهُ)

الباب السابع

فِي تَأْرِيخِ ٱلْعَرَبِ[١]

نظر في أمَّة العرب وطباعهم وسكناهم

٢٩٣ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَرَبَ مِنْهُمُ ٱلْأُمَّةُ ٱلرَّاحِلَةُ ٱلنَّاجِعَةُ . ٱلْخِيَامُ لِسُكْنَاهُمْ وَٱلْخَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَٱلْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ .يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا .وَيَتَّخِذُونَ ٱلدِّفْءَ وَٱلْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا .وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا .يَتَنَازَلُونَ حِلَلًا مُفْتَرِقَةً وَيَبْتَغُونَ ٱلرِّزْقَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ ٱلْقَنْصِ وَتَخَطُّفِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلسُّبُلِ . وَيَتَقَلَّبُونَ دَائِمًا فِي ٱلْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَّةِ ٱلْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَّةِ ٱلْبَرْدِ أُخْرَى .وَٱنْتِجَاعًا لِمَرَاعِي غَنَمِهِمْ . وَٱرْتِيَادًا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ ٱلْكَفِيلَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمْلِ أَثْقَالِهِمْ وَدِفْئِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَٱخْتَصُّوا لِذٰلِكَ بِسُكْنَى ٱلْإِقْلِيمِ ٱلثَّالِثِ . فَعَمَّرُوا ٱلْيَمَنَ وَٱلْحِجَازَ وَنَجْدًا وَتِهَامَةَ وَمَا وَرَاءَ ذٰلِكَ لِٱخْتِصَاصِ هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ بِٱلرِّمَالِ وَٱلْقِفَارِ ٱلْمُحِيطَةِ بِٱلْأَرْيَافِ ٱلْآهِلَةِ بِمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ فِي فَصْلِ ٱلرَّبِيعِ وَزُخْرُفِ ٱلْأَرْضِ لِرَعْيِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْعُشْبِ فِي

(١) في هذا الباب نبذ من تاريخ العرب قبل الاسلام مأخوذة عن مؤرخي العرب وقد تركها صاحب المجاني على علاّتها مع ما في بعض اقوال المؤرخين من الخطأ ممّا اثبتته ابحاث العلماء المتأخرين . فعلى الاستاذ ان يبيّن ذلك خصوصاً فيما يتعلق بتاريخ العرب قبل المسيح

مَنَابِتِهَا وَٱلتَّنَقُّلُ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَصْلِ ٱلصَّيْفِ لِمُدَّةِ ٱلْأَقْوَاتِ فِي سَنَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرُبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلَ ٱلْعُمْرَانِ إِثْنَاءَ ذٰلِكَ مَعَرَّاتٌ مِنْ أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ ٱلسَّابِلَةِ وَرَعْيِ ٱلزَّرْعِ مُخْضَرًّا وَٱنْتِهَابِهِ قَائِمًا وَحَصِيدًا . إِلَّا مَا حَاطَتْهُ ٱلدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ ٱلْحَامِيَةُ فِي ٱلْمَمَالِكِ ٱلَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ فِيهَا . ثُمَّ يَنْحَدِرُونَ فِي فَصْلِ ٱلْخَرِيفِ إِلَى ٱلْقِفَارِ لِرَعْيِ شَجَرِهَا وَنِتَاجِ إِبِلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفِرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ وَظَعَائِنِهِمْ مِنْ أَذَى ٱلْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ ٱلرِّيفِ وَٱلصَّحْرَاءِ مَا بَيْنَ ٱلْإِقْلِيمِ ٱلثَّالِثِ وَٱلرَّابِعِ صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَمَرِّ ٱلْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ ٱلْمَخِيطِ فِي ٱلْغَالِبِ وَلُبْسُ ٱلْعَمَائِمِ تِيجَانًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ . لُقِّنُوا مِنْ أُمَمِ ٱلْبَرْبَرِ فِي حَمْلِ ٱلسِّلَاحِ ٱعْتِقَالَ ٱلرِّمَاحِ ٱلْخَطِّيَّةِ وَهَجَرُوا تَنَكُّبَ ٱلْقِسِيِّ

(تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٢٩٤ قَالَ ٱلْمُطَرِّزِيُّ : ٱخْتُلِفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ ٱسْمَهُمْ ٱشْتُقَّ مِنْ ٱلْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ : أَعْرَبَ ٱلرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَٱلْأَصَحُّ أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةَ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةَ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ ٱلْعَرَبُ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِٱللّٰهِ وَشَرَائِعِ ٱلدِّينِ

وَٱلْـكِبْرِ وَٱلتَّجَبُّرِ . وَقَدْ قَسَمَ ٱلْمُؤَرِّخُونَ ٱلْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : عَارِبَةٍ وَمُتَعَرِّبَةٍ وَمُسْتَعْرِبَةٍ . أَمَّا ٱلْعَارِبَةُ فَهُمُ ٱلْعَرَبُ ٱلْأُوَلُ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنَّا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا ٱلْعَرَبُ ٱلْمُتَعَرِّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ ٱلْيَمَنِ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ . وَأَمَّا ٱلْعَرَبُ ٱلْمُسْتَعْرِبَةُ فَهُمْ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الأرب للنويري)

أَخبار العرب العاربة أَو البائدة وهم القسم الأَوّل

٢٩٥ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودُ وَطَسْمٌ وَجَدِيسُ وَجُرْهُمُ ٱلْاولَى . وَقَدْ تَسَمَّى هٰذَا ٱلْجِيلُ ٱلْعَرَبَ ٱلْبَائِدَةَ بِمَعْنَى ٱلْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هٰذَا ٱلْجِيلِ ٱلْعَارِبَةَ إِمَّا بِمَعْنَى ٱلرَّسَاخَةِ بِٱلْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَلْيَلُ وَصَوْمٌ صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى ٱلْفَاعِلَةِ لِلْعُرُوبِيَّةِ وَٱلْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا

وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ ٱلْأُولَى بِأَحْقَافِ ٱلرَّمْلِ بَيْنَ ٱلْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَٱلشِّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادٌ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ . وَذَكَرَ ٱلْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ ٱلَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ شَدَّادٌ . وَهُوَ ٱلَّذِي سَارَ فِي ٱلْمَمَالِكِ وَٱسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ ٱلشَّامِ وَٱلْهِنْدِ وَٱلْعِرَاقِ . وَلَمَّا ٱتَّصَلَ مُلْكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعُتُوُّهُمُ ٱنْتَحَلُوا

عِبَادَةَ ٱلْأَصْنَامِ وَٱلْأَوْثَانِ فَأَبَادَهُمُ ٱللّٰهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ

وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِٱلْحِجْرِ وَوَادِي ٱلْقُرَى فِيمَا بَيْنَ ٱلْحِجَازِ وَٱلشَّامِ وَكَانُوا يَنْحَتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي ٱلْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ . فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ ٱلْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِيخُوا إِلَى دُعَائِهِ .فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ كَانُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي ٱلْغَابِرِينَ

وَأَمَّا جَدِيسُ وَطَسْمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ ٱلْيَمَامَةَ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَخْصَبِ ٱلْبِلَادِ وَأَعْمَرِهَا وَأَكْثَرِهَا ثِمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا .وَكَانَ مَلِكُ طَسْمٍ غَشُومًا مُضَارًّا لِجَدِيسَ مُسْتَذِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ ٱلْأَسْوَدُ وَقَتَلَهُ غِيلَةً

وَأَمَّا جُرْهُمُ ٱلْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِٱلْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِٱلْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِتَقَادُمِ ٱنْقِرَاضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنَّا حَقَائِقُ أَخْبَارِهِمْ وَٱنْقَطَعَتْ عَنَّا أَسْبَابُ ٱلْعِلْمِ بِآثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ ٱلثَّانِيَةُ فَلَيْسُوا مِنَ ٱلْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ وَبِهِمِ ٱتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرٰهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٢٩٦ وَسُمِّيَ هٰذَا ٱلْجِيلُ ٱلْعَرَبَ ٱلْمُتَعَرِّبَةَ لِنُزُولِهِمْ بِٱلْبَادِيَةِ مَعَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَارِبَةِ وَتَخَلُّقِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قَحْطَانَ بْنِ عَابَرَ بْنِ شَالَحَ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامٍ . وَقَحْطَانُ هٰذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ

أَرْضَ ٱلْيَمَنِ وَلَبِسَ ٱلتَّاجَ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قَحْطَانَ مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ ٱلْبَادِيَةِ مُبْعَدِينَ عَنْ رُتْبَةِ ٱلْمُلْكِ وَتَرَفِهِ ٱلَّذِي كَانَ لِأُولٰئِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنْجَاةٍ مِنَ ٱلْهَرَمِ ٱلَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ ٱلتَّرَفُ وَٱلنَّضَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ ٱلْفَضَاءِ فَصَائِلُهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوِّ ٱلْقَفْرِ أَفْخَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَنَمَى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ ٱلْعَمَالِقَةِ فِي آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَاحَمُوهُمْ بِمَنَاكِبِهِمْ وَٱسْتَجَدُّوا خُلُقَ ٱلدَّوْلَةِ بِمَا ٱسْتَأْنَفُوهُ مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ ٱلدَّوْلَةُ لِبَنِي قَحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ

(لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٢٩٧ وَكَانَ يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ مِنْ أَعَاظِمِ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمَنًا وَبِهِ سُمِّيَتِ ٱلْيَمَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وُلْدُهُ بِٱلتَّحِيَّةِ : أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ وَأَنْعِمْ صَبَاحًا . وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِٱلْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ :

تَعَلَّمْتُمُ مِنْ مَنْطِقِ ٱلشَّيْخِ يَعْرُبٍ أَبِينَا فَصِرْتُمْ مُعْرِبِينَ ذَوِي نَفْرِ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عُجْمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَٱلْبَهَائِمِ فِي ٱلْقَفْرِ

وَمَلَكَ بَعْدَ يَعْرُبَ ٱبْنُهُ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِيَ ٱلْعَزِيمَةِ وَٱسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ

بما في أيديهم من الممالك. وملك من بعده ابنه عبد الشمس وأكثر الغزو في أقطار البلاد فسمي سبأ. وكانت قاعدة ملكه مدينة صنعاء ومن مدنه مأرب على ثلاث مراحل منها (للنويري وابن الاثير)

سدّ مأرب وتفرع بني سبا

٢٩٨ فبنى سبأ في مأرب سدًّا ما بين جبلين بالصخر والقار فحقن به ماء العيون والامطار وساق اليه سبعين واديًا وترك فيه خروقًا على قدر ما يحتاجون إليه في سقيهم. وهو الذي يسمى العرم ومات قبل إتمامه فأتمه ملوك حمير من بعده فأقاموا في جناته عن اليمين والشمال. ودولتهم يومئذٍ أوفر مما كانت وأترف وأبذخ وأعلى يدًا وأظهر. فلما طغوا وأعرضوا أجحفهم السيل وأغرق جناتهم وخربت أرضهم وتمزق ملكهم وصاروا أحاديث. وكان هؤلاء التبابعة ملوكًا عدة في عصور متعاقبة وأحقاب متطاولة لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد. وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن إلى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب. فاختلفت احوالهم ووقع اللبس في نقل أيامهم. فلنأت بما صح منها متحرين جهد الاستطاعة الابتعاد عن طموس من الفكر واقتفاء التقاليد المرجوع اليها والأصول المعتمد على نقلها وعدم الوقوف على أخبارهم مدوّنة

فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأَ مِنَ ٱلْوُلْدِ كَثِيرٌ وَأَشْهَرُهُمْ حِمْيَرُ وَعَمْرٌو وَكَهْلَانُ فَيُعْزَى ٱلتَّبَابِعَةُ إِلَى حِمْيَرَ وَٱلْمَنَاذِرَةُ إِلَى عَمْرٍو وَيَنْتَمِي ٱلْغَسَاسِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسَنُورِدُ بِٱلتَّلْخِيصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

١ً ملك التبابعة بني حمير في اليمن

ذكر حمير وشدّاد وتبع الاول

٢٩٩ قَالَ ٱلْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِمُلُوكِ ٱلْيَمَنِ تَبَابِعَةٌ لِأَنَّهُ يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ ٱلْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتُبَّعٍ حَتَّى يَمْلِكَ ٱلْيَمَنَ وَٱلشِّحْرَ وَحَضْرَمُوتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هٰذَا فَيُسَمَّى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تُبَّعٌ . وَأَمَّا حِمْيَرُ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِٱلْعَرَنْجَجِ . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَّجَ بِٱلذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ ٱلْيَمَنِ إِلَى ٱلْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى ٱلْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ ٱلْأَمْرُ إِلَى شَدَّادٍ فَغَزَا ٱلْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ وَبَنَى ٱلْمَدَائِنَ وَٱلْمَصَانِعَ وَأَبْقَى ٱلْآثَارَ ٱلْعَظِيمَةَ . ثُمَّ ٱضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حِمْيَرَ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنِ ٱسْتَقَرَّ فِي ٱلْحَارِثِ وَهُوَ تُبَّعٌ ٱلْأَوَّلُ وَفِي بَنِيهِ ٱلتَّبَابِعَةِ . وَقَدْ لُقِّبَ ٱلْحَارِثُ بِٱلرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَاشَ ٱلنَّاسَ بِٱلْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ ٱلسَّلَبِ وَٱلْغَنَائِمِ (لحمزة الأصفهاني)

ملك افريقس وذي الاذعار وشرحبيل

٣٠٠ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةُ ذُو ٱلْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ ٱلْبَرْبَرَ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَنْزَلَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي سَمَّى ٱلْبَرَابِرَةَ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ لَمَّا ٱفْتَتَحَ ٱلْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَانَتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرْبَرَتَهُمْ . فَسُمُّوا ٱلْبَرَابِرَةَ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرٌو ذُو ٱلْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ ٱلسِّيرَةَ فِي ٱلرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَعْبَأْ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جَهِلْتَ وَصِيَّتِي ... إِيَّاكَ فَاحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تَرْشُدُ
يَا عَمْرُو لَا وَٱللّٰهِ مَا سَادَ ٱلْوَرَى ... فِيمَا مَضَى إِلَّا ٱلْمُعِينُ ٱلْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي ٱلْعُلَى بِنَوَالِهِ ... كَرَماً يُقَالُ لَهُ ٱلْجَوَادُ ٱلسَّيِّدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ ... وَٱلزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ

وَلَمَّا ذُعِرَتْ حِمْيَرُ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَّدَتِ ٱلْمُلْكَ شَرَحْبِيلَ . فَجَرَى بَيْنَ شَرَحْبِيلَ وَذِي ٱلْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ . وَٱسْتَقَلَّ شَرَحْبِيلُ بِٱلْمُلْكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلْهَدْهَادُ

ملك بلقيس وناشر النعم وشمرمرعش ومزيقيا

٣٠١ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ٱبْنَةُ ٱلْهَدْهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ بِنَفِيسِ ٱلْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ ٱلْيَمَنِ عِشْرِينَ سَنَةً .

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا بِالْمُلْكِ مَالِكٌ نَاشِرُ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَلَّدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْمِنَنِ وَسَارَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكَثْرَةِ الرَّمْلِ وَعَبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنَمٍ مِنْ نُحَاسٍ نُصِبَ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ : هٰذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ النِّعَمِ الْحِمْيَرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفْ أَحَدٌ ذٰلِكَ فَيَعْطَبَ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هٰذَا ابْنُهُ شَمَّرُ مُرْعِشُ سُمِّيَ بِذٰلِكَ لِارْتِعَاشٍ كَانَ بِهِ وَهٰذَا هُوَ تُبَّعٌ الْآخَرُ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَابِعَةِ ذُو الْمَغَازِي وَالْآثَارِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ افْتَتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ جَيْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ شَمَّرَ كَنَدْ أَيْ شَمَّرَ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ هٰذَا وَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ . وَشَخَصَ مِنَ الْيَمَنِ غَازِيًا وَمَرَّ بِالْحِيرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ وَهَادَنُوهُ . وَأَخَذَ بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِإِغْرَاءِ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَّأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى الصِّينِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ :

وَكَانَ لِمَلِكِ ٱلصِّينِ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ ٱلْبَأْسِ سَامِي ٱلْهِمَّةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ ٱلْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحِقَ بِأَبِي كَرِبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ ٱلصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ ابَا كَرِبٍ عَلَى خَلَلٍ يُمَكِّنُهُ ٱلْفُرْصَةَ لِإِلْقَاءِ بِلَادِهِمْ بِٱلْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسُرَّ بِهِ تُبَّعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاخَ لِقَوْلِهِ .فَنَهَضَ ٱلْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ يَقْدُمُهُمْ حَتَّى ٱنْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضٍ سَبَخَةٍ . فَتَوَغَّلُوا فِي فَلَوَاتٍ سَحِيقَةٍ لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ ٱلْعَطَشُ فَهَلَكُوا .ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ أَبُو مَالِكٍ وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ ٱنْتَقَلَ ٱلْمُلْكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ٱلْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ بِذْلَةً فَإِذَا أَرَادَ ٱلدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَمُزِّقَتْ لِئَلَّا يَجِدَ أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ .وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ ٱلْعَرِمِ (١٠٢ بعد المسيح) فَٱنْفَجَرَتْ مِيَاهُ سَدِّ مَأْرِبَ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ فَتَفَرَّقَتِ ٱلْقَبَائِلُ ٱلْمُجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِيَ سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٣٠٢ وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى ٱلْمُلُوكُ عَلَى حِمْيَرَ حَتَّى صَارَ ٱلْمُلْكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ . (٤٩٠ ب م) وَٱتَّفَقَ أَهْلُ ٱلْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ٱبْنُ تُبَانٍ أَسْعَدَ وَٱسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ ٱلتَّبَابِعَةِ

تَسَمَّى يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ ٱلْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلَ ٱلْيَمَنِ . فَٱسْتَجْمَعَتْ مَعَهُ حِمْيَرُ عَلَى ذٰلِكَ . وَأَرَادَ أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ ٱلْعَرَبِ يَدِينُونَ بِٱلنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي ٱلدِّينِ وَٱسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ ٱلْإِنْجِيلِ . وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ثَامِرٍ . وَكَانَ هٰذَا ٱلدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ ٱلْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ ٱلتُّبَّعِيَّةِ يُقَالُ لَهُ فِيمُون . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي ٱلْعِبَادَةِ مُجَابَ ٱلدَّعْوَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ ٱلْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ ٱلْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ ٱلْخَفَاءَ عَنِ ٱلنَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعَظِّمُ يَوْمَ ٱلْأَحَدِ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا فَفَطِنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ ٱسْمُهُ صَالِحٌ فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَّيْنِ بِأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ ٱلْعَرَبِ . فَٱخْتَطَفَتْهُمَا سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ ٱلْعَرَبِ يَعْبُدُونَ نَخْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي ٱلْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ ٱبْتَاعَ فِيمُونَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَٱبْتَاعَ صَالِحًا آخَرُ . فَكَانَ فِيمُونُ إِذَا قَامَ فِي ٱللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ سَيِّدُهُ ٱسْتَسْرَجَ لَهُ ٱلْبَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ

ٱلصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهٰذِهِ ٱلشَّجَرَةُ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ . وَلَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلٰهِي ٱلَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لاَ نِدَّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ : اُفْعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هٰذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ . فَدَعَا فِيمُونُ فَأَرْسَلَ ٱللّٰهُ رِيحًا فَجَعَفَتِ ٱلنَّخْلَةَ مِنْ أَصْلِهَا . وَأَطْبَقَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى ٱتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتْ ٱلنَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ . وَأَمَّا عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ ثَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فِيمُونَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَائِعَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَقُهَ فِيهَا .وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ ٱلْخَوَارِقُ وَٱلْمُعْجِزَاتُ وَدَانَ ٱلْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَٱسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدَ ٱللّٰهِ ٱبْنَ ثَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفْسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ ٱلْقَتْلَ فَلَمْ يَزِدْهُمْ إِلاَّ جِمَاحًا . فَخَدَّ لَهُمْ ٱلأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ ٱمْتَحَنَهُمْ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَٱلْمَرْأَةِ: إِمَّا أَنْ تَتْرُكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكٌ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُقْذَفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتِ ٱمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيعٌ عُمْرُهُ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ فَجَزِعَتْ وَتَهَيَّبَتْ . فَقَالَ لَهَا ٱلْغُلاَمُ : يَا أُمَّاهُ

لاَ تنَافِقِي فَإِنَّكِ عَلى الْحَقّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ. فَاحْتَرَقَتْ وَقَتَلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاس حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ وَأَفْلَتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ سَبَأ يُقَالُ لَهُ دُوسٌ ذُو ثُعْلُبَانَ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ. فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٣٠٣ فَبَعَثَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ. فَجَاءَتْهُ السُّفُنُ وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطَ رَجُلاً مِنْهُمْ. وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلاَدِهِمْ. فَرَكِبُوا الْبَحْرَ وَنَزَلُوا سَاحِلَ الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاس فِيمَنْ مَعَهُ فَانْهَزَمَ. فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاس مَا نَزَلَ بِهِ وَبِقَوْمِهِ وَجَّهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَخَاضَ ضَحْضَاحَهُ. ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى غَمْرَةٍ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَانْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَابِعَةِ. (٥٢٩ ب م) وَوَطِئَ مِنْ ثَمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنَ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالاَتِ حِمْيَرَ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمُلْكِ. ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطَ أَبْرَهَةُ أَحَدُ رُؤَسَاءِ جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رُعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطَ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَانْحَازَ إِلَى أَرْيَاطَ عُظَمَاءُ الْحَبَشَةِ وَغَطَارِيفُهُمْ فَاقْتَتَلُوا. فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ وَعَلاَ وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ

فَشَرَمَ أَنفَهُ وَبِذٰلِكَ لُقِّبَ بِٱلأَشْرَمِ . وَحَمَلَ أَبْرَهَةُ عَلَى أَرْيَاطَ بِٱلسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْرَعَ ٱلسَّيْفُ فِي دِمَاغِهِ وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ. فَمَالُوا حِينَئِذٍ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَبْرَهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا . وَكَانَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيمًا دَحْدَاحًا ذَا دِينٍ فِي ٱلنَّصْرَانِيَّةِ .فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ غُمْدَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةَ ٱلْعَمَلِ وَسَمَّاهَا ٱلْقُلَّيْسَ (١) فَٱنْتَشَرَ خَبَرُ بِنَاءِ هٰذَا ٱلْبَيْتِ فِي ٱلْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةُ (٥٧١ب م) مَلَكَ مَكَانَهُ ٱبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَٱسْتَفْحَلَ مُلْكُهُ وَأَذَلَّ حِمْيَرَ وَقَبَائِلَ ٱلْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَٱسْتَخْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ يَكْسُومُ فَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (للازرقي)

---

(١) وكان القُلَّيس مربَّعاً مستوي التربيع وجعل طولهُ في السماء ستّين ذراعاً وحولهُ سورٌ بينه وبين القُلَّيس مائتا ذراعٍ مطيف بهِ من كل جانب وجعل بين ذلك كلّهِ حجارة تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقة بهِ . وكان لهُ باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلّق العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجّرة بين اضعافها كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قُبَّة جُدُرها بالفسيفساء وفيها صُلُب منقوشة بالذهب والفضة وفيها رُخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة تغشي عين مَن نظر اليها من بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللبخ وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

اخبار سيف بن ذي يزن

٣٠٤ وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ ٱلْحَبَشَةِ عَلَى أَهْلِ ٱلْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ ٱلْحِمْيَرِيُّ مِنَ ٱلْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذٰلِكَ ٱلسَّلَفِ وَعَقِبُ أُولٰئِكَ ٱلْمُلُوكِ . وَدِيَالُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُوفِضُ لِلْخُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى ٱلْحَبَشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : ٱلْحَبَشَةُ عَلَى دِينِ ٱلنَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى وَقَدِمَ ٱلْحِيرَةَ عَلَى ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارِسَ عَلَى ٱلْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ أَرْضِ ٱلْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَٱسْتَمْهَلَهُ ٱلنُّعْمَانُ إِلَى حِينِ وِفَادَتِهِ عَلَى كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ ٱلنَّصْرَ عَلَى ٱلْحَبَشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ . فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . ٱبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ ٱلَّذِي أَرَدتَّ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا ٱزْدَدتَّهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأُحْصُوا بِثَمَانِمِائَةٍ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَأَكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ وَهْرَزَ ٱلدَّيْلَمِيَّ . فَتَوَافَقُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهْرَزُ ٱبْنَهُ أَنْ يُنَاوِشَهُمُ ٱلْقِتَالَ فَقَتَلُوهُ وَأَحْفَظَهُ ذٰلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَّ ٱلْيَاقُوتَةَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَتَغَلْغَلَ فِي دِمَاغِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ ٱلْقَوْمُ عَلَيْهِمْ وَٱنْهَزَمَ ٱلْحَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهٍ . وَفَنِيَ مُلْكُهُمْ فِي ٱلْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ

سَنَةً . (٦٠١) وَٱنْصَرَفَ وَهْرَزُ إِلَى كِسْرَى بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ سَيْفاً عَلَى ٱلْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْفُرْسِ ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ عَلَى فَرِيضَةٍ يُؤَدِّيهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ٱبْنِ ذِي يَزَنٍ وَأَنْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ . وَٱنْفَرَدَ ٱبْنُ ذِي يَزَنٍ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ ٱلْمُلْكِ وَهُوَ رَأْسُ غُمْدَانَ . يُقَالُ إِنَّ ٱلضَّحَّاكَ بَنَاهُ عَلَى ٱسْمِ ٱلزُّهَرَةِ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْبُيُوتِ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَسْمَاءِ ٱلْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا ٱسْتَوْثَقَ لِذِي يَزَنٍ ٱلْمُلْكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ ٱلْحَبَشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوَلاً وَٱتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِٱلْحِرَابِ فَخَرَجَ يَوْماً وَهُمْ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا ٱنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ ٱلنَّاسِ رَمَوْهُ بِٱلْحِرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلاً عَلَى ٱلْيَمَنِ وَٱسْتَمَرَّتْ عُمَّالُهُ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمْ بَاذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتِ ٱلْيَمَنُ لِلْإِسْلَامِ

(لابن خلدون)

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق

تملُّك ملك بن فهم وجذيمة الأبرش

٣٠٥ أَمَّا أَخْبَارُ ٱلْعَرَبِ بِٱلْعِرَاقِ فِي ٱلْجِيلِ ٱلْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا تَفَاصِيلُهَا وَشَرْحُ حَالِهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ سَيْلُ ٱلْعَرِمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ ٱلْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَأْرِبَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَٱلشَّامِ . فَكَانَتْ تَنُوخُ وَقُضَاعَةُ

وَهُمَا حَيانِ مِنْ أَحْيَاءِ ٱلْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ مِمَّنْ تَمَزَّقَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ . فَقَالَ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيُّ لِمَالِكٍ ٱلْقُضَاعِيِّ : نُقِيمُ بِٱلْبَحْرَيْنِ وَنَتَحَالَفُ عَلَى مَنْ نَوَانَا فَتَحَالَفُوا . فَسُمُّوا تَنُوخَ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ ٱلطَّوَائِفِ فَنَظَرُوا إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ شَاغِرَةٌ فَخَرَجُوا عَنِ ٱلْبَحْرَيْنِ وَسَارَتِ ٱلْأَزْدُ إِلَى ٱلْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بْنِ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيِّ . وَسَارَتْ قُضَاعَةُ إِلَى ٱلشَّامِ مَعَ مَالِكٍ ٱلْقُضَاعِيِّ

٣٠٦ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تَنُوخَ فِي ٱلْعِرَاقِ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ (١٩٥ للمسيح) وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِٱلْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكٍ رَمْيَةً بِٱللَّيْلِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيهِ قَالَ :

جَزَانِي لَا جَزَاهُ ٱللهُ خَيْرًا ... سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرًّا جَزَانِي
أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ فَاظَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكٍ جَذِيمَةُ ٱلْأَبْرَشُ . (٢١٥ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ ٱلرَّأْيِ بَعِيدَ ٱلْمَغَارِ شَدِيدَ ٱلنِّكَايَةِ ظَاهِرَ ٱلْحَزْمِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِٱلْجُيُوشِ وَشَنَّ ٱلْغَارَاتِ عَلَى قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَأَكْبَرَتْهُ ٱلْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْعَتَهُ بِهِ إِعْظَامًا فَسَمَّتْهُ جَذِيمَةَ ٱلْأَبْرَشَ وَجَذِيمَةَ ٱلْوَضَّاحَ . وَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلسَّوَادِ مَا بَيْنَ ٱلْحِيرَةِ وَٱلْأَنْبَارِ وَسَائِرِ ٱلْقُرَى ٱلْمُجَاوِرَةِ

لِبَادِيَةِ ٱلْعَرَبِ وَكَانَ يَجْبِي أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسْمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنَ ٱلْيَمَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَضْحَى جَذِيمَةُ فِي ٱلْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ   قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ

فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكَ . وَكَانَ جَذِيمَةُ مَلِكَ مَعَدٍّ وَبَعْضِ ٱلْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمْرِهِ ٱلشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرَو بْنَ حَسَّانَ بْنِ أُذَيْنَةَ وَالِدَ ٱلزَّبَّاءِ مَلِكَةِ ٱلطَّوَائِفِ . فَٱنطَوَتْ لَهُ ٱلزَّبَّاءُ عَلَى طَلَبِ ٱلثَّأْرِ حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ نَحْوَ سِتِّينَ سَنَةً بِالتَّقْرِيبِ   (لحمزة الأصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٣٠٧ فَوَرِثَ ٱلْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱبْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيّ (٢٦٧) وَأُمُّهُ رَقَاشِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ ٱتَّخَذَ ٱلْحِيرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ يَعُدُّهُ ٱلْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ ٱلْعِرَاقِ وَمُلُوكِ ٱلْعِرَاقِ إِلَيْهِ يَنْتَسِبُونَ وَهَمَّ عَمْرٌو بِطَلَبِ ٱلثَّأْرِ مِنَ ٱلزَّبَّاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحَسَّتِ ٱلزَّبَّاءُ بِنِيَّتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقِلٍ فَصَارَتْ أَمْنَعَ مِنْ عُقَابٍ . فَعَمَدَ عَمْرٌو إِلَى قَصِيرٍ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمُوَاطَأَةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزَّبَّاءِ يَشْكُو مَا أَصَابَهُ مِنْ عَمْرٍو وَأَنَّهُ ٱتَّهَمَهُ بِمُدَاخَلَةِ ٱلزَّبَّاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ : وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْكَى لَهُ

مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَأَكْرَمَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ ٱلْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرٍو . فَلَحَمَهَا بِٱلسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَٱنْكَفَأَ رَاجِعاً . فَبَقِيَ عَمْرٌو مَلِكاً مُدَّةَ عُمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو ٱلْمَغَازِيَ وَيُصِيبُ ٱلْغَنَائِمَ وَتُجْبَى إِلَيْهِ ٱلْأَمْوَالُ وَتَفِدُ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ دَهْرَهُ ٱلْأَطْوَلَ . لَا يَدِينُ لِمُلُوكِ ٱلطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَزْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ فِي أَهْلِ فَارِسَ أَرْضَ ٱلْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ مُنَاوِئًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوخَ مُجَاوَرَةَ ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلصَّغَارِ . فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُضَاعَةَ ٱلَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا مَعَ مَلِكٍ فَلَحِقُوا بِٱلشَّامِ وَٱنْضَمُّوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يُحْدِثُونَ أَحْدَاثًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ إِلَى رِيفِ ٱلْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ ٱلْحِيرَةَ فَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً . فَصَارَ أَهْلُ ٱلْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . ٱلثُّلْثُ ٱلْأَوَّلُ تَنُوخُ وَهُمْ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ ٱلْمَظَالَّ وَبُيُوتَ ٱلشَّعَرِ وَٱلْوَبَرِ فِي غَرْبِيِّ ٱلْفُرَاتِ مَا بَيْنَ ٱلْحِيرَةِ إِلَى ٱلْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَٱلثُّلْثُ ٱلثَّانِي ٱلْعِبَادُ وَهُمُ ٱلَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ ٱلْحِيرَةِ فَٱبْتَنَوْا بِهَا . وَٱلثُّلْثُ ٱلثَّالِثُ

ٱلْأَحْلَافُ . وَعَمَرَتِ ٱلْحِيرَةُ أَيَّامَ مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بِٱتِّخَاذِهَا إِيَّاهَا وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتِ ٱلْكُوفَةُ وَنَزَلَهَا عَرَبُ ٱلْإِسْلَامِ

(للنويري وحمزة الأصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والمحرّق والنعمان الأعور السائح

٣٠٨ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلْبَدْءُ وَهُوَ ٱلْأَوَّلُ فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ — ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ نَصْرٍ وَعُمَّالِ ٱلْفُرْسِ . ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ٱبْنُهُ عَمْرٌو (٣٣٨ — ٣٦٣) ثُمَّ عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَّامٍ ٱلْعِمْلِيقِيُّ خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ ثَارَ بِهِ جَحْجَبَا أَحَدُ بَنِي فَارَانَ فَقَتَلَهُ . (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ (ٱلثَّانِي) . (٣٦٧ — ٣٩٠ ب م) وَيُعْرَفُ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ هٰذَا بِٱلْمُنْذِرِ وَٱلْمُحَرِّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِٱلنَّارِ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ ٱلْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفُرَ فِي قَوْلِهِ :

* مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقِ * ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلنُّعْمَانُ ٱلْأَعْوَرُ ٱلسَّائِحُ وَهُوَ بَانِي ٱلْخَوَرْنَقِ وَٱلسَّدِيرِ [1] وَكَانَ ٱلنُّعْمَانُ هٰذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجَرْدَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ٱبْنَهُ بَهْرَامَ لِيُرَبِّيَهُ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ ٱلْخَوَرْنَقِ مَسْكِنًا لِٱبْنِهِ فَأَسْكَنَهُ إِيَّاهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ . وَجَاءَهُ

(١) راجع الوجه ٢٢١ من الجزء الثاني من مجاني الادب

بِمَنْ يُلَقِّنُهُ ٱلْخِلَالَ مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلآدَابِ وَٱلْفُرُوسِيَّةِ حَتَّى ٱشْتَمَلَ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا رَضِيَهُ . وَكَانَ ٱلنُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ نِكَايَةً فِي ٱلْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا قَدْ أَتَى ٱلشَّامَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ ٱلْمَصَائِبَ فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ . وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْفِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ ٱلشَّهْبَاءَ وَأَهْلُهَا ٱلْفُرْسُ وَدَوْسَرَ وَأَهْلُهَا تَنُوخُ . فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنَ ٱلْعَرَبِ . وَكَانَ صَارِمًا حَازِمًا ضَابِطًا لِمُلْكِهِ قَدِ ٱجْتَمَعَ لَهُ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْخَوَلِ وَٱلرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ ٱلْحِيرَةِ . وَٱلْحِيرَةُ يَوْمَئِذٍ سَاحِلُ ٱلْفُرَاتِ . وَلَمَّا أَتَى عَلَى ٱلنُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهِدَ وَتَرَكَ ٱلْمُلْكَ وَلَبِسَ ٱلْمُسُوحَ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (١)

ملك المنذر الأَوَّل والنعمان الثاني والأَسود وامرئ القيس الثالث

٣٠٩ وَلَمَّا تَزَهَّدَ ٱلنُّعْمَانُ تَوَلَّى ٱلْأَمْرَ ٱبْنُهُ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْأَوَّلُ (٢٤٠ ب م) وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَّوْا عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وُلْدِ أَزْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ لِنَشْئِهِ بَيْنَ ٱلْعَرَبِ وَخُلُوِّهِ مِنْ آدَابِ ٱلْعَجَمِ . وَٱسْتَنْجَدَ بَهْرَامُ بِٱلْعَرَبِ فَجَهَّزَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِطَلَبِ مُلْكِهِ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ ٱلْمَلِكِ فَأَذْعَنَ لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ .

---

(١) راجع الوجه ١٧ من هذا الكتاب

وَٱسْتَوْهَبَ ٱلْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُمْ وَٱجْتَمَعَ أَمْرُهُ. وَرَجَعَ ٱلْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشُغِلَ بِٱللَّهْوِ إِلَى مَوْتِهِ . (٤٦٢ ب م) وَمَلَكَ مَكَانَهُ ٱلنُّعْمَانُ ٱلثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ ٱلنَّصْرَانِيَّ فَتَزَهَّدَا (٤٦٩)[1]. وَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ ٱلْأَسْوَدُ وَهُوَ ٱلَّذِي ٱنْتَصَرَ عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ ٱلشَّامِ وَأَسَرَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١). وَمَلَكَ أَخُوهُ مُنْذِرٌ ٱلثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ٱبْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُعْمَانُ ٱلثَّالِثُ . ثُمَّ ٱسْتُخْلِفَ أَبُو يَعْفُرَ بْنُ عَلْقَمَةَ ٱلذُّمَيْلِيُّ (٥٠٣) وَذُمَيْلُ بَطْنٌ مِنْ لَخْمٍ . ثُمَّ مَلَكَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ (٥٠٦) هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أُوَارَةَ فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوَدَ مُلُوكِ ٱلْحِيرَةِ وَتَعْضُدُهُمْ . وَهُوَ أَيْضًا بَانِي ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصِّنَّبْرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخُبُّ بِنَا ٱلنَّا ... قَةُ نَحْوَ ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصِّنَّبْرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٣١٠ وَلَمَّا هَلَكَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلثَّالِثُ ٱبْنُهُ وَهُوَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ ٱلسَّمَاءِ . قَالَ ٱلْجَنَّابِيُّ : وَكَانَ هٰذَا لَقَبًا لِأَبِي عَامِرٍ ٱلْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ

(١) راجع وجه ١٩ من هذا الكتاب

مَقَامَ ٱلْقَطْرِ أَيْ عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى بَنِيهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفٌ مِنْهُ .
وَذَكَرَ أَنَّ مُرَّةَ بْنَ كَلْثُوم قَتَلَهُ لِخَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م)
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ ٱلْمُلَقَّبُ بِٱلْمُحَرِّق وَهِنْدٌ أُمُّهُ .
وَكَانَ شَدِيدَ ٱلسُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً
يَوْمَ أُوَارَةَ ٱلثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ
عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ سِنِينَ فِي زَمَنِ
أَنُوشَرْوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لِينٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ يَشْكُرَ
وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً ثُمَّ
ٱلنُّعْمَانُ ٱلرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ — ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ ٱلنَّابِغَةِ
ٱلذُّبْيَانِيِّ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْغَرِيَّيْنِ وَتَنَصَّرَ (للنويري والمسعودي)

خبر تنصر النعمان

٣١١ كَانَ ٱلنُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ ٱلْمُلَقَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ ٱلْمُضَلَّلِ وَٱلْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ ٱلْمَنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ
حَفِيرَةٌ بِظَهْرِ ٱلْحِيرَةِ ثُمَّ يُجْعَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي ٱلْحُفْرَتَيْنِ . فَفُعِلَ
ذٰلِكَ بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهَلَاكِهِمَا . فَنَدِمَ عَلَى

ذٰلِكَ وَغَمَّهُ . وَفِي عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ ٱلْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :

يَا قَبْرُ بَيْنَ بُيُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقُ
أَمَّا ٱلْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِنْ بَكَيْتَ فَلَلْبُكَاءُ خَلِيقُ

ثُمَّ رَكِبَ ٱلنُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِبِنَاءِ ٱلْغَرِيَّيْنِ عَلَيْهِمَا . فَبُنِيَا وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي ٱلسَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ ٱلْغَرِيَّيْنِ يُسَمَّى أَحَدُهُمَا يَوْمَ نَعِيمٍ وَٱلْآخَرُ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ مِائَةً مِنَ ٱلْإِبِلِ شُؤْمًا أَيْ سُودًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرِبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيُذْبَحُ وَيُغَرَّى بِدَمِهِ ٱلْغَرِيَّانِ . فَلَبِثَ بِذٰلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيِّءٍ يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ آوَى ٱلنُّعْمَانَ فِي خِبَائِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى ٱلصَّيْدِ وَٱنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ ٱلْمَطَرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ٱلنُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَهُ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ . فَقَالَ : أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ : أَبْشِرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَٱللّٰهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ

مَأثِرًا فَلاَ تَكُنْ مِيرَتُهُمْ قَتْلِي . فَقَالَ لاَ بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةً أَقْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ : تُؤَجِّلُنِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأُحْكِمُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذُ فِيَّ حُكْمَكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ حَتَّى تَعُودَ . فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرٍو فَأَنْشَدَ :

يَا شَرِيكُ يَا ٱبْنَ عَمْرٍو ... يَا أَخَا مَنْ لاَ أَخَا لَهْ

يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ ٱلْـيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَا لَهْ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ ... وَحَيَا مَنْ لاَ حَيَا لَهْ

إِنَّ شَيْبَانَ قَبِيلٌ ... أَكْرَمَ ٱللهُ رِجَالَهْ

وَأَبُوكَ ٱلْخَيْرُ عَمْرٌو ... وَشَرَاحِيلُ ٱلْحَمَالَهْ

رَقَّيَاكَ ٱلْيَوْمَ فِي ٱلْمَجْـدِ وَفِي حُسْنِ ٱلْمَقَالَهْ

فَوَثَبَ شَرِيكٌ وَقَالَ : أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ وَأَمَرَ لِلطَّائِيِّ بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ . وَقَدْ جَعَلَ ٱلْأَجَلَ عَامًا كَامِلاً مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ ٱلْقَابِلِ . فَلَمَّا حَالَ ٱلْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ ٱلْأَجَلِ يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ ٱلنُّعْمَانُ لِشَرِيكٍ: مَا أَرَاكَ إِلاَّ هَالِكًا غَدًا فِدَاءً لِحَنْظَلَةَ . فَقَالَ شَرِيكٌ : فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هٰذَا ٱلْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ . فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلاً . وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ ٱلنُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيْ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ

بِقَتْلِ شَرِيكٍ . فَقَالَ لَهُ وُزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ يَوْمَهُ . فَتَرَكَهُ ٱلنُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنجِّيَ ٱلطَّائِيَّ . فَلَمَّا كَادَتِ ٱلشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكٌ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى ٱلنَّطْعِ وَٱلسَّيَّافُ إِلَى جَانِبِهِ . وَكَانَ ٱلنُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ ٱلطَّائِيُّ قَدْ تَكَفَّنَ وَتَحَنَّطَ وَجَاءَ بِنَادِبَتِهِ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلنُّعْمَانُ قَالَ : مَا ٱلَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَّ مِنَ ٱلْقَتْلِ . قَالَ : ٱلْوَفَاءُ . قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى ٱلْوَفَاءِ . قَالَ : إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ ٱلْغَدْرِ . قَالَ : وَمَا دِينُكَ . قَالَ : ٱلنَّصْرَانِيَّةُ . قَالَ : فَٱعْرِضْهَا عَلَيَّ . فَعَرَضَهَا فَتَنَصَّرَ ٱلنُّعْمَانُ .وَتَرَكَ تِلْكَ ٱلسُّنَّةَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكٍ وَٱلطَّائِيِّ . وَقَالَ : مَا أَدْرِي أَيُّكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهٰذَا ٱلَّذِي نَجَا مِنَ ٱلسَّيْفِ فَعَادَ إِلَيْهِ أَمْ هٰذَا ٱلَّذِي ضَمِنَهُ . وَأَنَا لَا أَكُونُ أَلْأَمَ ٱلثَّلَاثَةِ . قَالَ ٱلْمَيْدَانِيُّ : وَتَنَصَّرَ مَعَ ٱلنُّعْمَانِ أَهْلُ ٱلْحِيرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى ٱلنُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ ٱلْكَنَائِسَ ٱلْعَظِيمَةَ .وَقَتَلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ أَبْرَوِيزَ (٦٠٤ ب م) وَٱنْقَطَعَ ٱلْمُلْكُ عَنْ لَخْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ ٱلْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الاغاني)

٣ الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٣١٢ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَّالَ ٱلْقَيَاصِرَةِ عَلَى عَرَبِ ٱلشَّامِ كَمَا كَانَ

ٱلْمَنَاذِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَّالاً لِلْأَكَاسِرَةِ عَلَى عَرَبِ ٱلْعِرَاقِ. وَأَصْلُهُمْ مِنَ ٱلْيَمَنِ مِنَ ٱلْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ ٱلْأَزْدَ لَمَّا أَحَسَّتْ بِمَأْرِبَ ٱنْتِقَاضَ ٱلْعَرِمِ وَخَشِيَتِ ٱلسَّيْلَ تَفَرَّقَتْ. فَتَشَاءَمَ قَوْمٌ فَنَزَلُوا عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانُ فَصَيَّرُوهُ شُرْبَهُمْ فَسُمُّوا غَسَّانَ. ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَمْرٍو ٱلْغَسَّانِيُّ بِبَادِيَةِ ٱلشَّامِ وَٱلْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قِبَلِ ٱلْقَيَاصِرَةِ. وَكَانُوا يَدِينُونَ بِٱلنَّصْرَانِيَّةِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ ٱلشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ مِنْ سَلِيحٍ فَضَرَبُوا عَلَى ٱلْغَسَاسِنَةِ ٱلْإِتَاوَةَ وَكَانَ ٱلَّذِي يَلِي جِبَايَتَهَا سُبَيْطًا مِنْهُمْ فَٱسْتَبْطَأَهُمْ. فَقَصَدَ سُبَيْطٌ ثَعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ: لَتُعَجِّلَنَّ لِيَ ٱلْإِتَاوَةَ أَوْ لَآخُذَنَّ أَهْلَكَ. وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عِلَّتَكَ بِٱلْإِتَاوَةِ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: عَلَيْكَ بِأَخِي جِذْعِ بْنِ عَمْرٍو. وَكَانَ جِذْعٌ فَاتِكًا. فَأَتَاهُ سُبَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ مُذَهَّبٌ وَقَالَ: فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ ٱلْإِتَاوَةَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَخُذْهُ. فَتَنَاوَلَ سُبَيْطٌ جَفْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱسْتَلَّ جِذْعٌ نَصْلَهُ وَضَرَبَهُ بِهِ. فَقِيلَ: خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ. فَذَهَبَتْ مَثَلاً. فَوَقَعَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيحٍ وَغَسَّانَ فَأَخْرَجَتْ غَسَّانُ سَلِيحًا مِنَ ٱلشَّامِ وَصَارُوا مُلُوكًا. وَٱسْتَقَرَّ مُلْكُ

ملوك كندة

(١) (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا اليها أخبار كندة) :
هم بنو زيد بن كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بغير ملكٍ يأكل القويُّ الضعيفَ حتى ملَك حجرٌ وكان تُبَّعٌ حين أقبل سائرًا الى العراق استعمله عليهم . فسدَّد أمورهم وساسهم أحسن سياسةٍ وانتزع من اللخميين أرضهم وبقي وحده في مملكته مُطاعاً لحسن سيرتهِ (٥٠٣ ب م) . ثم ملَك بعدهُ ابنهُ المقصور لانهُ اقتصر على مُلك أبيهِ . ثم استخلفهُ الحارث وعظم شأنهُ حتى ولاَّهُ قباذ ملك العجم على العراق مدة ثم طردهُ انوشروان وأرجع المنذر الثالث فهرب الحارث من وجههِ ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث أربعة بنين ولاَّهم على قبائل كندة . وكان حجر أكبرهم متولياً على بني أسد فنقضوا أمرهُ وقتلوهُ . فقام امروء القيس واستنجد ببكر وتغلب على بني أسد فأنجدوهُ وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم . ثم تخاذلت عنه بكرٌ وتغلب وتطلَّبهُ المنذر بن ماء السماء . فتفرَّقت جموع امرىءِ القيس خوفاً من المنذر وخاف امروءُ القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من أناسٍ الى أناسٍ حتى قصد السموْءَل بن عادياء اليهودي فأكرمهُ وأنزلهُ . وأقام امروءُ القيس عند السموْءَل ما شاءَ الله. ثم سار امروءُ القيس الى قيصر ملك الروم مستنجداً بهِ وأودع أدراعهُ عند السموْءَل بن عادياءَ المذكور . ومرَّ على حماة وشيزر وقال في مسيرهِ قصيدتهُ المشهورة

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ   وأُلحق إنَّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك إنَّما   نحاولُ مُلكاً أو نموتَ فنُعذَرا

فمات امروءُ القيس بعد عودهِ من عند قيصر عند جبلٍ يقال لهُ عسيبٌ . ولما علم بموتهِ هناك قال :

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٣١٣ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَنَزَلُوا ٱلْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سَدَانَةَ ٱلْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا ٱلْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ ٱلْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ هُنَالِكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ ٱلطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمُ ٱلْيَمَنَ مَعَ إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ . وَأَصَابَ ٱلْيَمَنَ قَحْطٌ فَفَرُّوا نَحْوَ تِهَامَةَ يَطْلُبُونَ ٱلْمَاءَ وَٱلْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجَرَ. فَٱحْتَلُّوا أَسْفَلَ مَكَّةَ وَٱقْتَتَلُوا مَعَ ٱلْعَمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ جُرْهُمْ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَزَوَّجَ

أجارتَنا إنَّ الخطوبَ تنوبُ . وإني مُقيمٌ ما أقامَ عسيبُ

ولما مات امروءُ القيس سار الحارث بن أبي شمّر الغسّانيُّ الى السموءَل وطالبهُ بأدرع امريءِ القيس وما لهُ عندهُ وكانت الأدراع مائةً وكان الحارث قد أسر ابن السموءَل . فلما امتنع السموءَل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إمَّا أن تُسلّم الأدراع وإمَّا قتلتُ ابنك . فقال السموءَل : لستُ أُخفرُ ذمَّتي فاصنع ما شئتَ . فذبح ابنهُ والسموءَل ينظر اليهِ وانصرف الملك على يأسٍ . فضرب العرب بهِ المثل في الوفاء . وقال السموءَل :

وفيتُ بأدرع الكنديّ إني ... إذا ما خانَ أقوامٌ وفيتُ
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماءً كلما شئتُ استقيتُ
رفيعا تزلق العقبانُ عنهُ ... إذا ما نابني ضيمٌ أبيتُ
وأوصى عاديا قِدماً بالاّ ... تُهدّم يا سموءَل ما بنيتُ

(لابي الفداء)

مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى ٱلتَّوْحِيدِ وَتُوُفِّيَ لِمَائَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْحِلُ حَتَّى وَلُوا ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ . وَكَانُوا وُلاَتَهُ وَحُجَّابَهُ وَوُلاَةَ ٱلْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا طَالَتْ وِلاَيَةُ جُرْهُمَ ٱسْتَحَلُّوا مِنَ ٱلْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَٱسْتَخَفُّوا بِحُرْمَةِ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ فَقَطَعَ ٱللّٰهُ دَابِرَهُمْ . لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَأْرِبٍ سَارَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لاَ يَطَأُونَ بَلَدًا إِلاَّ غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَٱسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا : مَا نُحِبُّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتُضَيِّقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَٱرْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ أَحْبَبْتُمْ فَلاَ حَاجَةَ لَنَا بِجِوَارِكُمْ . فَٱقْتَتَلُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَٱنْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلاَّ ٱلشَّرِيدُ فَهُدِرَ دَمُهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ ٱلْيَمَنِ وَٱنْخَزَعَتْ خُزَاعَةُ بِمَكَّةَ فَوَلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ ٱلْكَعْبَةِ وَسَأَلَ بَنُو إِسْمَاعِيلَ ٱلسُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحَيٌّ وَهُوَ رَبِيعَةُ ٱبْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بِمَكَّةَ مِنَ ٱلشَّرَفِ مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ ٱسْمُهُ فِي ٱلْعَرَبِ كُلَّ مَذْهَبٍ وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ ٱلْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ ٱلْإِبِلِ وَلُحْمَانَهَا عَلَى ٱلثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ

جَمِيعَ حَاجِّ ٱلْعَرَبِ بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ ٱلْيَمَنِ وَهُوَ ٱلَّذِي بَحَرَ ٱلْبَحِيرَةَ . وَوَصَلَ ٱلْوَصِيلَةَ . وَحَمَى ٱلْحُسَامَ . وَسَيَّبَ ٱلسَّائِبَةَ . وَنَصَبَ ٱلْأَصْنَامَ حَوْلَ ٱلْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ قُرَيْشٌ وَٱلْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ ٱلْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرٰهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُزَاعَةَ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ ٱلْبَيْتِ حَتَّى قَامَ قُصَيٌّ ٱلْقُرَشِيُّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرَفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وِلَايَةُ ٱلْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ ٱلْخُزَاعِيِّ فَبَاعَهَا مِنْ قُصَيٍّ بِزِقِّ خَمْرٍ فَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ . ثُمَّ دَعَا قُصَيٌّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشَ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُزَاعَةَ فَتَنَاجَزُوا وَكَثُرَ ٱلْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحَكِّمُوهُ ٱلْكَعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَارَ لِقُصَيٍّ لِوَاءُ ٱلْحَرْبِ وَحِجَابَةُ ٱلْبَيْتِ وَتَيَمَّنَتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا مَشْوَرَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلِ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَٱتَّخَذُوا دَارَ ٱلنَّدْوَةِ إِزَاءَ ٱلْكَعْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعَ ٱلْمَلَإِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ . ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ ٱلْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشَ خَرَاجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ هَلَكَ قُصَيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى جَاءَ ٱلْإِسْلَامُ

(ملخَّصٌ من كتاب أخبار مكة للأزرقي)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ً أديان العرب

٣١٤ كانت العرب في أوّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدِم عمرو ابن لُحيّ بصنم يقال له هُبَل. وكان من أعظم أصنام قُرَيش عندها فكان الرجل اذا قدِم من سفر بدأ بهِ على أهلهِ بعد طوافهِ بالبيت وحلق رأسهُ عندهُ . وكان هُبَل من خرَزَ العقيق على صورة انسان وكانت يدهُ اليمنى مكسورة فأدركتهُ قريش فجعلت له يداً من ذهب . وكانت له خزانة للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مسَّتهم الحاجة ويقولون :

إنَّا اختلفنا فهب السَراحا ان لم تقلهُ فمُر القِداحا

وكان بالكعبة على يمينها حجر أسود . وما زال هذا الحجر معظَّماً في الجاهلية والاسلام . تتبرَّك الناس بهِ وتمرُّ دونهُ وتقبّلهُ . وكان بأسفل مكة قد نُصِب صنم يُعرَف بالخَلَصة فكانوا يُلبسونها القلائد ويُهدون اليها الشعير والحنطة . ويصبّون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلّقون عليها بيض النَّعام . وكان لهم أصنام نصبوها على اسم السيَّارات من الكواكب . وهي المشتري وقيل ان أصل اسمهِ ذو شراءٍ أي ساطع النور . والزُهَرة وزُحَل والمَريخ وغيرها من الثوابت . ومن معبوداتهم أيضاً المَناة واللات وعُزَّى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قُدَيد . وكانت صخرةً تُراق عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الجَدب . وكانت اللات أيضاً صخرةً صنماً للشمس اذا مرّ عليها الحاج يلتّونها بالسَويق . وقيل أصلها من لاَه أي علا وعظُم ومنهُ اسم الجلالة . وأما العزَّى فكانت شجرة يعظمها قريش وبنو كِنانة . ويطوفون بها بعد طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يوماً . قال الكلبيُّ : وكانت اللات والعُزَّى ومَناة في كل واحدة منهنَّ شيطان يكلمهم . وتراءَى للسدَنَة وهم الحجَبَة وذلك من صنيع

إبليس وأمره . وكان بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا إلهاً عبدوهُ دهراً طويلاً ثم أصابهم مجاعةٌ فأكلوهُ . فقيل في ذلك :

أكلت حنيفةُ ربَّها زمن التقحّم والمجاعه
لم يحذروا من ربهم سوء العقوبة والتّباعه

ومن أديانهم المجوسيَّة أو الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئيَّة أصنام الذهب للشمس وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا ان قُوَى الكوكب تفيض على تلك الأصنام . فتتكلم تلك الأصنام وتفهم وتوحي للناس أعني الأصنام . وتعلم الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . اذا أُفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغُرست لهُ وفُعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث بن كعب وكندة . وأما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزابادي : ان قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد . وان كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصروا . وأما ملوك غسَّان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقُضاعة وبهر وتنوخ وتغلب وبعض طيّ . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة تمثال مريم مزوَّقاً وابنها عيسى في حجرها قاعداً مزوَّقاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تُطمَس صورتهما بل بقيتا الى عهد ابن زُبير فهلكتا في الحريق (للنويري والأزرقي)

٢ً علوم العرب وآدابهم

٣١٥ . فاما علم العرب الذي كانوا يتفاخرون بهِ فعلم لسانهم وأحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مَطالع النجوم ومغاربها وعلمٌ بانواء الكواكب وأمطارها . على حسب ما أدركوهُ بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك فى أسباب المعيشة لا على طريق

تعلّم الحقائق. وأمّا علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منهُ ولا هيَّأ طباعهم للعناية بهِ . وكان الشعر ديوان خاصَّة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها والمقيّد لأيامها والشاهد على أحكامها . بهِ يأخذون واليهِ يصيرون . وكانوا لا يُهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تُنتَج. قال الصفديُّ : بل ما كان للعرب ما تفتخر بهِ الا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عُكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون ويتهاكظون . ولقد بلغ من كلَف العرب بالشعر وتفضيلها لهُ أن عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطيّ المُدرجة . فقيل لها مذهَّبات وقد يقال لها معلَّقاتٌ لانها علّقت في أستار الكعبة . أما الكتابة فحكوا أنَّ ثلاثة نفر من طيّءٍ كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربيَّة على هجاء السريانيَّة . فتعلمهُ قومٌ من الأنبار وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقلة القراطيس عندهم عمدوا الى كتِف الحيوان فكتبوا عليها. وكان الناس فرقتَين أهل الكتاب والاميّون . والاميُّ مَن كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميّون بمكة (لابي الفرج والجوهري)

الباب الثامن

في الشعر

﴿ زهد وتديّن ﴾

٣١٦ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ ٱلْأُقْلِيشِيّ مُسْتَعْطِفًا :

أَسِيرُ ٱلْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ لَهُ عَنْ طَرِيقِ ٱلْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ

قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلاً وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ ٱللهِ خَائِفُ
تَزِيدُ سِنُوهُ وَهْوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ ٱلضَّلَالَةِ عَاكِفُ
تَطَلَّعَ صُبْحُ ٱلشَّيْبِ وَٱلْقَلْبُ مُظْلِمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى ٱلْحَقِّ طَائِفُ
ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
وَجَاءَ ٱلْمَشِيبُ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْمَرْءَ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ ٱلشَّبِيبَةُ تَالِفُ
فَيَا أَحْمَدُ ٱلْخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ ٱلصِّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ ٱلْكُهُولَةِ هَاتِفُ
فَهَلْ أَرَّقَ ٱلطَّرْفَ ٱلزَّمَانُ ٱلَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
فَجُدْ بِٱلدُّمُوعِ ٱلْحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

٣١٧ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ :

أَمَا وَٱللهِ إِنَّ ٱلظُّلْمَ شُومٌ وَلَا زَالَ ٱلْمُسِيءُ هُوَ ٱلظَّلُومُ
إِلَى ٱلدَّيَّانِ يَوْمَ ٱلدِّينِ نَمْضِي وَعِنْدَ ٱللهِ تَجْتَمِعُ ٱلْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي ٱلْحِسَابِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا غَدًا عِنْدَ ٱلْمَلِيكِ مَنِ ٱلظَّلُومُ
سَتَنْقَطِعُ ٱللَّذَاذَةُ عَنْ أُنَاسٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ ٱلْهُمُومُ
لِأَمْرٍ مَا تَصَرَّفَتِ ٱللَّيَالِي لِأَمْرٍ مَا تَحَرَّكَتِ ٱلنُّجُومُ
سَلِ ٱلْأَيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ سَتُخْبِرُكَ ٱلْمَعَالِمُ وَٱلرُّسُومُ
تَرُومُ ٱلْخُلْدَ فِي دَارِ ٱلْمَنَايَا فَكَمْ قَدْ رَامَ مِثْلُكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ ٱلْمَنَايَا تَنَبَّهْ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَؤُومُ
لَهَوْتَ عَنِ ٱلْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَدُومُ

٣١٨ إِسْتَنْشَدَ ٱلْمُتَوَكِّلُ أَبَا ٱلْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : إِنِّي

لَقَلِيلُ ٱلرِّوَايَةِ فِي ٱلشِّعْرِ . فَقَالَ : لاَ بُدَّ . فَأَنْشَدَهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ ٱلْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ ... غُلْبُ ٱلرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ ٱلْقُلَلُ

وَٱسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ ... وَأُودِعُوا حُفَرًا يَا بِئْسَ مَا نَزَلُوا

نَادَاهُمُ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا ... أَيْنَ ٱلْأَسِرَّةُ وَٱلتِّيجَانُ وَٱلْحُلَلُ

أَيْنَ ٱلْوُجُوهُ ٱلَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ ٱلْأَسْتَارُ وَٱلْكِلَلُ

فَأَفْصَحَ ٱلْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ ... تِلْكَ ٱلْوُجُوهُ عَلَيْهَا ٱلدُّودُ يَقْتَتِلُ

قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ ٱلْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا

وَطَالَمَا كَثَّرُوا ٱلْأَمْوَالَ وَٱدَّخَرُوا ... فَخَلَّفُوهَا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ وَٱرْتَحَلُوا

وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ ... فَفَارَقُوا ٱلدُّورَ وَٱلْأَهْلِينَ وَٱنْتَقَلُوا

أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحْشًا مُعَطَّلَةً ... وَسَاكِنُوهَا إِلَى ٱلْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا

سَلِ ٱلْخَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ ... أَيْنَ ٱلْجُنُودُ وَأَيْنَ ٱلْخَيْلُ وَٱلْخَوَلُ

أَيْنَ ٱلْكُنُوزُ ٱلَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا ... تَنُوءُ بِٱلْعُصْبَةِ ٱلْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا

أَيْنَ ٱلْعَبِيدُ ٱلْأُلَى أَرْصَدْتَهُمْ عُدَدًا ... أَيْنَ ٱلْحَدِيدُ وَأَيْنَ ٱلْبِيضُ وَٱلْأَسَلُ

أَيْنَ ٱلْفَوَارِسُ وَٱلْغِلْمَانُ مَا صَنَعُوا ... أَيْنَ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْخَطِّيَّةُ ٱلذُّبُلُ

أَيْنَ ٱلْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ ... لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيعًا وَهْوَ يَبْتَهِلُ

أَيْنَ ٱلْكُمَاةُ أَمَا حَامَوْا أَمَا غَضِبُوا ... أَيْنَ ٱلْحُمَاةُ ٱلَّتِي تُحْمَى بِهَا ٱلدُّوَلُ

أَيْنَ ٱلرُّمَاةُ أَلَمْ تَمْنَعْ بِأَسْهُمِهِمْ ... لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ ٱلْمَوْتِ تَنْتَضِلُ

هَيْهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا ... عَنْكَ ٱلْمَنِيَّةَ إِذْ وَافَى بِهَا ٱلْأَجَلُ

وَلَا ٱلرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحِ لَوْ بَذَلُوا ... وَلَا ٱلرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا ٱلْحِيَلُ

ما ساعَدُوكَ وَلاَ وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بِئْسَ مَا فَعَلُوا
ما بَالُ قَبْرِكَ لاَ يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ ولا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلُ
ما بَالُ قَصْرِكَ وَحْشًا لاَ أَنِيسَ بِهِ يَغْشَاكَ مِنْ كَنَفَيْهِ ٱلرَّوْعُ وَٱلْوَهَلُ
ما بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطَّرَحًا وَكُلُّهُمْ بِٱقْتِسَامِ ٱلْمَالِ قَدْ شُغِلُوا
لا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ ولا أَنَاخَ عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ وَٱلْوَجَلُ
وكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ ٱلْعَيْشِ مُتَّصِلاً ورُوحُهُ بِحِبَالِ ٱلْمَوْتِ مُتَّصِلُ
وجِسْمُهُ لِلُبَانَاتِ ٱلرَّدَى غَرَضٌ ومُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ

(وتُروى هذه القصيدة في ديوان عليّ بن أبي طالب)

٣١٩ قصيدة للبرعي في الحق سبحانهُ

أَغيبُ وَذُو ٱللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ وأَرْجُوهُ رجَاءً لَا يَخِيبُ
وأَسْأَلُهُ ٱلسَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ بُلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
وأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ ٱلْقُلُوبُ
ولاَ أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي زَمَانُ ٱلْجَوْرِ وَٱلْجَارُ ٱلْمُرِيبُ
فَكَمْ لِلّٰهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرٍ طَوَتْهُ عَنِ ٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلْغُيُوبُ
وكَمْ فِي ٱلْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عُسْرٍ ومِنْ تَفْرِيجِ نَائِبَةٍ تَنُوبُ
ومِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ ومِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ ٱلْكُرُوبُ
ومَا لِي غَيْرَ بَابِ ٱللّٰهِ بَابٌ ولا مَوْلَى سِوَاهُ ولا حَبِيبُ
كَرِيمٌ مُنْعِمٌ بَرٌّ لَطِيفٌ جَمِيلُ ٱلسِّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
حَلِيمٌ لا يُعَاجِلُ بِٱلْخَطَايَا رَحِيمٌ غَيْثُ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ

فيَا مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَـارِي   فَإِنِّي عَنْكَ أَنْأَتْنِي ٱلذنُوبُ
وأَمْرَضَنِي ٱلْهَوَى لِهَوَانِ حَظِّي   وَلَـكِنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَبِيبُ
وعَانَدَنِي ٱلزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي   وَضَاقَ بِعَبْدِكَ ٱلْبَلَدُ ٱلرَّحِيبُ
وعَدِّ ٱلنَّائِبَـاتِ إِلَى عَدُوِّي   فَإِنَّ ٱلنَّائِبَـاتِ لَهَا نُيُوبُ
وآنِسْــنِي بِأَوْلاَدِي وَأَهْلِي   فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ ٱلرَّجُلُ ٱلْغَرِيبُ
ولَـكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي   لِمَنْ تَدْبِيرُهُ فِيـهِ عَجِيبُ
هُوَ ٱلرَّحْمَانُ حَوْلِي وَٱعْتِصَامِي   بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهِـلاً أُنِيبُ
إِلٰهِي أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي   فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وكَمْ مُتَمَلِّقٍ يَخْفِي عِنَـادًا   وَأَنْتَ عَلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيبُ
وحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَـا   وَسَهْمُ ٱلْبَغْيِ يَدْرِي مَنْ يُصِيبُ
ومُتَنِـعِ ٱلْقُوَى مُسْتَضْعِفٍ بِي   قَصَمْتَ قُوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
وذِي عَصَبِيَّةٍ بِٱلْمَكْرِ يَسْعَى   إِلَى سَعْيٍ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
فيَا دَيَّانَ يَوْمَ ٱلدِّينِ فَرِّجْ   هُمُوماً فِي ٱلْفُؤَادِ لَهَـا دَبِيبُ
وصِلْ وَصْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَٱنْظُرْ   إِلَيَّ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ

٣٢٠ وله في الزهد :

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي   وَنَغَّصَتْ عَيْشِيَ ٱلْهُمُومُ
وفَرَّقَ ٱلْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي   فَلاَ صَدِيقٌ وَلاَ حَمِيمُ
وأَخْلَفَ ٱلدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ   كَأَنَّنِي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ
وٱلْآنَ حَانَ ٱلرَّحِيلُ مِنِّي   وَهَذِهِ ٱلدَّارُ لاَ تَدُومُ

وما تَزَوَّدتُّ غيرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمُ
يُصَرِّحُ ٱلْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمُ
أُبَارِزُ ٱللهَ بِٱلْخَطَايَا وَٱللهُ سُبْحَانَهُ حَلِيمُ
فَكَمْ خَلَعْتُ ٱلْعِذَارَ جَهْلاً وَلُمْتُ فِي ٱلْغَيِّ مَنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رَشَادِي وَمَنْهَجُ ٱلْحَقِّ مُسْتَقِيمُ
لا أَنْتَهِي عَنْ قَبِيحِ فِعْلِي وَلاَ أُصَلِّي وَلا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلاً وَصِرْتُ أَعْصَى وَٱلشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يَحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمْلُ ذَنْبٍ وَٱلذَّنْبُ بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ شُوم
يا جَامِعَ ٱلْمَالِ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْتَضِي مَالَكَ ٱلْغَرِيمُ
وَتَقْتَضِي وِزْرَهُ وَتُلْقَى فِي ٱلنَّارِ يَغْلِي بِهَا ٱلْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِيكَ صَفْوُ عَيْشٍ خِتَامُهُ عَلْقَمٌ عَقِيمُ
يَاوَاسِعَ ٱللُّطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا ٱلْمُشْفِقُ ٱلرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَا مِنْ خُصُومِ سُوءٍ فَحُلَّ مَا تَعْقِدُ ٱلْخُصُومُ
وَسَامِحِ ٱلْكُلَّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

٣٢١ قصيدة لاسماعيل المقري في التوبة

إِلَى كَمْ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هٰكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةِ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرٌ سَاعَةٌ مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلْءِ ٱلسَّمَا وَٱلْأَرْضِ أَيَّةَ ضَيْعَةِ
أَتَرْضَى مِنَ ٱلْعَيْشِ ٱلرَّغِيدِ وَعِيشَةٍ مَعَ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى بِعَيْشِ ٱلْبَهِيمَةِ

فَيَادُرَّةً بَيْنَ ٱلْمَزَابِلِ أُلْقِيَتْ   وَجَوْهَرَةً بِيعَتْ بِأَبْخَسِ قِيمَةِ

أَفَانٍ بِبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً   وَسُخْطاً بِرِضْوَانٍ وَنَاراً بِجَنَّةِ

أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ   فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةِ

وَلَوْ فَعَلَ ٱلْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا   فَعَلْتَ لَمَسَّتْهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةِ

لَقَدْ بِعْتَهَا هُوناً عَلَيْكَ رَخِيصَةً   وَكَانَتْ بِهٰذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةِ

كَلِفْتَ بِهَا دُنْيَا كَثِيرٌ غُرُورُهَا   تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِٱلْخَدِيعَةِ

عَلَيْكَ بِمَا يُجْدِي عَلَيْكَ مِنَ ٱلتُّقَى   فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةِ

تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا   يَصِيرُ ٱلْفَتَى مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوبَةِ

تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً   عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةِ

وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَهُ   تَمَيَّزْتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةِ

فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضاً   وَبَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتِ

تَقُولُ مَعَ ٱلْعِصْيَانِ رَبِّيَ غَافِرٌ   صَدَقْتَ وَلٰكِنْ غَافِرٌ بِٱلْمَشِيئَةِ

وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ   فَلِمْ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ

فَكَيْفَ تُرَجِّي ٱلْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ   وَلَسْتَ تُرَجِّي ٱلرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةِ

وَهَا هُوَ بِٱلْأَرْزَاقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ   وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةِ

وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي ٱلَّذِي قَدْ كُفِيتَهُ   وَتُهْمِلُ مَا كُلِّفْتَهُ مِنْ وَظِيفَةِ

تُسِيءُ بِهِ ظَنّاً وَتُحْسِنُ تَارَةً   عَلَى حَسَبِ مَا يَقْضِي ٱلْهَوَى بِٱلْقَضِيَّةِ

﴿ رثاء ﴾

٣٢٢ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدَهُ :

وَاكَبِدَا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي ... قَدْ حَرَّقَتْهَا لَوَاعِجُ ٱلْكَمَدِ

مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسَفًا ... أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ

يَا رَحْمَةَ ٱللهِ جَاوِرِي جَدَثًا ... دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي

وَنَوِّرِي ظُلْمَةَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ... مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدِ

مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ ... وَطَيِّبَ ٱلرُّوحِ طَاهِرَ ٱلْجَسَدِ

يَا مَوْتَ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ ... لَيْسَ بِزُمَّيْلَةٍ وَلَا نَكِدِ

يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلْتَ عَثْرَتَهُ ... يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لِغَدِ

يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ ... لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةَ ٱلْبَلَدِ

أَوْ كُنْتَ رَاخَيْتَ فِي ٱلْعِنَانِ لَهُ ... حَازَ ٱلْعُلَا وَٱحْتَوَى عَلَى ٱلْأَمَدِ

أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ ... وَأَيَّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِنْ جَسَدِ

وَأَيَّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ ... وَأَيَّ كَفٍّ أَزَلْتَ مِنْ عَضُدِ

يَا قَمَرًا أَجْحَفَ ٱلْخُسُوفُ بِهِ ... قَبْلَ بُلُوغِ ٱلسَّوَاءِ فِي ٱلْعَدَدِ

أَيُّ حَشًا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسَفًا ... وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجُدِ

لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدٌ ... فُجِعْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَٱلْجَلَدِ

لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا ... لَحُقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي

يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَاعِجُهَا ... يَقْدَحُ نَارَ ٱلْأَسَى عَلَى كَبِدِي

٣٢٣ قَالَ ٱلشَّمَرْدَلُ يَرْثِي أَخَاهُ حَكَماً :

يَقُولُونَ ٱحْتَسِبْ حَكَماً وَرَاحُوا بِأَبْيَضَ لَا يَرَاهُ وَلَا يَرَانِي
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَيْقَنْتُ أَنِّي وَكُلُّ بَنِي أَبٍ مُتَفَارِقَانِ
أَخٌ لِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي وَكُنْتُ مُجِيبَهُ أَنَّى دَعَانِي
فَقَدْ أَفْنَى ٱلْبُكَاءُ عَلَيْهِ دَمْعِي وَلَوْ أَنِّي ٱلْفَقِيدُ إِذًا بَكَانِي
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يُعْطَ ضَيْماً وَلَمْ تَرْهَبْ غَوَائِلَهُ ٱلْأَدَانِي
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا نَصُولُ بِهِ لَدَى ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ
قَتِيلاً لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا بَدَا ٱلْخَفِرَاتُ مُذْهُولَ ٱلْجَنَانِ
وَكُنْتَ سِنَانَ رُمْحِي مِنْ قَنَاتِي وَلَيْسَ ٱلرُّمْحُ إِلَّا بِٱلسِّنَانِ
وَكُنْتَ بَنَانَ كَفِّي مِنْ يَمِينِي وَكَيْفَ صَلَاحُهَا بَعْدَ ٱلْبَنَانِ
وَكَانَ يَهَابُكَ ٱلْأَعْدَاءُ فِينَا وَلَا أَخْشَى وَرَاءَكَ مَنْ رَمَانِي
فَقَدْ أَبْدَوْا ضَغَائِنَهُمْ وَشَدُّوا إِلَيَّ ٱلطَّرْفَ وَٱغْتَمَزُوا لِيَانِي
فَذَلِكَ أَخٌ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ وَمَوْلًى لَا تَصُولُ لَهُ يَدَانِ

٣٢٤ وَمِنْ رَقِيقِ مَرَاثِي لَبِيدٍ :

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى ٱلنُّجُومُ ٱلطَّوَالِعُ وَتَبْقَى ٱلْجِبَالُ بَعْدَنَا وَٱلْمَصَانِعُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دَارِ مَضَنَّةٍ فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدَ نَافِعُ
فَلَا جَزِعٌ إِنْ فَرَّقَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْماً لَهُ ٱلدَّهْرُ فَاجِعُ
وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وَتَغْدُو بَلَاقِعُ
وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً وَنَخْلُفُ بَعْدَهُمْ كَمَا ضَمَّ أُخْرَى ٱلتَّالِيَاتِ ٱلْمُشَايِعُ

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه … يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
وما البر إلا مضمرات من التقى … وما المال إلا عاريات ودائع
أليس ورائي إن تراخت منيتي … لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت … أدب كأني كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه … تقادم عهد القين والنصل قاطع
فلا تبعدن إن المنية موعد … علينا فدان للطلوع وطالع
أعاذل ما يدريك إلا تظنيا … إذا رحل الفتيان من هو راجع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى … وأي كريم لم تصبه القوارع
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى … ولا زاجرات الطير ما الله صانع

٣٢٥ قال أبو فراس الحمداني يرثي جابر بن ناصر الدين :

الفكر فيك مقصر الآمال … والحرص بعدك غاية الجهال
لو كان يخلد بالفضائل فاضل … وصلت لك الآجال بالآجال
لو كنت تفدى لافتدتك سراتنا … بنفائس الأرواح والأموال
أو كان يدفع عنك بأس أقبلت … صرعا تكدس بالقنا العسال
أعزز على سادات قومك أن ترى … فوق الفراش مقلب الأوصال
والسمر عندك لم ترق صدورها … والخيل واقفة على الأطلال
والسابغات مصونة لم تبتذل … والبيض سالمة مع الأبطال
وإذا المنية أقبلت لم يثنها … حرص الحريص وحيلة المحتال
ما للخطوب وما لأحداث النوى … أعجلن جابر غاية الإعجال

لَمَّا تَسَرْبَلَ بِالْفَضائِلِ وَارْتَدَى ... بُرْدَ الْعُلَى وَاعْتَمَّ بِالْإِقْبالِ
وَتَشاهَدَتْ صِيدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ ... وَأَرَى الْمَكارِمَ مِنْ مَكانٍ عالِ
أَأَبا الْمُرَجّي غَيْرُ حُزْنِي دارِسٌ ... أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سالِ
وَلَئِنْ هَلَكْتَ فَما الْوَفاءُ بِهالِكٍ ... وَلَئِنْ بَلِيتَ فَما الْوِدادُ بِبالِ
لا زِلْتَ مَغْدُوقَ الثَّرَى مَطْرُوقَهُ ... بِسَحابَةٍ مَجْرُورَةِ الْأَذْيالِ
وحُجِبْنَ عَنْكَ السَّيِّئاتُ وَلَمْ يَزَلْ ... لَكَ صاحِبٌ مِنْ صالِحِ الْأَعْمالِ

٣٢٦ وَقالَ الْأَبِيرِدُ الْيَرْبُوعِيُّ يَرْثِي أَخاهُ بُرَيْدًا :

تَطاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَنَمْهُ تَقَلُّبا ... كَأَنَّ فِراشِي حالَ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنا ... فَقَدْ بانَ مِنِّي فِي تَذَكُّرِهِ الْعُذْرُ
أَحَقًّا عِبادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ باقِيًا ... بُرَيْدًا طَوالَ الدَّهْرِ ما لَأْلَأَ الْعُفْرُ
فَتًى إِنْ هُوَ اسْتَغْنَى يُخَرِّقْ فِي الْغِنَى ... فَإِنْ قَلَّ مالًا لا يُؤَدِّبْهُ الْفَقْرُ
فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النّاسِ باقِيًا ... وَكُنْتُ أَنا الْمَيْتَ الَّذِي غَيَّبَ الْقَبْرُ
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّناءِ بِمالِهِ ... إِذا السَّنَةُ الشَّهْباءُ قَلَّ بِها الْقَطْرُ
كَأَنْ لَمْ يُصاحِبْنا بُرَيْدٌ بِغِبْطَةٍ ... وَلَمْ تَأْتِنا يَوْمًا بِأَخْبارِهِ السَّفْرُ
وَلَمّا نَعَى النّاعِي بُرَيْدًا تَغَوَّلَتْ ... بِيَ الْأَرْضُ فَرْطَ الْحُزْنِ وَانْقَطَعَ الظَّهْرُ
عَساكِرُ تَغْشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... أَخُو سَكْرَةٍ دارَتْ بِهامَتِهِ الْخَمْرُ
إِلَى اللهِ أَشْكُو فِي بُرَيْدٍ مُصِيبَتِي ... وَبَثِّي أَحْزانًا تَضَمَّنَها الصَّدْرُ

٣٢٧ قالَتِ الْخَنْساءُ تَرْثِي أَخاها صَخْرًا :

قَذًى بِعَيْنِكِ أَمْ بِالْعَيْنِ عُوّارُ ... أَمْ أَقْفَرَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِها الدّارُ

كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذا خَطَرَتْ   فَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ مِدْرارُ

تَبْكِي خُنَاسُ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا   إِذْ رَابَهَا ٱلدَّهْرُ إِنَّ ٱلدَّهْرَ ضَرَّارُ

لا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غِيَرٌ   وَٱلدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوارُ

يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٍ قَدْ تَوَارَدَهُ   أَهْلُ ٱلْمَوَارِدِ مَا فِي وِرْدِهِ عارُ

وَإِنَّ صَخْرًا لَحَامِينا وَسَيِّدُنا   وَإِنَّ صَخْرًا إِذا نَشْتُو لَنَحَّارُ

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ ٱلْهُدَاةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نارُ

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا   لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ ٱلْجَارُ

مِثْلُ ٱلرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفَدْ شَبِيبَتُهُ   كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ ٱلْبُرْدِ أُسْوارُ

طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ مُعْتَمِدٌ   ضَخْمُ ٱلدَّسِيعَةِ بِٱلْخَيْرَاتِ أَمَّارُ

وَقَالَتْ أَيْضاً :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ صَخْرًا   وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ ٱلْبَاكِينَ حَوْلِي   عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلٰكِنْ   أُعَزِّي ٱلنَّفْسَ عَنْهُ بِٱلتَّأَسِّي

٣٢٨ قَالَ ٱلْمُتَمِّمُ يَرْثِي أَخَاهُ مَالِكاً :

أَعَيْنَيَّ جُودِي بِٱلدُّمُوعِ لِمَالِكٍ   إِذَا ذَرَّتِ ٱلرِّيحُ ٱلْكَنِيفَ ٱلْمُرَبَّعَا

فَتًى كَانَ مِقْدَاماً إِلَى ٱلرَّوْعِ رَكْضُهُ   سَرِيعاً إِلَى ٱلدَّاعِي إِذَا هُوَ أُفْزِعَا

أَبَى ٱلصَّبْرَ آيَاتٌ أَرَاهَا وَإِنَّنِي   أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا

وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِٱسْمِكَ لَا تُجِبْ   وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعَا

سَقَى ٱللهُ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ   ذِهَابَ ٱلْغَوَادِي ٱلْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا

فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا
وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي ٱلْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا ... أَصَابَ ٱلْمَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا
فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ ... وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّعَا
تَقُولُ ٱبْنَةُ ٱلْعَمْرِيِّ مَالَكَ بَعْدَ مَا ... أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ ٱلْوَجْهِ أَفْرَعَا
فَقُلْتُ لَهَا طُولُ ٱلْإِسَاءَةِ سَاءَنِي ... وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ ٱلْوَجْهَ أَسْفَعَا

٣٢٩ قَالَ زُهَيْرٌ يَرْثِي مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا ... وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَا
عَهِدْتُكَ لَا تُطِيقُ ٱلصَّبْرَ عَنِّي ... وَتَعْصِي فِي وِدَادِي مَنْ نَهَاكَا
فَكَيْفَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ ٱلسَّجَايَا ... وَمَنْ هٰذَا ٱلَّذِي عَنِّي ثَنَاكَا
فَلَا وَٱللّٰهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا ... فَكُلُّ ٱلنَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلٰكِنْ ... دَهَاكَ مِنَ ٱلْمَنِيَّةِ مَا دَهَاكَا
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي ... وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي ٱنْفِكَاكَا
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضُعْفِ حَالِي ... وَكَانَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ فِدَاكَا
يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي ... أُفَتِّشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَا
خَتَمْتُ عَلَى وِدَادِكَ فِي ضَمِيرِي ... وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكَا
لَقَدْ عَجِلَتْ عَلَيْكَ يَدُ ٱلْمَنَايَا ... وَمَا ٱسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صِبَاكَا
فَوَا أَسَفِي لِجِسْمِكَ كَيْفَ يَبْلَى ... وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَا
وَمَا لِي أَدَّعِي أَنِّي وَفِيٌّ ... وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَا
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا ... وَحَقِّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَا

وَيَاخَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبٌّ وَلَمْ أَنْفَعْكَ فِي خَطْبٍ أَتَاكَا
أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِي كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مَنْ قَدْ تَبَاكَى
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ نَوَاكَا
جَزَاكَ اللهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَا
فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنَيَّ ثَرَاكَا
سَقَاكَ الْغَيْثُ هَتَّانًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَا
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزَفُّ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَا

﴿ حِكَمٌ ﴾

٣٣٠ مَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ إِذْ قَالَ :

أَلْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَالْخُطُوبُ تُمَزِّقُ
وَلَأَنْ يُعَادِيَ عَاقِلٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمَنْطِقُ
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرِقُ
حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
لَا أُلْفِيَنَّكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُرْزَقُ
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عُقُولِهِمْ أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ

لٰكِنَّهُ فَضْلُ ٱلْمَلِيكِ عَلَيْهِمِ ... هٰذَا عَلَيْهِ مُوَسَّعٌ وَمُضَيَّقُ
وَإِذَا ٱلْجِنَازَةُ وَٱلْعَرُوسُ تَلَاقَيَا ... وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَائِحٍ يَتَرَقْرَقُ
سَكَتَ ٱلَّذِي تَبِعَ ٱلْعَرُوسَ مُبَهَّتًا ... وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ ٱلْجِنَازَةَ يَنْطِقُ
وَإِذَا ٱمْرُؤٌ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً ... تَرَكَتْهُ حِينَ يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
بَقِيَ ٱلَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا ... وَمَضَى ٱلَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

٣٣١ أَشْعَارٌ جَارِيَةٌ مَجْرَى ٱلْمَثَلِ وَهِيَ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ ... كَسَاعٍ إِلَى ٱلْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ
إِذَا كَانَ غَيْرُ ٱللّٰهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً ... أَتَتْهُ ٱلرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ ٱلْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ ٱلْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ... ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقْصِدْ إِلَى ٱلْبَابِ تَهْتَدِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي ... وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ طَبِيبَكَ كُلَّمَا ... يَسُوءُكَ أَبْعَدْتَ ٱلدَّوَاءَ عَنِ ٱلسُّقْمِ
إِنِ ٱخْتَفَى مَا فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْآتِي ... فَقِسْ عَلَى ٱلْمَاضِي مِنَ ٱلْأَوْقَاتِ
إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ ٱلنَّصِيحِ قَبُولُ ... فَإِنَّ مَعَارِيضَ ٱلْكَلَامِ فُضُولُ
أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ ... وَلٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلْوُرُودِ
إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا ... فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ ٱلْوُدَّ أَغْضِبْهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلسَّيْفَ يُزْرِي بِقَدْرِهِ ... إِذَا قِيلَ هٰذَا ٱلسَّيْفُ أَمْضَى مِنَ ٱلْعَصَا
إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا ... فَعَلَامَةُ ٱلْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
إِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ ٱلْخَلَلَا ... جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا   يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبُعَا

تَرَقَّبْ جَزَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا   وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا كُنْتَ لَا تُسِي

أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا   وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرَ

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ   مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحٍ   وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدْحِ

الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضٍ   يَطْرَا عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّذْكِيرُ

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا   فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

عَفَافُكَ غَيٌّ إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى   إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَّاتِهِ وَهْوَ قَادِرُ

غُلَامٌ أَتَاهُ اللُّؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ   وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمٍّ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رِجْلِي لَا تُطَاوِعُنِي   فَقَالَ خُذْ قُلْتُ كَفِّي لَا تُؤَاتِينِي

فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى   فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي

فَالدُّرُّ وَهْوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى   مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ الْغَائِصِ

قَدْ قِيلَ ذٰلِكَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا   فَمَا احْتِيَالُكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا

لَا يُعْجِبَنَّ مُضِيمًا حُسْنُ بِزَّتِهِ   وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكَفَنِ

لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ   فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَثِّ

لَا تَغُرَّنْكَ هٰذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُّ م   فَيَا رُبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ رُطَبًا أَنْتَ آكِلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى   حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

لَا تَحْقِرَنْ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدَهُ   وَلَرُبَّمَا صَرَعَ الْأُسُودَ الثَّعْلَبُ

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... وَرُبَّمَا صَحَّتِ ٱلْأَجْسَادُ بِٱلْعِلَلِ

ما ذا لَقِيتَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا ... أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

مَا لِقَوِيٍّ عَنْ ضَعِيفٍ غِنًى ... لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ ٱلرِّيشِ

مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أُسُودَ ٱلْغَابِ إِنْ زَأَرَتْ ... فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ ٱلْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ

لَا يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ ٱلرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ ٱلْغَضَبُ

أَلْمَرْءُ يَحْيَا بِلَا سَاقٍ وَلَا عَضُدٍ ... وَلَا يَعِيشُ بِلَا قَلْبٍ وَلَا أَدَبِ

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا

وَقَدْ يَكْسِفُ ٱلْمَرْءَ مَنْ دُونَهُ ... كَمَا يَكْسِفُ ٱلشَّمْسَ جِرْمُ ٱلْقَمَرْ

وَلَا تَقْرَبِ ٱلْأَمْرَ ٱلْحَرَامَ فَإِنَّهُ ... حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا

وَلَوْ لَبِسَ ٱلْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ ... لَقَالَ ٱلنَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارِ

وَإِذَا ٱفْتَقَرْتَ إِلَى ٱلذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ

وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ ٱلْجِذْعَ مُعْرِضًا ... وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِيَ ٱلْقَذَى

وَمَا أَقْبَحَ ٱلتَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا ... فَكَيْفَ بِهِ وَٱلشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلُ

وَتَشَتُّتُ ٱلْأَعْدَاءِ فِي آرَائِهِمْ ... سَبَبٌ لِجَمْعِ خَوَاطِرِ ٱلْأَحْبَابِ

وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يَؤُولُ إِلَى بِلًى ... وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا

وَإِذَا كَانَتِ ٱلنُّفُوسُ كِبَارًا ... تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا ٱلْأَجْسَامُ

وَمَاذَا أُرَجِّي مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ ... وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمِ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلشُّكْرِ جُنَّةَ غَارِسٍ ... وَلَا مِثْلَ حُسْنِ ٱلصَّبْرِ جُبَّةَ لَابِسٍ

وَفِي ٱلسَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ ... وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

ونار إن نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد
وإني رأيت الحزن للحزن ماحيا كما خط في القرطاس سطر على سطر
ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه ولكنه يبقى به عقدة الربط
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا
وإذا كان منتهى العمر موتا فسواء طويله والقصير
وإذا أراد الله نصرة عبده كانت له أعداؤه أنصارا
ومن يتشبث في العداوة كفه بأكبر منه فهو لا شك هالك
يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان
يقولون لي أهلا وسهلا ومرحبا ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

٣٣٢ القصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعلي بن أبي طالب

صرمت حبالك بعد وصلك زينب(١) والدهر فيه تصرم وتقلب
وكذاك وصل الغانيات فإنه آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه وازهد فعمرك مر منه الأطيب
ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واخش مناقشة الحساب فإنه لا بد يحصى ما جنيت ويكتب
والليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا بهما تعد وتحسب
لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاه تلعب

---

(١) انما أراد الشاعر بزينب هنا الدنيا وبالغانيات في البيت بعده ملذاتها

وَٱلرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَـةٌ أُودِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِٱلرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَاكَ ٱلَّتِي تَسْعَى لَهَـا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
وَجَمِيـعُ مَا حَصَّلْتَهُ وَجَمَعْتَـهُ ... وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيـلٍ يَخْرَبُ
فَٱسْمَعْ هُدِيتَ نَصَائِحًا أَوْلَاكَهَا ... بَرٌّ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ مُجَرِّبُ
أَهْدَى ٱلنَّصِيحَةَ فَٱتَّعِظْ بِمَقَالِهِ ... فَهُوَ ٱلتَّقِيُّ ٱللَّوْذَعِيُّ ٱلْأَدْرَبُ
لَا تَأْمَنِ ٱلدَّهْرَ ٱلْخَؤُونَ لِأَنَّهُ ... مَا زَالَ قِدْمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ
وَعَوَاقِبُ ٱلْأَيَّامِ فِي غُصَّـاتِهَا ... مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ ٱلْأَعَزُّ ٱلْأَنْجَبُ
وَيَفُوزُ بِٱلْمَالِ ٱلْحَقِيرُ مَكَانَةً ... فَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُبَشُّ بِٱلتَّرْحِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ ... وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
فَٱقْنَعْ فَفِي بَعْضِ ٱلْقَنَاعَةِ رَاحَةٌ ... وَلَقَدْ كُسِي ثَوْبَ ٱلْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
لَا تَحْرِصَنْ فَٱلْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ ... فِي ٱلرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي ٱلْحَرِيصَ وَيُتْعِبُ
كَمْ عَاجِزٍ فِي ٱلنَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ ... رَغْدًا وَيُحْرَمُ كَـيِّسٌ وَيُخَيَّبُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى ٱللهِ فَٱلْزَمْهَا تَفُزْ ... إِنَّ ٱلتَّقِيَّ هُوَ ٱلْبَهِيُّ ٱلْأَهْيَبُ
وَٱعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنَلْ مِنْهُ ٱلرِّضَا ... إِنَّ ٱلْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لَمُقَرَّبُ
وَٱرْعَ ٱلْأَمَانَةَ وَٱلْخِيَانَةَ فَٱجْتَنِبْ ... وَٱعْدِلْ وَلَا تَظْلِمْ يَطِبْ لَكَ مَكْسَبُ
وَٱحْذَرْ مِنَ ٱلْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُحْجَبُ
وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ ... بِتَذَلُّلٍ وَٱسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
وَإِذَا بُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَٱصْبِرْ لَهَا ... مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَلَّمًا لَا يُنْكَبُ
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ ... أَوْ نَالَكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْكَرِيهُ ٱلْأَصْعَبُ

فَٱدْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْنَى لِمَنْ يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
وَٱحْذَرْ مُؤَاخَاةَ ٱلدَّنِيِّ لِأَنَّهُ يُعْدِي كَمَا يُعْدِي ٱلصَّحِيحَ ٱلْأَجْرَبُ
وَٱخْتَرْ صَدِيقَكَ وَٱصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا إِنَّ ٱلْقَرِينَ إِلَى ٱلْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
وَدَعِ ٱلْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا إِنَّ ٱلْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
وَذَرِ ٱلْحَقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً وَٱبْعِدْهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجْلَبُ
إِنَّ ٱلْحَقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَٱلْحِقْدُ بَاقٍ فِي ٱلصُّدُورِ مُغَيَّبُ
وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ فَٱلْمَرْءُ يَسْلَمُ بِٱللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
وَزِنِ ٱلْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
وَٱلسِّرَّ فَٱكْتُمْهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ فَهُوَ ٱلْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذْ لَا يَنْشَبُ
وَٱحْرِصْ عَلَى حِفْظِ ٱلْقُلُوبِ مِنَ ٱلْأَذَى فَرُجُوعُهَا بَعْدَ ٱلتَّنَافُرِ يَصْعُبُ
إِنَّ ٱلْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وِدُّهَا شِبْهُ ٱلزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ
وَٱحْذَرْ عَدُوَّكَ إِذْ تَرَاهُ بَاسِمًا فَٱللَّيْثُ يَبْدُو نَابُهُ إِذْ يَغْضَبُ
وَإِذَا ٱلصَّدِيقُ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا فَهُوَ ٱلْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ
لَا خَيْرَ فِي وِدِّ ٱمْرِئٍ مُتَمَلِّقٍ حُلْوِ ٱللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ ٱللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ ٱلثَّعْلَبُ
يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ ٱلْعَقْرَبُ
وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلرِّزْقَ عَزَّ بِبَلْدَةٍ وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ ٱلْمَكْسَبُ
فَٱرْحَلْ فَأَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةُ ٱلْفَضَا طُولًا وَعَرْضًا شَرْقُهَا وَٱلْمَغْرِبُ
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي فَٱلنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً جَاءَتْ كَنَظْمِ ٱلدُّرِّ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
حِكَمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ أَمْثَالُهَا لِذَوِي ٱلْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
فَٱصْغِ لِوَعْظِ قَصِيدَةٍ أَوْلَاكَهَا طَوْدُ ٱلْعُلُومِ ٱلشَّامِخَاتِ ٱلْأَهْيَبُ

٣٣٣ لَامِيَّة ابن الوردي

إِعْتَزِلْ ذِكْرَ ٱلْأَغَانِي وَٱلْغَزَلْ وَقُلِ ٱلْفَصْلَ وَجَانِبْ مَنْ هَزَلْ
وَدَعِ ٱلذِّكْرَى لِأَيَّامِ ٱلصِّبَا فَلِأَيَّامِ ٱلصِّبَا نَجْمٌ أَفَلْ
وَٱتْرُكِ ٱلْغَادَةَ لَا تَحْفِلْ بِهَا تُمْسِ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَتُجَلّْ
وَٱفْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ ٱلَّذِي أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدْ أَمْرًا جَلَلْ
وَٱهْجُرِ ٱلْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ
وَٱتَّقِ ٱللّٰهَ فَتَقْوَى ٱللّٰهِ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ ٱمْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقًا بَطَلًا إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي ٱللّٰهَ ٱلْبَطَلْ
كُتِبَ ٱلْمَوْتُ عَلَى ٱلْخَلْقِ فَكَمْ فَلَّ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دُوَلْ
أَيْنَ نُمْرُودٌ وَكَنْعَانٌ وَمَنْ مَلَكَ ٱلْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلْ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوْا هَلَكَ ٱلْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ ٱلْقُلَلْ
أَيْنَ أَرْبَابُ ٱلْحِجَى أَهْلُ ٱلنُّهَى أَيْنَ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْقَوْمُ ٱلْأُوَلْ
سَيُعِيدُ ٱللّٰهُ كُلًّا مِنْهُمُ وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلْ
أَيْ بُنَيَّ ٱسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ حِكَمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ ٱلْمِلَلْ
اطْلُبِ ٱلْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا أَبْعَدَ ٱلْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ ٱلْكَسَلْ
وَٱحْتَفِلْ بِٱلْفِقْهِ فِي ٱلدِّينِ وَلَا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلْ

وَٱهْجُرِ ٱلنَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ ‏ ‏ يَعْرِفِ ٱلْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ ‏ ‏ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى ٱلدَّرْبِ وَصَلْ

فِي ٱزْدِيَادِ ٱلْعِلْمِ إِرْغَامُ ٱلْعِدَى ‏ ‏ وَجَمَالُ ٱلْعِلْمِ إِصْلَاحُ ٱلْعَمَلْ

جَمِّلِ ٱلْمَنْطِقَ بِٱلنَّحْوِ فَمَنْ ‏ ‏ يُحْرَمِ ٱلْإِعْرَابَ بِٱلنُّطْقِ ٱخْتَبَلْ

إِنْظِمِ ٱلشِّعْرَ وَلَازِمْ مَذْهَبِي ‏ ‏ فِي ٱطِّرَاحِ ٱلرِّفْدِ لَا تَبْغِ ٱلنِّحَلْ

فَهْوَ عُنْوَانٌ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَمَا ‏ ‏ أَحْسَنَ ٱلشِّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلْ

مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةٌ ‏ ‏ وَعَنِ ٱلْبَحْرِ ٱجْتِزَاءٌ بِٱلْوَشَلْ

إِطْرَحِ ٱلدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا ‏ ‏ تَخْفِضُ ٱلْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلْ

عِيشَةُ ٱلرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا ‏ ‏ عِيشَةُ ٱلْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلْ

كَمْ جَهُولٍ بَاتَ فِيهَا مُكْثِرًا ‏ ‏ وَعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلْ

كَمْ شُجَاعٍ لَمْ يَنَلْ فِيهَا ٱلْمُنَى ‏ ‏ وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ ٱلْأَمَلْ

فَٱتْرُكِ ٱلْحِيلَةَ فِيهَا وَٱتَّكِلْ ‏ ‏ إِنَّمَا ٱلْحِيلَةُ فِي تَرْكِ ٱلْحِيَلْ

لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا ‏ ‏ إِنَّمَا أَصْلُ ٱلْفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ

قَدْ يَسُودُ ٱلْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبٍ ‏ ‏ وَبِحُسْنِ ٱلسَّبْكِ قَدْ يُنْفَى ٱلزَّغَلْ

إِنَّمَا ٱلْوَرْدُ مِنَ ٱلشَّوْكِ وَمَا ‏ ‏ يَنْبُتُ ٱلنَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلْ

قِيمَةُ ٱلْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ ‏ ‏ أَكْثَرَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْهُ أَمْ أَقَلْ

بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ ‏ ‏ وَكِلَا هٰذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلْ

لَيْسَ يَخْلُو ٱلْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَلَوْ ‏ ‏ حَاوَلَ ٱلْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلْ

دَارِ جَارَ ٱلسُّوءِ بِٱلصَّبْرِ وَإِنْ ‏ ‏ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى ٱلنُّقَلْ

جَانِبِ ٱلسُّلْطَانَ وَٱحْذَرْ بَطْشَهُ ... لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
لَا تَلِ ٱلْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا ... رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفْ مَنْ عَذَلْ
إِنَّ نِصْفَ ٱلنَّاسِ أَعْدَاءٌ لِمَنْ ... وَلِيَ ٱلْأَحْكَامَ هٰذَا إِنْ عَدَلْ
قَصِّرِ ٱلْآمَالَ فِي ٱلدُّنْيَا تَفُزْ ... فَدَلِيلُ ٱلْعَقْلِ تَقْصِيرُ ٱلْأَمَلْ
غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَنْ ... أَكْثَرَ ٱلتَّرْدَادَ أَضْنَاهُ ٱلْمَلَلْ
لَا يَضُرُّ ٱلْفَضْلَ إِقْلَالٌ كَمَا ... لَا يَضُرُّ ٱلشَّمْسَ إِطْبَاقُ ٱلطَّفَلْ
خُذْ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱتْرُكْ غِمْدَهُ ... وَٱعْتَبِرْ فَضْلَ ٱلْفَتَى دُونَ ٱلْحُلَلْ
حُبُّكَ ٱلْأَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ ... فَٱغْتَرِبْ تَلْقَ عَنِ ٱلْأَهْلِ بَدَلْ
فَبِمُكْثِ ٱلْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا ... وَسُرَى ٱلْبَدْرِ بِهِ ٱلْبَدْرُ ٱكْتَمَلْ

﴿ وصف ﴾

٣٣٤ زهرية صفيّ الدين الحليّ

وَرَدَ ٱلرَّبِيعُ فَمَرْحَبًا بِوُرُودِهِ ... وَبِنُورِ بَهْجَتِهِ وَنَوْرِ وُرُودِهِ
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ ... وَأَنِيقِ مَلْبَسِهِ وَوَشْيِ بُرُودِهِ
فَصْلٌ إِذَا ٱفْتَخَرَ ٱلزَّمَانُ فَإِنَّهُ ... إِنْسَانُ مُقْلَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
يُغْنِي ٱلْمِزَاجَ عَنِ ٱلْعِلَاجِ نَسِيمُهُ ... بِٱللُّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
يَا حَبَّذَا أَزْهَارُهُ وَثِمَارُهُ ... وَنَبَاتُ نَاجِمِهِ وَحَبُّ حَصِيدِهِ
وَتَجَاوُبُ ٱلْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ ... كَبَنَاتِ مَعْبَدَ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَٱلْغُصْنُ قَدْ كُسِيَ ٱلْغَلَائِلَ بَعْدَ مَا ... أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجْرِيدِهِ
نَالَ ٱلصِّبَا بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى ... مَاءُ ٱلشَّبِيبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ

وَٱلْوَرْدُ فِي أَعْلَى ٱلْغُصُونِ كَأَنَّهُ ... مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
وَٱنْظُرْ لِنَرْجِسِهِ ٱلْجَنِيِّ كَأَنَّهُ ... طَرْفٌ تَنَبَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَٱعْجَبْ لِآذَرْيُونِهِ وَبَهَارِهِ ... كَٱلتِّبْرِ يَزْهُو بِٱخْتِلَافِ نُقُودِهِ
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْمَنْظُومِ مِنْ مَنْثُورِهِ ... مُتَنَوِّعًا بِفُصُولِهِ وَعُقُودِهِ
أَوَ مَا تَرَى ٱلْغَيْمَ ٱلرَّقِيقَ وَمَا بَدَا ... لِلْعَيْنِ مِنْ أَشْكَالِهِ وَطُرُودِهِ
وَٱلسُّحْبُ تَعْقِدُ فِي ٱلسَّمَاءِ مَآتِمًا ... وَٱلْأَرْضُ فِي عُرْسِ ٱلزَّمَانِ وَعِيدِهِ
وَٱلْغَيْمُ يَحْكِي ٱلْمَاءَ فِي جَرَيَانِهِ ... وَٱلْمَاءُ يَحْكِي ٱلْغَيْمَ فِي تَجْعِيدِهِ
فَٱبْكُرْ إِلَى رَوْضِ ٱلصَّرَاةِ وَظِلِّهَا ... فَٱلْعَيْشُ بَيْنَ بَسِيطِهِ وَمَدِيدِهِ

٣٣٥ كَتَبَ ٱلصَّابِئُ فِي وَصْفِ ٱلْبَبَّغَاءِ إِلَى ٱبْنِ نَصْرٍ ٱلْمَعْرُوفِ بِٱلْبَبَّغَاءِ:

أَلِفْتُهَا صَبِيحَةً مَلِيحَهْ ... نَاطِقَةً بِٱللُّغَةِ ٱلْفَصِيحَهْ
عُدَّتْ مِنَ ٱلْأَطْيَارِ وَٱللِّسَانُ ... يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا ٱلْأَخْبَارَا ... وَتَكْشِفُ ٱلْأَسْرَارَ وَٱلْأَسْتَارَا
بَكْمَاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَهْ ... تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَهْ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا ٱلْبَعِيدَهْ ... وَٱسْتَوْطَنَتْ عِنْدَكَ كَٱلْقَعِيدَهْ
ضَيْفٌ قِرَاهُ ٱلْجَوْزُ وَٱلْأَرُزُّ ... وَٱلضَّيْفُ فِي إِتْيَانِهِ يُعَزُّ
تَرَاهُ فِي مِنْقَارِهَا ٱلْخَلُوقِي ... كَلُؤْلُؤٍ يُلْقَطُ بِٱلْعَقِيقِ
تَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا ٱلْخَضْرَاءِ ... مِثْلَ ٱلْفَتَاةِ ٱلْغَادَةِ ٱلْعَذْرَاءِ
خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا ٱلْأَقْفَاصُ ... لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
نَحْبِسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبِ ... وَإِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ ٱلْحُبِّ

تِلْكَ ٱلَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفُ   كُنِيَتْ عَنْهَا وَٱسْمُهَا مَعْرُوفُ
يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ ٱلزَّمَانِ   أَلْكَاتِبُ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلْبَيَانِ
ذٰلِكَ عَبْدُ ٱلْوَاحِدِ بْنُ نَصْرِ   تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ ٱلدَّهْرِ

٣٣٦ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا   فَقَدتُّ نَضَارَةَ ٱلْعَيْشِ ٱلْأَنِيقِ
تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ   وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
أَصَابَتْنَا مِنَ ٱلْحُسَّادِ عَيْنٌ   فَأَفْنَتْ أَهْلَهَا بِٱلْمَنْجَنِيقِ
وَقَوْمٍ أُحْرِقُوا بِٱلنَارِ قَسْرًا   وَنَائِحَةٍ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
وَصَائِحَةٍ تُنَادِي وَاصَبَاحَا   وَبَاكِيَةٍ لِفِقْدَانِ ٱلشَّقِيقِ
تَفِرُّ مِنَ ٱلْحَرِيقِ إِلَى ٱنْتِهَابٍ   وَوَالِدُهَا يَفِرُّ إِلَى ٱلْحَرِيقِ
حَيَارَى هٰكَذَا وَمُفَكِّرَاتٌ   عَلَيْهِنَّ ٱلْقَلَائِدُ فِي ٱلْحُلُوقِ
يُنَادِينَ ٱلشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقٌ   وَقَدْ فُقِدَ ٱلشَّفِيقُ مِنَ ٱلشَّفِيقِ
وَمُغْتَرِبٍ قَرِيبِ ٱلدَّارِ مُلْقًى   بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ ٱلطَّرِيقِ
تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمِ جَمِيعًا   فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَيِّ ٱلْفَرِيقِ
فَمَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ   وَقَدْ فَرَّ ٱلصَّدِيقُ مِنَ ٱلصَّدِيقِ
وَمَهْمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى   فَإِنِّي ذَاكِرٌ دَارَ ٱلرَّفِيقِ

٣٣٧ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْمَهُولُ فَأَقْلَقَا   فَٱنْزِلْ بِأَرْضِ ٱلشَّامِ وَٱسْكُنْ جِلَّقَا

تَجِدِ ٱلْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بَلْ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْصُحُ مَنْطِقَا
بَلَدٌ سَمَتْ بَيْنَ ٱلْبِلَادِ مَحَاسِنًا وَنَمَتْ بَهَاءً وَٱسْتَزَادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ ٱلسُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعَرِّجٍ لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلتُّقَى
إِنْ تَعْشَقُوا وَطَنًا فَذِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ ٱلْبِلَادِ بِأَنْ تُحَبَّ وَتُعْشَقَا
خَيْرُ ٱلْأُنَاسِ أُنَاسُهَا يَرْعَوْنَ أَنْوَاعَ ٱلْوِدَادِ وَيَحْفَظُونَ ٱلْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرَوْنَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءً لِلنُّفُوسِ وَمَاؤُهَا عَذْبٌ زُلَالٌ سَائِغٌ لِمَنِ ٱسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ ٱلتَّعْدَادِ فَلْتَأْتِ بِمَا يَخْتَارُ مِنْهُ وَيَنْتَقِي
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شَمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرْفُ ٱلزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَّقَا
وَتَرَاسَلَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ ٱلرُّبَى سَحَرًا فَهَيَّجَتِ ٱلْفُؤَادَ ٱلشَّيِّقَا
كَيْفَ ٱتَّجَهْتَ يَخِرَّ نَحْوَكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكَعُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقَا
يَا حَبَّذَا إِشْرَاقُ مَرْجَتِهَا ٱلَّتِي أَضْحَى غَنِيُّ ٱلْهَمِّ فِيهَا مُمْلِقَا
وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَاكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعْلُو ٱلْجِيَادَ ٱلسُّبَّقَا
ضَحِكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى ٱلنَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَّقَا
قَدْ دَنْدَنَتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرْيِهَا لَمَّا شَدَا ذَاكَ ٱلْحَمَامُ وَشَقْشَقَا
وَٱلصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنْزِلٍ فِيهَا قُبُورُ ٱلصَّالِحِينَ أُولِي ٱلتُّقَى
وَبِهَا ٱلْقُصُورُ ٱلْعَالِيَاتُ تَزَخْرَفَتْ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنِ ٱرْتَقَى
تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلِّقَ بَهْجَةً وَطَلَاوَةً فِيهَا ٱلسُّرُورُ تَحَقَّقَا
سُقِيَتْ دِمَشْقُ ٱلشَّامِ صَوْبَ غَمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غِيطَانِهَا فَتَدَفَّقَا

كَمْ نُزْهَةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرْفِ ٱلْهُمُومِ فَأَطْرَقَا
مَا ٱلْجَامِعُ ٱلْأَمَوِيُّ إِلَّا نُزْهَةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِٱلْعِبَادَةِ مُشْرِقَا
قَدْ أَتْقَنَتْ صُنَّاعُهُ بُنْيَانَهُ فَأَتَى ٱلْمُزَخْرَفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
وَتَرَى دُرُوسَ ٱلْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍّ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقَى
وَثَلَاثُ هَاتِيكَ ٱلْمَآذِنِ تَنْجَلِي مِثْلَ ٱلْعَرَائِسِ قَدْ لَبِسْنَ ٱلْيَلْمَقَا
مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ ٱلْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِتَرَنُّمٍ يُشْجِي ٱلْفُؤَادَ ٱلشَّيِّقَا
وَٱلْعَشْرَةُ ٱلْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى ٱلْمُشْتَاقِ بَابًا مُغْلَقَا
يَا حَبَّذَاكَ ٱلصَّحْنُ أَشْرَقَ وَٱنْجَلَى فَغَدَا بِهِ مَاءُ ٱلنَّسِيمِ مُرَقْرِقَا
فِيهِ ٱلصِّحَابُ رَوَائِحًا وَغَوَادِيًا مَا بَيْنَهُ وَتَجَمُّعًا وَتَفَرُّقَا
مِنْ حَوْلِهِ ٱلْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي ٱلدُّجَى مِثْلَ ٱلنَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عُلِّقَا
فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَبُيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبِقَا
هِيَ شَامُنَا أَعْلَى ٱلْإِلٰهُ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ ٱللهُ عَيْشًا رَيِّقَا
لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِّقَا
لِلّٰهِ أَيَّامٌ تَقَضَّتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ نَحْوَ ظِلَالِهَا مُتَشَوِّقَا
هِيَ مَنْشَإِي لَا حَاجِرٌ وَطُوَيْلِعٌ وَمَحَلُّ أُنْسِي لَا ٱلْغُوَيْرُ وَلَا ٱلنَّقَا
وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا ٱلثَّرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقَا
لُذْ يَا فُؤَادِي بِمَا بِهَا مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ سَامَكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْمَهُولُ فَأَقْلَقَا

٣٣٨ قَالَ شَاعِرٌ فِي وَصْفِ مَنَافِعِ ٱلسَّفَرِ :

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَٱنْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلنَّصَبِ

مَا فِي ٱلْمُقَامِ لِذِي لُبٍّ وَذِي أَدَبٍ ... مَعَزَّةٌ فَٱتْرُكِ ٱلْأَوْطَانَ وَٱغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ ٱلْمَاءِ يُفْسِدُهُ ... فَإِنْ جَرَى طَابَ أَوْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَٱلْبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ ... إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وَٱلْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ ٱلْغَابِ مَا قَنَصَتْ ... وَٱلسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ ٱلْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَٱلتِّبْرُ كَٱلتُّرْبِ مُلْقًى فِي أَمَاكِنِهِ ... وَٱلْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ ٱلْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَعْلُو إِلَى رُتَبِ

٣٣٩ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ فِي وَصْفِ ٱلصَّدَاقَةِ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ ٱلْمُشَارِكُ فِي ٱلْمُـــرِّ وَأَيْنَ ٱلشَّرِيكُ فِي ٱلْمُرِّ أَيْنَا
أَلَّذِي إِنْ شَهِدتَّ سَرَّكَ فِي ٱلْحَـــيِّ وَإِنْ غِبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنَا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ ... بَدَّلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنَا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا ... أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ ٱلْبَرَايَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وِدًّا صَحِيحًا ... صَارَ كُلُّ ٱلْوِدَادِ زُورًا وَمَيْنَا

وَقَالَ أَيْضًا :

اذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى ٱلْقَذَى ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

٣٤٠ قَالَ ٱبْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ ٱلْعِشْرَةِ :

أُوَاصِلُ مَنْ هَوِيتُ عَلَى خِلَالٍ ... أَذُودُ بِهِنَّ لَيَّاتِ ٱلْمَقَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَٱلْغَيْبَ مِنْهُ ... وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ

وَفَاءٍ لاَ يَحُولُ بِهِ ٱنْتِكَاثٌ ... وَوِدٌّ لاَ تَخَوَّنُهُ ٱللَّيَالِي
وَأُوثِرُهُ عَلَى عُسْرٍ وَيُسْرٍ ... وَيُنْفِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ ٱلإِدْلاَلِ مِنْهُ ... إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ ٱلدَّلاَلِ
وَمَا أَنَا بِٱلْمَلُولِ وَلاَ بِجَافٍ ... وَلاَ ٱلْغَدْرُ ٱلْمُذَمَّمُ مِنْ فِعَالِي

قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ ٱلنَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَخِذْتُهُمُ دُرُوعًا ... فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ ... فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ ... لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وِدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ ... لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ

٣٤١ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلاَ تَصْحَبْ أَخَا ٱلسُّوءِ ... وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى ... حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ ٱلْمَرْءُ بِٱلْمَرْءِ ... إِذَا مَا ٱلْمَرْءُ مَاشَاهُ
وَفِي ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلنَّاسِ ... مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي ٱلْعَيْنِ عَلَى ٱلْعَيْنِ ... إِذَا تَنْطِقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى ٱلْقَلْبِ ... دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

كَتَبَ ٱلْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ ٱلْمَرِيَّةِ إِلَى ٱبْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي ٱلنَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ ... وَطُولُ ٱخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبِ
فَلَمْ تُرِنِي ٱلْأَيَّامُ خِلًّا تَسُرُّنِي ... مَبَادِيهِ إِلاَّ سَاءَنِي فِي ٱلْعَوَاقِبِ

وَلاَ كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلاَّ كَانَ إِحْدَى ٱلْمَصَائِبِ

٣٤٢ قَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ فِي ٱلْعِلْمِ:

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَٱطْلُبْ هُدِيتَ فُنُونَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبَا

كَمْ سَيِّدٍ بَطَلٍ آبَاؤُهُ نُجُبٌ كَانُوا ٱلرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبَا

وَمُقْرِفٍ خَامِلِ ٱلْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ نَالَ ٱلْمَعَالِيَ بِٱلْآدَابِ وَٱلرُّتَبَا

أَلْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لاَ فَنَاءَ لَهُ نِعْمَ ٱلْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِبَا

قَدْ يَجْمَعُ ٱلْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرَمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى ٱلذُّلَّ وَٱلْحَرَبَا

وَجَامِعُ ٱلْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلاَ يُحَاذِرُ مِنْهُ ٱلْفَوْتَ وَٱلسَّلَبَا

يَا جَامِعَ ٱلْعِلْمِ نِعْمَ ٱلذُّخْرُ تَجْمَعُهُ لاَ تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلاَ ذَهَبَا

﴿ فخر وحماسة ﴾

٣٤٣ قَالَ عَنْتَرُ يَتَهَدَّدُ هَوَازِنَ وَجُشَمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبْسٍ:

سَكَتُّ فَغَرَّ أَعْدَائِي ٱلسُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ

وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمٍ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِيتُ

وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ ٱلْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيتُ

بِسَيْفٍ حَدُّهُ مَوْجُ ٱلْمَنَايَا وَرُمْحٍ صَدْرُهُ ٱلْحَتْفُ ٱلْمُمِيتُ

خُلِقْتُ مِنَ ٱلْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلِيَ ٱلْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ ٱلْأَعَادِي بِأَقْحَافِ ٱلرُّؤُوسِ وَمَا رَوِيتُ

وَفِي ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ وُلِدْتُ طِفْلًا وَمِنْ لَبَنِ ٱلْمَعَامِعِ قَدْ سُقِيتُ

فَمَا لِلرُّمْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبٌ وَلاَ لِلسَّيْفِ فِي أَعْضَايَ قُوتُ

وَلِي بَيْتٌ عَلَا فَلَكَ ٱلثُّرَيَّا ... تَخِرُّ لِعُظْمِ هَيْبَتِهِ ٱلْبُيُوتُ

٣٤٤ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَخِرُ :

أُعَادِي صَرْفَ دَهْرٍ لَا يُعَادَى ... وَأَحْتَمِلُ ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلْبِعَادَا
وَأُظْهِرُ نُصْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي ... وَإِنْ خَانَتْ قُلُوبُهُمُ ٱلْوِدَادَا
أُعَلِّلُ بِٱلْمُنَى قَلْبًا جَرِيحًا ... وَبِٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ وَإِنْ تَمَادَى
تُعَيِّرُنِي ٱلْعِدَى بِسَوَادِ جِلْدِي ... وَبِيضُ خَصَائِلِي تَمْحُو ٱلسَّوَادَا
وَرَدتُّ ٱلْحَرْبَ وَٱلْأَبْطَالُ حَوْلِي ... تَهُزُّ أَكُفُّهَا ٱلسُّمْرَ ٱلصِّعَادَا
وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ ٱلْمَنَايَا ... وَنَارُ ٱلْحَرْبِ تَتَّقِدُ ٱتِّقَادَا
وَعُدتُّ مُخَضَّبًا بِدَمِ ٱلْأَعَادِي ... وَكَرْبُ ٱلرَّكْضِ قَدْ خَضَبَ ٱلْجَوَادَا
وَسَيْفِي مُرْهَفُ ٱلْحَدَّيْنِ مَاضٍ ... تَقُدُّ شِفَارُهُ ٱلصَّخْرَ ٱلْجَمَادَا
وَرُمْحِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِينًا ... فَعَادَ بِعَيْنِهِ نَظَرَ ٱلرَّشَادَا
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رُمْحِي ... لَمَا رَفَعَتْ بَنُو عَبْسٍ عِمَادَا

٣٤٥ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ :

لَيْسَ ٱلْجَمَالُ بِمِئْزَرٍ ... فَٱعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ ٱلْجَمَالَ مَعَادِنٌ ... وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا
أَعْدَدتُّ لِلْحَدَثَانِ سَا ... بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَا
نَهْدًا وَذَا شُطَبٍ يَقُـ ... ـدُّ ٱلْبَيْضَ وَٱلْأَبْدَانَ قَدَّا
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا ... كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدَا
قَوْمٌ اذَا لَبِسُوا ٱلْحَدِيـ ... ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقِدَّا

كُلُّ ٱمْرِئٍ يَجْرِي إِلَى ... يَوْمِ ٱلْهِيَاجِ بِمَا ٱسْتَعَدَّا
نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَمْ ... أَرَ مِنْ نِزَالِ ٱلْكَبْشِ بُدَّا
هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنْـ ... ـذُرُ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدَّا
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ ... بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا
مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلاَ هَلِعْـ ... ـتُ وَلاَ يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدَا
أَلْبَسْـتُهُ أَثْوَابَهُ ... وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا
أُغْنِي غَنَاءَ ٱلذَّاهِبِيـ ... ـنَ أُعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَّا
ذَهَبَ ٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ ... وَبَقِيتُ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ فَرْدَا

٣٤٦ وَلِعَنْتَرَةَ فِي يَوْمِ ٱلْمَصَانِعِ :

إِذَا كَشَفَ ٱلزَّمَانُ لَكَ ٱلْقِنَاعَا ... وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ بَاعَا
فَلَا تَخْشَ ٱلْمَنِيَّةَ وَٱلْتَقِيهَا ... وَدَافِعْ مَا ٱسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا
وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ ... وَلَا تَبْكِ ٱلْمَنَازِلَ وَٱلْبِقَاعَا
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُزْنًا ... وَيَهْتِكْنَ ٱلْبَرَاقِعَ وَٱللِّفَاعَا
يَقُولُ لَكَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاكَ عِنْدِي ... إِذَا مَا جَسَّ كَفَّكَ وَٱلذِّرَاعَا
وَلَوْ عَرَفَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاءَ دَاءٍ ... يَرُدُّ ٱلْمَوْتَ مَا قَاسَى ٱلنِّزَاعَا
وَفِي يَوْمِ ٱلْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا ... لَنَا بِفِعَالِنَا خَبَرًا مُشَاعَا
أَقَمْنَا بِٱلذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ ... وَصَيَّرْنَا ٱلنُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا
حِصَانِي كَانَ دَلَّالَ ٱلْمَنَايَا ... فَخَاضَ غُبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا
وَسَيْفِي كَانَ فِي ٱلْهَيْجَا طَبِيبًا ... يُدَاوِي رَاسَ مَنْ يَشْكُو ٱلصُّدَاعَا

أَنَا ٱلْعَبْدُ ٱلَّذِي خُبِّرْتَ عَنْهُ ... وَقَدْ عَايَنْتَنِي فَدَعِ ٱلسَّمَاعَا
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُمْحِي مَعْ جَبَانٍ ... لَكَانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى ٱلسِّبَاعَا
مَلَأْتُ ٱلْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي ... وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا ٱتِّسَاعَا
إِذَا ٱلْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي ... تَرَى ٱلْأَقْطَارَ بَاعًا أَوْ ذِرَاعَا

٣٤٧ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا نَذِلُّ لِجَانِفٍ ... عَلَيْنَا وَلَا نَرْضَى حُكُومَةَ حَائِفِ
مَلَكْنَا ٱلْعَوَالِي بِٱلْمَعَالِي فَجَارُنَا ... عَزِيزٌ وَمَنْ نَكْفُلْ بِهِ غَيْرُ خَائِفِ
وَرِثْنَا عَنِ ٱلْآبَاءِ عِنْدَ ٱخْتِرَامِهَا ... صَفَائِحَ تُغْنِي عَنْ رُسُومِ ٱلصَّحَائِفِ
تُؤَمِّرُنَا أَسْيَافُنَا وَرِمَاحُنَا ... إِذَا لَمْ يُؤَمِّرْنَا لِوَاءُ ٱلْخَلَائِفِ
بَنَيْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ كَعْبَةً ... أَطَافَ بِهَا قَسْرًا مُلُوكُ ٱلطَّوَائِفِ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْشُنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِنْ ... فَمَا نَقْدُنَا إِنْ قَارَضُونَا بِزَائِفِ
وَسَوْفَ نُجَازِي بِٱللَّطَائِفِ أَهْلَهَا ... وَنَسْقِي زُعَافَ ٱلسُّمِّ أَهْلَ ٱلْكَتَائِفِ

٣٤٨ وَلِلّٰهِ عَنْتَرُ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ ... غَيْرُ مَجْهُولِ ٱلْمَكَانِ
وَحُسَامِي مَعْ قَنَاتِي ... لِفِعَالِي شَاهِدَانِ
إِنَّنِي أَطْعَنُ خَصْمِي ... وَهْوَ يَقْظَانُ ٱلْجَنَانِ
أَسْقِهِ كَاسَ ٱلْمَنَايَا ... وَقِرَاهَا مِنْهُ دَانِ
خُلِقَ ٱلرُّمْحُ لِكَفِّي ... وَٱلْحُسَامُ ٱلْهُنْدُوَانِي
وَمَعِي فِي ٱلْمَهْدِ كَانَا ... فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي

وَإِذا ما ٱلْأَرْضُ صارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ ٱلدِّهانِ
وَٱلدِّما تَجْرِي عَلَيْها لَوْنُها أَحْمَرُ قانِي
فَٱسْقِيانِي وَٱسْمِعانِي نَغْمَةً كَيْ تُطْرِبانِي
أَطْيَبُ ٱلْأَصْواتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ ٱلْهِنْدُوانِي
وَصَرِيرُ الرُّمْحِ جَهْرًا فِي ٱلْوَغَى يَوْمَ ٱلطِّعانِ
وَصِياحُ ٱلْقَوْمِ فِيهِ وَهْوَ لِلْأَبْطالِ دانِ

٣٤٩ وَمِمَّا يُسْتَجادُ لِعُبَيْدِ بْنِ ٱلْأَبْرَصِ قَوْلُهُ :

يا أَيُّها ٱلسَّائِلُ عَنْ مَجْدِنا إِنَّكَ عَنْ مَسْعاتِنا جاهِلُ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبائِنا فَسَلْ تُنَبَّأْ أَيُّها ٱلسَّائِلُ
سائِلْ بِنا حُجْرًا غَداةَ ٱلْوَغَى يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ ٱلْحافِلُ
قَوْمِي بَنُو دُودانَ أَهْلُ ٱلْحِجَى يَوْمًا إِذا أُلْقِحَتِ ٱلْحائِلُ
كَمْ فِيهِمِ مِنْ أَيِّدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفَحاتٍ قائِلٌ فاعِلُ
مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ وَمَنْ نائِلُهُ نائِلُ
لَا يَحْرِمُ ٱلسَّائِلَ إِنْ جاءَهُ وَلَا يُعَفِّي سَيْبَهُ ٱلْعاذِلُ
أَلطَّاعِنُ ٱلطَّعْنَةَ يَوْمَ ٱلْوَغَى يَذْهَلُ مِنْهُ ٱلْبَطَلُ ٱلْباسِلُ

﴿ مديح ﴾

٣٥٠ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثابِتٍ فِي ٱلْمَدْحِ قَوْلُهُ :

إِنَّ ٱلذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُوا سُنَنًا لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِها كُلُّ مَنْ كانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى ٱلْإِلٰهِ وَبِٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي شَرَعُوا

قَوْمٌ إِذا حارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أَوْ حاوَلُوا ٱلنَّفْعَ في أَشْياعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إِنَّ ٱلْخَلائِقَ فَٱعْلَمْ شَرُّها ٱلْبِدَعُ
لَوْ كانَ في ٱلنَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ ... فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
لا يَرْقَعُ ٱلنَّاسُ ما أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ ... عِنْدَ ٱلرِّقاعِ وَلا يُوهُونَ ما رَقَعُوا
إِنْ سابَقُوا ٱلنَّاسَ يَوْمًا فازَ سَبْقُهُمُ ... أَوْ وازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِٱلنَّدَى مَنَعُوا
لا يَفْخَرُونَ إِذا نالُوا عَدُوَّهُمُ ... وَإِنْ أُصِيبُوا فَلا خَوَرٌ وَلا هَلَعُ
وَلا يَضَنُّونَ عَنْ جارٍ بِفَضْلِهِمِ ... وَلا يَمَسُّهُمُ في مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ ٱلْأَحْياءِ كُلِّهِمِ ... إِنْ جَدَّ بِٱلنَّاسِ جِدُّ ٱلْقَوْلِ أَوْ سَمَعُ

٣٥١ قصيدة البحتريّ في الخليفة المتوكّل لما دخل المَوصِل يوم الفِطر

أَللهُ مَكَّنَ لِلْخَليفَةِ جَعْفَرٍ ... مُلْكًا يُحَسِّنُهُ ٱلْخَليفَةُ جَعْفَرُ
نُعْمَى مِنَ ٱللهِ ٱصْطَفاهُ بِفَضْلِها ... وَٱللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ
فَٱسْلَمْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنينَ وَلا تَزَلْ ... تُعْطَى ٱلزِّيادَةَ في ٱلْبَقاءِ وَتُشْكَرُ
عَمَّتْ فَواضِلُكَ ٱلْبَرِيَّةَ فَٱلْتَقَى ... فيها ٱلْمُقِلُّ عَلَى ٱلْغِنَى وَٱلْمُكْثِرُ
بِٱلْبِرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صائِمٍ ... وَبِسُنَّةِ ٱللهِ ٱلرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ
فَٱنْعَمْ بِيَوْمِ ٱلْفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ ... يَوْمٌ أَغَرُّ مِنَ ٱلزَّمانِ مُشَهَّرُ
أَظْهَرْتَ عِزَّ ٱلْمُلْكِ فيهِ بِجَحْفَلٍ ... لَجِبٍ يُحاطُ ٱلدِّينُ فيهِ وَيُنْصَرُ
خِلْنا ٱلْجِبالَ تَسيرُ فيهِ وَقَدْ غَدَتْ ... عُدَدًا يَسيرُ بِها ٱلْعَديدُ ٱلْأَكْثَرُ
فَٱلْخَيْلُ تَصْهَلُ وَٱلْفَوارِسُ تَدَّعِي ... وَٱلْبِيضُ تَلْمَعُ وَٱلْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
وَٱلْأَرْضُ خاشِعَةٌ تَميدُ بِثِقْلِها ... وَٱلْجَوُّ مُعْتَكِرُ ٱلْجَوانِبِ أَغْبَرُ

وَٱلشَّمْسُ ماتِعَةٌ تَوَقَّدُ فِي ٱلضُّحَى ... طَوْرًا وَيُطْفِئُها ٱلْعَجاجُ ٱلْأَكْدَرُ
حَتَّى طَلَعْتَ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَٱنْجَلَى ... ذاكَ ٱلدُّجَى وَٱنْجابَ ذاكَ ٱلْعِثْيَرُ
وَٱفْتَنَّ فِيكَ ٱلنَّاظِرُونَ فَإِصْبَعٌ ... يُومَا إِلَيْكَ بِهَا وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
يَجِدُونَ رُؤْيَتَكَ ٱلَّتِي فازُوا بِها ... مِنْ أَنْعُمِ ٱللهِ ٱلَّتِي لا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ ٱلرَّشِيدَ فَهَلَّلُوا ... لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ ٱلصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا
حَتَّى ٱنْتَهَيْتَ إِلَى ٱلْمُصَلَّى لابِسًا ... نُورَ ٱلْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
وَمَشَيْتَ مِشْيَةَ خاشِعٍ مُتَواضِعٍ ... لِلهِ لا تَزْهَى وَلا تَتَكَبَّرُ
فَلَوَ ٱنَّ مُشْتاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ ما ... فِي وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ ٱلْمِنْبَرُ
أُيِّدتَّ مِنْ فَصْلِ ٱلْخِطابِ بِحِكْمَةٍ ... تُنْبِي عَنِ ٱلْحَقِّ ٱلْمُنِيرِ وَتُخْبِرُ
وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ ٱلْخَطِيبِ مُذَكِّرًا ... بِٱللهِ تُنْذِرُ تارَةً وَتُبَشِّرُ
صَلَّوْا وَراءَكَ آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ ... مِنْ رَبِّهِمْ وَبِذِمَّةٍ لا تُخْفَرُ
وَمَواعِظٍ شَفَتِ ٱلصُّدُورَ مِنَ ٱلَّذِي ... يَعْتادُها وَشِفاؤُها مُتَعَذِّرُ
حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ ٱلْجَهُولُ وَأُخْلِصَتْ ... نَفْسُ ٱلْمُرَئِّي وَٱهْتَدَى ٱلْمُتَحَيِّرُ
فَٱسْعَدْ بِمَغْفِرَةِ ٱلْإِلٰهِ فَلَمْ يَزَلْ ... يَهَبُ ٱلذُّنُوبَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَغْفِرُ
أَللهُ أَعْطاكَ ٱلْمَحَبَّةَ فِي ٱلْوَرَى ... وَحَباكَ بِٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لا يُنْكَرُ
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ لِلْعُيُونِ لَدَيْهِمِ ... وَأَجَلُّ قَدْرًا فِي ٱلصُّدُورِ وَأَكْبَرُ

٣٥٢ أخبر محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال : حدّثني عمّي عبد الله وأخي أحمد قالا : لمّا بلغ المأمون وصار في حدّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل لهُ خطبةً يقوم بها يوم الجمعة . فعملنا لهُ خطبتهُ المشهورة وكان جهير الصوت حسن اللهجة . فلمّا خطب بها رقّت لهُ قلوب الناس وأبكى مَن سمعهُ . فقال أبو محمد اليزيديُّ يمدح المأمون :

لِتَهْنِ أَميرَ ٱلْمُؤْمنينَ كَرَامَةٌ   عَلَيْهِ بِها شُكْرُ ٱلْإِلٰهِ وُجُوبُ
بِأَنَّ وَلِيَّ ٱلعَهْدِ مَأْمُونَ هاشِمٍ   بَدَا فَضْلُهُ إِذْ قامَ وَهْوَ خَطِيبُ
وَلَمَّا رَماهُ ٱلنَّاسُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ   بِأَبْصارِهِمْ وَٱلْعُودُ مِنْهُ صَلِيبُ
رَماهُمْ بِقَوْلٍ أَنْصَتُوا عَجَبًا لَهُ   وَفِي دُونِهِ لِلسَّامِعِينَ عَجِيبُ
وَلَمَّا وَعَتْ آذانُهُمْ ما أَتَى بِهِ   أَنابَتْ وَرَقَّتْ عِنْدَ ذاكَ قُلُوبُ
فَأَبْكَى عُيُونَ ٱلنَّاسِ أَبْلَغُ واعِظٍ   أَغَرُّ بِطاحِيٌّ ٱلنِّجارِ نَجِيبُ
مَهِيبٌ عَلَيْهِ لِلْوَقارِ سَكِينَةٌ   جَرِيءُ جَنَانٍ لا أَكَعُّ هَيُوبُ
وَلا واجِبٌ فَوْقَ ٱلْمَنابِرِ قَلْبُهُ   إِذا ما ٱعْتَرَى قَلْبَ ٱلنَّجِيبِ وَجِيبُ
إِذا ما عَلا ٱلْمَأْمُونُ أَعْوادَ مِنْبَرٍ   فَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلْعالَمِينَ ضَرِيبُ
تَصَدَّعَ عَنْهُ ٱلنَّاسُ وَهْوَ حَدِيثُهُمْ   تَحَدَّثَ عَنْهُ نازِحٌ وَقَرِيبُ
شَبِيهُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ حَزَامَةً   إِذا وَرَدَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ خُطُوبُ
إِذا طابَ أَصْلٌ فِي عُرُوقِ مَشاجِهِ   فَأَغْصانُهُ مِنْ طِيبِهِ سَتَطِيبُ
فَقُلْ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي بِهِ   يُقَدَّمُ عَبْدُ ٱللهِ فَهْوَ أَدِيبُ
كَأَنْ لَمْ تَغِبْ عَنْ بَلْدَةٍ كانَ والِيًا   عَلَيْها وَلا ٱلتَّدْبِيرُ مِنْكَ يَغِيبُ
تَتَبَّعَ ما يُرْضِيكَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ   فَسِيرَتُهُ شَخْصٌ إِلَيْكَ حَبِيبُ
وَرِثْتُمْ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ إِرْثَ مُحَمَّدٍ   فَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي ٱلتُّراثِ نَصِيبُ

فلمَّا وصلت هذه الأبيات الى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهمٍ ولابنه محمد بن أبي محمدٍ بمثلهِ   (الاغاني)

٣٥٣ دَخَلَ كُثَيِّرٌ أَبُو صَخْرٍ وَالْأَحْوَصُ على عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَنْشَدَهُ كُثَيِّرٌ :

وَلِيتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ ... بَرِيًّا وَلَمْ تَتْبَعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي ... فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ ... مِنَ الْأَوَدِ الْبَادِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ
لَقَدْ لَبِسَتْ لُبْسَ الْمُلُوكِ ثِيَابَهَا ... تَرَاءَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَتُومِضُ أَحْيَانًا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ ... وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ الْمُنَظَّمِ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمَئِزًّا كَأَنَّمَا ... سَقَتْكَ مَدُوفًا مِنْ سِمَامٍ وَعَلْقَمِ
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُمَنَّعٍ ... وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزْبِدِ الْمَوْجِ مُفْعَمِ
وَمَا زِلْتَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ ... صَعِدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقَدَّمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمُلْكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ ... لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُونِقًا ... وَآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيٍ مُصَمِّمِ
فَأَضْرَرْتَ بِالْفَانِي وَشَمَّرْتَ لِلَّذِي ... أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلِمِ
وَمَا لَكَ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ ... سِوَى اللهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمِ
سَمَا لَكَ هَمٌّ فِي الْفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ ... صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلَّمِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ تَقَسَّمُوا ... لَكَ الشَّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَّمِ
فَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ لِلهِ رَاكِبٌ ... مُغِذٌّ مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمْزَمِ
فَأَرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايِعٍ ... وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمْ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمِ

فقال لهُ يا كُثَيِّر ان الله سائلكَ عن كل ما قلتَ . ثم تقدَّم اليهِ الاحوص فاستأذنه فقال : قُل ولا تقُل الا حقًّا فانَّ الله سائلك فأنشدهُ :

وَما ٱلشِّعْرُ إِلاَّ خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلِّفٍ ... بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ باطِلِ
فَلا تَقْبَلَنْ إِلاَّ ٱلَّذِي وافَقَ ٱلرِّضا ... وَلا تُرْجِعَنَّا كَٱلنِّساءِ ٱلْأَرامِلِ
رَأَيْناكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ ٱلْحَقِّ يَمْنَةً ... وَلا يَسْرَةً فِعْلَ ٱلظَّلُومِ ٱلْمُجادِلِ
وَلٰكِنْ أَخَذْتَ ٱلْحَقَّ جُهْدَكَ كُلَّهُ ... وَتَقْفُو مِثالَ ٱلصَّالِحِينَ ٱلْأَوائِلِ
فَقُلْنا وَلَمْ نَكْذِبْ بِما قَدْ بَدا لَنا ... وَمَنْ ذا يَرُدُّ ٱلْحَقَّ مِنْ قَوْلِ عاذِلِ
وَمَنْ ذا يَرُدُّ ٱلسَّهْمَ بَعْدَ صُدُوفِهِ ... عَلَى فُوقِهِ إِنْ عادَ مِنْ نَزْعِ نابِلِ
وَلَوْلا ٱلَّذِي قَدْ عَوَّدَتْنا خَلائِفٌ ... غَطارِيفُ كانَتْ كَٱللُّيُوثِ ٱلْبَواسِلِ
لَمَا وَخَدَتْ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةٌ ... تَقُدُّ مُتُونَ ٱلْبِيدِ بَيْنَ ٱلرَّواحِلِ
وَلٰكِنْ رَجَوْنا مِنْكَ مِثْلَ ٱلَّذِي بِهِ ... صُرِفْنا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ ٱلْأَفاضِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ... وَإِنْ كانَ مِثْلَ ٱلدُّرِّ مِنْ قَوْلِ قائِلِ
وَكانَ مُصِيبًا صادِقًا لا يَعِيبُهُ ... سِوَى أَنَّهُ يُبْنَى بِناءَ ٱلْمَنازِلِ
فَإِنَّ لَنا قُرْبَى وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ ... وَمِيراثَ آباءٍ مَشَوْا بِٱلْمَناصِلِ
فَذَادُوا عَدُوَّ ٱلسِّلْمِ عَنْ عُقْرِ دارِهِمِ ... وَأَرْسَوْا عَمُودَ ٱلدِّينِ بَعْدَ تَمايُلِ
فَقَبْلَكَ ما أَعْطَى ٱلْهُنَيْدَةَ جِلَّةً ... عَلَى ٱلشِّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبازِلِ
فَكُلُّ ٱلَّذِي عَدَّدْتُ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ ... وَنَيْلُكَ خَيْرٌ مِنْ بُحُورٍ سَوائِلِ

﴿ هجو ﴾

٣٥٤ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي عَذُول :

وَقالُوا فُلانٌ فِي ٱلْوَرَى لَكَ شاتِمٌ ... وَأَنْتَ لَهُ دُونَ ٱلْخَلائِقِ تَمْدَحُ
فَقُلْتُ ذَرُوهُ ما بِهِ وَطِباعَهُ ... فَكُلُّ إِناءٍ بِٱلَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

إِذا ٱلْـكَلْبُ لا يُؤْذِيكَ عِنْدَ نَبِيحِهِ ... فَذَرْهُ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيـامَةِ يَنْبَحُ

قَالَ آخَرُ فِي طَبِيبٍ :

يا مَلَكَ ٱلْمَوْتِ وَٱبْنَ زُهْرٍ ... جاوَزْتُما ٱلْحَدَّ وَٱلنِّهـايَهْ

تَرَفَّقـا بِٱلْوَرَى قَلِيـلاً ... فِي واحِدٍ مِنْـكُما ٱلْـكِفايَهْ

قَالَ غَيْرُهُ فِي قَاضٍ يُحِبُّ ٱلرُّشْوَةَ :

رَأَيْتُ شاةً وَذِئْباً وَهْيَ ماسِكَةٌ ... بِأُذْنِهِ وَهْوَ مُنْقادٌ لَهـا سارِي

فَقُلْتُ أُعْجُوبَةٌ ثُمَّ ٱلْتَفَتُّ أَرَى ... ما بَيْنَ نابَيْهِ مُلْقَى نِصْفَ دِينارِ

فَقُلْتُ لِلشَّاةِ ماذا ٱلإِلْفُ بَيْنَـكُما ... وَٱلذِّئْبُ يَسْطُو بِأَنْيابٍ وَأَظْفارِ

تَبَسَّمَتْ ثُمَّ قالَتْ وَهْيَ ضاحِكَةٌ ... بِٱلتِّبْرِ يُـكْسَرُ ذاكَ ٱلضَّيْغَمُ ٱلضَّارِي

٣٥٥ قَالَ خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ يَهْجُو ٱلْعَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ :

أَرَى ٱلْعَبَّاسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَهْلاً يَزِيدُ

فَلَوْ نُقِضَتْ عَزائِمُـهُ وَبادَتْ ... سَلامَتُهُ لَـكانَ كَما يُرِيدُ

وَلٰـكِنَّ ٱلْمَعائِبَ أَفْسَـدَتْهُ ... وَكِذْبُ ٱلْمَرْءِ أَقْبَحُ ما يُفِيدُ

فَأَبْشِرْ إِنْ بَقِيتَ بِيَوْمِ سُوءٍ ... يَشِيبُ لَهُ مِنَ ٱلْخَوْفِ ٱلْوَلِيدُ

كَيَوْمِكَ إِذْ خَرَجْتَ تَفُوقُ رَكْضاً ... وَطارَ ٱلْقَلْبُ وَٱنْتَفَخَ ٱلْوَرِيدُ

وَدَعْ قَوْلَ ٱلسَّفاهَةِ لا تَقُلْهُ ... فَقَدْ طالَ ٱلتَّهَدُّدُ وَٱلْوَعِيدُ

وَقَالَ :

أَعَبَّاسُ إِنَّا وَما بَيْنَنا ... كَصَدْعِ ٱلزُّجاجَةِ لا يُجْبَرُ

فَلَسْتَ بِكُفْءٍ لِأَمْثالِنا ... وَشَتْمُكَ أَنْتَ بِهِ أَجْدَرُ

وَلَسْنا بِأَهْلٍ لِما قُلْتَهُ وَنَحْنُ بِشَتْمِكُمْ نُعْذَرُ
فَقَصْرُكَ مِنِّي رَقِيقُ ٱلذُّبا بِ عَضْبٌ كَرِيهَتُهُ تُحْذَرُ
وَأَزْرَقُ فِي رَأْسِ خَطِّيَّةٍ إِذا هُزَّ كَعْبٌ لَها تَخْطُرُ
يَلُوحُ ٱلسِّنانُ عَلَى مَتْنِها كَنارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تُسْعَرُ

فَأَجابَهُ ٱلْعَبَّاسُ :

خُفافُ أَلَمْ تَرَ ما بَيْنَنا يَزِيدُ ٱسْتِعارًا إِذا يُسْعَرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُهِينُ ٱلْبِلا دَ لِلسَّائِلِينَ وَما نَغْدُرُ
لَنا شِيَمٌ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ تَوارَثَها ٱلْأَكْبَرُ ٱلْأَكْبَرُ
فَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ الصَّبا حِ أَنَّ ٱلْعَقِيلَةَ بِي تُسْتَرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ ٱلرِّها نِ أَنِّي أَنا ٱلشَّامِخُ ٱلْمُخْطِرُ
فَأَنَّى تُعَيِّرُنِي بِٱلْفَخارِ أَرَى أَنَّ هٰذا هُوَ ٱلْمُنْكَرُ

٣٥٦ لِأَبِي ٱلْمُصْبِحْ أَعْشَى هَمْدَانَ يَهْجُو مَدِينَةَ مَكْرَّانَ وَكَانَ ٱلْحَجَّاجُ أَتَى بِهِ إِلَيْهَا أَسِيرًا :

وَلَمْ تَكُ حاجَتِي مَكْرَّانُ وَلا ٱلْغَزْوُ فِيها وَلا ٱلْمَتْجَرُ
وَخُبِّرْتُ عَنْها وَلَمْ آتِها فَما زِلْتُ مِنْ ذِكْرِها أُذْعَرُ
بِأَنَّ ٱلْكَثِيرَ بِها جائِعٌ وَأَنَّ ٱلْقَلِيلَ بِها مُقْتِرُ
وَأَنَّ لِحَى ٱلنَّاسِ مِنْ حَرِّها تَطُولُ فَتُجْلَمُ أَوْ تُضْفَرُ
وَيَزْعُمُ مَنْ جاءَها قَبْلَنا بِأَنَّا سَنُسْهَمُ أَوْ نُنْحَرُ
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ ٱلْمُخْزِيا تِ فِيما اسِرُّ وَما أَجْهَرُ

وَحُدِّثْتُ أَنْ مَا لَنا رَجْعَةٌ سِنِينَ وَمِنْ بَعْدِها أَشْهُرُ
إِلَى ذاكَ ما شابَ أَبْناؤُنا وَبادَ ٱلْأَخِلَّاءُ وَٱلْمَعْشَرُ
وَما كانَ بِي مِنْ نَشاطٍ لَها وَإِنِّي لَذُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
وَلٰكِنْ بُعِثْتُ لَها كارِهًا وَقِيلَ ٱنْطَلِقْ كَالَّذِي يُؤْمَرُ
فَكانَ ٱلنَّجاءُ وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَشَرُّهُمُ مُنْكَرُ
هُوَ ٱلسَّيْفُ جُرِّدَ مِنْ غِمْدِهِ فَلَيْسَ عَنِ ٱلسَّيْفِ مُسْتَأْخَرُ
وَكَمْ مِنْ أَخٍ لِيَ مُسْتَأْنِسٍ يَظَلُّ بِهِ ٱلدَّمْعُ يَسْتَحْسِرُ
يُوَدِّعُنِي أَنْتَحِبْ عَبْرَةً لَهُ كَٱلْجَداوِلِ أَوْ أَغْزَرُ
فَلَسْتُ بِلاقِيهِ مِنْ بَعْدِها يَدَ الدَّهْرِ ما هَبَّتِ ٱلصَّرْصَرُ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّكُمُ عابِرُو نَ بَحْرًا لَها لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
إِلَى ٱلسِّنْدِ وَٱلْهِنْدِ فِي أَرْضِهِمْ هُمُ ٱلْجِنُّ لٰكِنَّهُمْ أَنْكَرُ
وَما رامَ غَزْوًا لَها قَبْلَنا أَكابِرُ عادٍ وَلا حِمْيَرُ
وَلا رامَ سابُورُ غَزْوًا لَها وَلا ٱلشَّيْخُ كِسْرَى وَلا قَيْصَرُ
وَمِنْ دُونِها مَعْبَرٌ واسِعٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُؤْجَرُ

٣٥٧ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَخِيلٍ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَغَدَّانِي بِرَائِحَةِ ٱلطَّعامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْناهُ عَلَى طَبَقِ ٱلْكَلامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدِي سَقانِي كُؤُوسًا خَمْرُها رِيحُ ٱلْمُدامِ
فَكانَ كَمَنْ سَقَى ٱلظَّمْآنَ آلًا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي ٱلْمَنامِ

وَقَالَ أَيْضاً فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبا زُرَارَةَ قالَ يَوْماً ... لِحاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ ٱلْحُسام
لَئِنْ وُضِعَ ٱلْخِوَانُ وَلاَحَ شَخْصٌ ... لَأَخْتَطِفَنَّ رَأْسَكَ وَٱلسَّلَام
فَما فِي ٱلْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خِوَانٍ ... عَلَيْهِ ٱلْخُبْزُ يَحْضُرُهُ ٱلزِّحامُ

نختم باب الشعر بقصيدة أبي البقاء في رثاء الاندلس لانها جمعت بين ضروب شتى من فنون الشعر كالحكم والحماسة والتفجع والوصف مع سهولة في المعاني والالفاظ تقربها الى الافهام

٣٥٨ لابي البقاء صالح بن شريف الرنديّ يرثي الاندلس

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا ما تَمَّ نُقْصانُ ... فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ ٱلْعَيْشِ إِنْسانُ
هِيَ ٱلْأُمُورُ كَما شاهَدْتَها دُوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أَزْمانُ
وَهٰذِهِ ٱلدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلَا يَدُومُ عَلَى حالٍ لَها شانُ
يُمَزِّقُ ٱلدَّهْرُ حَتْماً كُلَّ سابِغَةٍ ... إِذا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وَخُرْصانُ
وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَناءِ وَلَوْ ... كانَ ٱبْنَ ذِي يَزَنٍ وَٱلْغِمْدُ غُمْدانُ
أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ذَوُو ٱلتِّيجانِ مِنْ يَمَنٍ ... وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكالِيلٌ وَتِيجانُ
وَأَيْنَ ما شادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَمٍ ... وَأَيْنَ ما شادَهُ فِي ٱلْفُرْسِ ساسانُ
وَأَيْنَ ما حازَهُ قارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ... وَأَيْنَ عادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطانُ
أَتَى عَلَى ٱلْكُلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ ... حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ ٱلْقَوْمَ ما كانُوا
وَصارَ ما كانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ ... كَما حَكَى عَنْ خَيالِ ٱلطَّيْفِ وَسْنانُ
دارَ ٱلزَّمانُ عَلَى دارا وَقاتِلَهُ ... وَأَمَّ كِسْرَى فَما آواهُ إِيوانُ

كَأَنَّما ٱلصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ ... يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ ٱلدُّنْيا سُلَيْمانُ

فَجائِعُ ٱلدَّهْرِ أَنْواعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَّمانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزانُ

وَلِلْحَوادِثِ سُلْوانٌ يُسَهِّلُها ... وَما لِمَا حَلَّ بِٱلْإِسْلامِ سُلْوانُ

دَهَى ٱلْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لا عَزاءَ لَهُ ... هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَٱنْهَدَّ ثَهْلانُ

أَصابَها ٱلْعَيْنُ فِي ٱلْإِسْلامِ فَٱرْتَزَأَتْ ... حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطارٌ وَبُلْدانُ

فَٱسْأَلْ بَلَنْسِيَةَ ما شَأْنُ مُرْسِيَةٍ ... وَأَيْنَ شاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ

وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ دارُ ٱلْعُلُومِ فَكَمْ ... مِنْ عالِمٍ قَدْ سَما فِيها لَهُ شانُ

وَأَيْنَ حِمْصٌ وَما تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ ... وَنَهْرُها ٱلْعَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَلْآنُ

قَواعِدٌ كُنَّ أَرْكانَ ٱلْبِلادِ فَما ... عَسَى ٱلْبَقاءُ إِذا لَمْ تَبْقَ أَرْكانُ

تَبْكِي ٱلْحَنِيفِيَّةُ ٱلْبَيْضاءُ مِنْ أَسَفٍ ... كَما بَكَى لِفِراقِ ٱلْإِلْفِ هَيْمانُ

عَلَى دِيارٍ مِنَ ٱلْإِسْلامِ خالِيَةٍ ... قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَها بِٱلْكُفْرِ عُمْرانُ

حَيْثُ ٱلْمَساجِدُ قَدْ صارَتْ كَنائِسَ ما ... فِيهِنَّ إِلَّا نَواقِيسٌ وَصُلْبانُ

حَتَّى ٱلْمَحارِيبُ تَبْكِي وَهْيَ جامِدَةٌ ... حَتَّى ٱلْمَنابِرُ تَرْثِي وَهْيَ عِيدانُ

يا غافِلًا وَلَهُ فِي ٱلدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ ... إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَٱلدَّهْرُ يَقْظانُ

وَماشِيًا مَرِحًا يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ ... أَبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ ٱلْمَرْءَ أَوْطانُ

تِلْكَ ٱلْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ ما تَقَدَّمَها ... وَما لَها مَعَ طُولِ ٱلدَّهْرِ نِسْيانُ

يا راكِبِينَ عِتاقَ ٱلْخَيْلِ ضامِرَةً ... كَأَنَّها فِي مَجالِ ٱلسَّبْقِ عُقْبانُ

وَحامِلِينَ سُيُوفَ ٱلْهِنْدِ مُرْهَفَةً ... كَأَنَّها فِي ظَلامِ ٱلنَّقْعِ نِيرانُ

وَراتِعِينَ وَراءَ ٱلْبَحْرِ فِي دَعَةٍ ... لَهُمْ بِأَوْطانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطانُ

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُسٍ ... فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ ٱلْقَوْمِ رُكْبَانُ

كَمْ يَسْتَغِيثُ صَنَادِيدُ ٱلرِّجَالِ وَهُمْ ... قَتْلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ

مَاذَا ٱلتَّقَاطُعُ فِي ٱلْإِسْلَامِ بَيْنَكُمُ ... وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ ٱللهِ إِخْوَانُ

أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ ... أَمَا عَلَى ٱلْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ

يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمِ ... أَحَالَ حَالَهُمُ جَوْرٌ وَطُغْيَانُ

بِٱلْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ ... وَٱلْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ ٱلْكُفْرِ عُبْدَانُ

فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ ... عَلَيْهِمِ مِنْ ثِيَابِ ٱلذُّلِّ أَلْوَانُ

وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمِ ... لَهَالَكَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ

يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٌ حِيلَ بَيْنَهُمَا ... كَمَا تُفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ

وَطِفْلَةٍ مِثْلِ حُسْنِ ٱلشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ ... كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمُرْجَانُ

يَقُودُهَا ٱلْعِلْجُ عِنْدَ ٱلسَّبْيِ مُكْرَهَةً ... وَٱلْعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَٱلْقَلْبُ حَيْرَانُ

لِمِثْلِ هٰذَا يَذُوبُ ٱلْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ ... إِنْ كَانَ فِي ٱلْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

الباب التاسع

في الحكايات

الهادي والخارجيّ

٣٥٩ ذكر صاحب السكّردان أنّ الهادي كان يومًا في بستان يتنزّه على حمار ولا سلاح معه . وبحضرته جماعة من خواصّه وأهل بيته . فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد وقد ظفر به بعض القوّاد . فأمر الهادي بإدخاله . فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه . فلمّا أبصر الخارجيّ الهادي جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادي . ففرّ كلّ من كان حوله وبقي وحده وهو ثابت على حماره . حتّى إذا دنا منه الخارجي وهمّ أن يعلوه بالسيف أومأ إلى وراء الخارجيّ وأوهمه أن غلامًا وراءه وقال : يا غلام اضرب عنقه . فظنّ الخارجيّ أن غلامًا وراءه . فالتفت الخارجي فنزل الهادي مسرعًا عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه . ثمّ عاد إلى ظهر حماره من فوره . والخدم ينظرون إليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياءً ورعبًا. فما عاتبهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة . ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم (اعلام الناس للاتليدي)

المنصور وابو عبد الله

٣٦٠ قال المنصور للرّبيع : عليّ بجعفر . قتلني الله إن لم أقتل أبا عبد الله . فلما مثل بين يديه حرّك شفتيه ثم قرب وسلّم . فقال : لا سلام الله عليك ياعدوّ الله تعمل عليّ الغوائل في ملكي . قتلني الله إن لم أقتلك . فقال : ياأمير المؤمنين انّ سليمان أُعطي فشكر . وانّ أيوب أُبتلي فصبر . وإنّ يوسف ظُلم فغفر . وأنت على أثرهم وأحقّ من تأسّى بهم . فنكس المنصور رأسه مليًّا ثم رفع رأسه وقال : إليّ أبا عبد الله فأنت القريب القرابة . وأنت ذو الرّحم الواشجة . والسليم النّاحية . القليل الغائلة . ثمّ صافحه بيمينه وعانقه بشماله . وأجلسه معه على فراشه وأقبل يسائله ويحادثه . ثمّ قال : عجّلوا لأبي عبد الله إذنه وجائزته وكسوته . فلما خرج أمسكه الربيع وقال له : رأيتك قد حرّكت شفتيك فانجلى الأمر وأنا خادم السلطان ولا غنى لي عنه فعلّمني إيّاه . فقال : نعم . قلت : اللّهمّ احرسني بعينك التي لا تنام . واكنفني بحفظك الذي لا يُرام . لا أهلك وأنت رجائي فكم من نعمة أنعمتها عليّ قلّ عندها شكري فلم تحرمني . وكم من بليّة أبتليت بها قلّ عندها صبري فلم تخذلني . اللّهمّ بك أدرأ في نحره وأعوذ بك من شرّه (للشريشي)

القاضي والنصراني المحسن

٣٦١ حُكي أنّ فقيراً جاء إلى قاضٍ في يوم عاشوراء وقال له : أعزّ

اللهُ القاضي إنّي رَجُلٌ فقيرٌ وذو عِيالٍ وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعاً بِهٰذا اليَوْمِ أَنْ تُعْطِيَني عَشَرَةَ أَمْنانٍ لحَماً وَدِرْهَمَيْنِ لأُشْبِعَ أَطْفالي في هذا اليَوْمِ وَلَكَ الجَزاءُ عَلَى اللهِ . فَوَعَدَهُ إلى الظُّهْرِ . فَلَمَّا جاءَ الظُّهْرُ عادَ إلَيْهِ . فَوَعَدَهُ إلى العَصْرِ . فَلَمَّا جاءَ العَصْرُ عادَ إلَيْهِ وَأَوْلادُهُ في مَنْزِلِهِ ذابَتْ أَكْبادُهُمْ مِنَ الجُوعِ فَوَعَدَهُ إلى المَغْرِبِ . فَعادَ إلَيْهِ عِنْدَ الغُروبِ . فَقالَ لَهُ : ما عِنْدي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ . فَرَجَعَ الفَقيرُ مُنْكَسِرَ القَلْبِ باكيَ العَيْنِ خائِفاً مِنْ أَطْفالِهِ كَيْفَ جَوابُهُ لَهُمْ . فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكي بِنَصْرانِيٍّ جالِسٍ عَلى بابِهِ . فَرَآهُ باكِياً فَقالَ لَهُ : ما بُكاؤُكَ يا هٰذا . فَقالَ لَهُ : لا تَسْأَلْ عَنْ حالي . فَقالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللهِ أَنْ تُعْلِمَني بِحالِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِحالِهِ مَعَ القاضي . فَقالَ لَهُ النَّصْرانِيُّ : ما هٰذا اليَوْمُ عِنْدَكُمْ . فَقالَ لَهُ : هُوَ يَوْمُ عاشُوراءَ . فَرَقَّ لَهُ النَّصْرانِيُّ وَأَعْطاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ مِنَ الخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَأَعْطاهُ عِشْرِينَ دِرْهَماً فَوْقَ الدِّرْهَمَيْنِ . فَقالَ لَهُ : خُذْ هٰذا وَهُوَ لَكَ وَلِعِيالِكَ عَلَيَّ في كُلِّ شَهْرٍ . فَذَهَبَ بِهِ الفَقيرُ لِأَطْفالِهِ فَرِحاً مَسْروراً . فَلَمَّا رَآهُ أَطْفالُهُ فَرِحُوا فَرَحاً شَديداً . ثُمَّ نادَوْا بِأَعْلَى أَصْواتِهِمْ : اللّٰهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنا السُّرُورَ فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الفَرَحَ عاجِلاً . فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ وَنامَ القاضي سَمِعَ هاتِفاً يَقُولُ لَهُ : اِرْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعَهُ وَإِذا هُوَ يَنْظُرُ قَصْرَيْنِ مَبْنِيَّيْنِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ . فَقالَ : إلٰهي لِمَنْ هٰذانِ القَصْرانِ . فَأُجيبَ أَنَّهُما كانا لَكَ لَوْ قَضَيْتَ حاجَةَ الفَقيرِ فَلَمَّا رَدَدْتَهُ صارا لِلنَّصْرانِيِّ فُلانٍ . فَانْتَبَهَ القاضي مَرْعُوباً يُنادي بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ .

ثُمَّ سَارَ الى النصراني وَقَالَ لَهُ: مَافَعَلْتَ البارِحةَ مِنَ الخَيْر. فَقَالَ لَهُ: ولِمَاذَا سُؤَالُكَ. فأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى. ثُمَّ قَالَ لَهُ: بِعْنِي هَذَا الجميل الذي فَعَلْتَهُ البارحة مَعَ الفقيرِ بمائةِ ألفِ دِرْهَم. فَقَالَ لَهُ النصراني: إني لا أبيعُ ذلكَ بِمِلْءِ الأرضِ ذَهَباً. فَرَحِمَ اللهُ ثراه وَجَعَلَ الجنَّةَ مَثْوَاهُ (للقليوبي)

اجارة معن لرجل استغاث به وكان المنصور قد اهدر دمه

٣٦٢ رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ المَنصُورَ أَهدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسعى بفساد دَولَتِه مَعَ الخَوارِجِ مِن أَهلِ الكوفة. وجعل لِمَن دَلَّ عَلَيهِ أَو جاءَ بِهِ مائةَ أَلفِ دِرْهَم. ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادْ. فَبَيْنَما هُوَ يَمْشِي مُخْتَفِياً فِي بَعْضِ نَواحِيها إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهلِ الكوفة فَعَرَفَهُ فَأَخَذَ بِمَجامِع ثِيابِهِ وقال: هٰذا بُغيَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينْ. فَبَيْنَما الرَّجُلُ عَلَى هٰذِهِ الحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَقْعَ حَوافِرِ الخَيْل. فَالْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بنُ زائِدَة. فَاسْتَغَاثَ بِهِ وقال له: أَجِرْنِي أَجارَكَ اللهُ. فَالْتَفَتَ مَعْنٌ الى الرَّجُلِ المُتَعَلِّقِ بِهِ وقال لَهُ: ما شَأْنُكَ وَهٰذا. فقال لَهُ: انه بُغْيَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الذي أَهدَرَ دَمَهُ وجعل لِمَنْ دَلَّ عَلَيهِ مائةَ أَلفِ دِرْهَم. فقال: دَعْهُ. وقال لِغُلامِهِ: انْزِلْ عَنْ دابَّتِكَ وَاحْمِلِ الرَّجُلَ عَلَيْها. فَصاحَ الرَّجُلُ المُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَاسْتَجارَ بِالنَّاسِ وقال: حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينْ. فقال لَهُ مَعْنٌ: إِذْهَبْ فَقُلْ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ عِنْدِي. فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلى المَنصُورِ فَأَخْبَرَهُ. فَأَمَرَ المَنصُورُ بِإِحضارِ مَعْنٍ فِي السَّاعَةْ. فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ المَنصُورِ إِلى مَعْنٍ

دعا جميع أهل بيته ومواليه وأولاده وأقاربه وحاشيته وجميع من يلوذ به وقال لهم: أقسم عليكم بأن لا يصل إلى هذا الرجل مكروه أبداً وفيكم عين نظرت . ثم إنه سار إلى المنصور فدخل وسلم عليه فلم يرد عليه المنصور السلام. ثم ان المنصور قال له : يامعن أتجرأ علي . قال: نعم ياأمير المؤمنين. فقال المنصور: ونعم أيضاً . وقد اشتد غضبه. فقال معن : يا أمير المؤمنين كم من مرة تقدم في دولتكم بلائي وحسن عنائي . وكم من مرة خاطرت بدمي . أفما رأيتموني أهلاً بأن يوهب لي رجل واحد استجار بي بين الناس بوهمه أني عبد من عبيد أمير المؤمنين وكذلك هو . فربما شئت هاأنا بين يديك . قال : فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن مابه من الغضب وقال له : قد أجرناه كه يامعن . فقال له معن : إن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين فيأمر له بصلة فيكون قد أحياه وأغناه . فقال المنصور : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم . فقال له معن : ياأمير المؤمنين إن صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية . وإن ذنب الرجل عظيم فأجزل صلته . قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم . فقال له معن : عجلها ياأمير المؤمنين فإن خير البر عاجله . فأمر بتعجيلها فحملها وانصرف وأتى منزله . وقال للرجل : يا رجل خذ صلتك والحق بأهلك وإياك ومخالفة الخلفاء في أمورهم بعد هذه   (للابشيهي)

الرشيد والدمشقي

٣٦٤ رُفع إلى هارون الرشيد أن رجلاً بدِمَشْق من بقايا بني أميَّة عظيم المال كثير الجاه مُطاع في البلد له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم . وأنه سَمْح جواد كثير البذل والضيافة وأنه لا يؤمَن منه . فعظم ذلك على الرشيد . قال منارة : وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة في بعض حِججه في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم . وقد بايع للأمين والمأمون والمعتصم أولاده فدعاني وهو خال . وقال : إني دعوتك لأمر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف يكون . ثم قصَّ عليَّ خبر الأمويّ وقال : اخرج الساعة فقد أعددت لك الخيول وأزحت علتك في الزاد والنفقة والآلة . وتضمُّ اليك مائة غلام واسلك البرّية وهذا كتابي الى نائب دمشق وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيّده وجئني به . وان عصى فتوكل عليه أنت ومن معك لئلا يهرب . وانفذ الكتاب الى أمير دمشق ليكون مساعداً واقبضا عليه وجئني به وأجّلتك لذهابك ستًّا ولايابك ستًّا ويوماً لمقامك . وهذا محمل تجعله في شِقَّة منه اذا قيَّدته وتقعد أنت في الشقة الأخرى . ولا تكل حفظه الى غيرك حتي تأتيني به في الثالث عشر يوماً من خروجك . فاذا دخلت داره فتفقَّدها وجميع مافيها من أهله وولده وغلمانه وقدّر نعمته والحالّ والمحالّ . واحفظ مايقوله الرجل حرفاً بحرف

من الفاظه منذ يقع طرفك عليه حتى تأتيني به واياك أن يشذّ عليك شيء من أمره انطلق

قال منارة : فودّعته وانطلقت وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوي المنازل أسير الليل والنهار الى أن وصلت الى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة . فكرهت طروقها ليلا فبتُّ بظاهر البلد الى ان فُتح بابها من غد فدخلت على هيئَتي ثم أتيت باب الرجل وعليه صفّ عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن . فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عنّي قال : هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم

(قال) فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلساً رأيت فيه قوما جلوساً فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحّبوا بي . فقلت : أفيكم فلان . قالوا : لا . نحن اولاده وهو في الحمّام . فقلت : استعجلوه . فمضى بعضهم يستعجله وأنا اتفقّد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت باهلها موجاً كثيراً . فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان اطال مُكثه . واسترَبتُ واشتدّ قلقي وخوفي من ان يتوارى الى ان رأيت شخصاً بزيّ الحمّام يمشي في صحن الدار وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان . وهم اولاده وغلمانه فقلت : انه الرجل . فجاء وجلس وسلّم عليّ سلاماً خفيفاً وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته

بما وجب . وما قضى كلامه حتى جاؤوا باطباق فاكهة فقال : تقدم يامنارة وكل معنا . فقلت : مالي الى ذلك من سبيل . فلم يعاودني فأكل هو ومن معه . ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤوا اليه بمائدة حسنة لم أَرَ مثلها الاَّ للخليفة . فقال : يامنارة ساعدنا على الاكل . لا يزيدني على ان يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة . فامتنعت عليه فما عاودني . فأكل ومن معه وكانوا تسعة من اولاده . فتأمَّلت اكله في نفسه فوجدته يأكل أكل الملوك . ووجدت ذلك الاضطراب الذي كان في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون شيئاً من بين يديه قد وضع على المائدة الا تهيَّأ غيره حالاً أعظم وأحسن منه . وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت الى الدار مالي وغلماني وعدلوا بهم الى دار أخرى . فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدي وليس بين يديَّ الاَّ خمسة أو ستَّة غلمان وقوف على رأَسي فقلت في نفسي : هذا جبَّار عنيد فإن امتنع من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا حِفظَه الا ان يلحقني أمير البلد . وجزعت جزعاً شديداً ورابني منه استخفافه وتهاونه بأمري . يدعوني باسمي ولا يفكّرُ في امتناعي من الاكل . ولا يسأَل عمَّا جئت به ويأكل مطمئنًّا وأنا مفكّرٌ في ذلك

فلما فرغ من اكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخَّر وقام الى الصلاة وصلَّى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال . ورأيت صلاته حسنة . فلما

انتقل من المحراب أقبل عليَّ وقال : ما أقدمك يامنارة . فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ودفعته اليه ففضَّه وقرأَه . فلما استتمَّ قراءَته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير . فلم أشكّ انه يريد أن يوقع بي . فلما تكاملوا ابتدأ يحلف ايمانًا غليظة فيها الطَّلاق والعِتاق والحجُّ والصدقة والوقف ان لايجتمع اثنان في موضع واحد . وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى ان يُكشف لهم أمر يعتمدون عليه وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين بالمُضيّ اليه ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة . واستوصوا بمن ورائي من الحريم خيراً . وما لي حاجة ان يصحبني أحد . هات قيودك يا منارة . فدعوت بها وكانت في سفط ومدّ يده فقيَّدته وأمرت غلماني بحمله حتى صار في المحمل وركبت في الشِّقّ الآخر وسرت من وقتي . ولم ألاق أمير البلد ولا غيره .

وسرت بالرجل وليس معه أحد الى ان صرنا بظاهر دمشق . فابتدأَ يحدّثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي : أَترى هذا . قلت نعم . قالَ : انه لي . وفيه من غرائب الاشجار كيت وكيت . ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك . ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى فقال مثل ذلك : هذا لي . فاشتدَّ غيظي منه . وقلت : ألستَ تعلم ان أمير المؤمنين أهمَّه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك فريداً مقيداً مغلولاً ما تدري الى ما يصير اليه

أمرك ولا كيف يكون . وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد ان جئتك وأنت لا تفكّر فيما جئت به . وأنت ساكن القلب قليل التفكّر لقد كنت عندي شيخاً فاضلاً . فقال لي مجيباً : إنا لله وإنا اليه راجعون . أخطأت فراستي فيك . لقد ظننت انك رجل كامل العقل وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحلّ إلاّ لما عرفوك . فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوامّ . والله المستعان . أمّا قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه إيّاي إلى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عزّ وجلّ الذي بيده ناصية أمير المؤمنين . ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعاً ولا ضرًّا إلا باذن الله عزّ وجل . ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه . وبعد فاذا عرف أمير المؤمنين أمري وعرف سلامتي وصلاح ناحيتي سرّحني مكرّماً فان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس فيّ . وتقوّلوا عليّ الأقاويل ولا يستحلّ دمي ويخرج من ايذائي وازعاجي . ويردّني مكرماً ويقيمني ببلاده معظّماً مبجّلاً . وان كان قد سبق في علم الله عز وجل أنه يبدو لي منه سوء وقد اقترب أجلي وكان سفك دمي على يده فاني أحسن الظنّ بالله الذي خلق ورزق وأحيا وأمات . وان الصبر والرضا والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة . وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ فهمك . فاني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرّق بيننا أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى

ثم أعرض عنّي فما سمعت منه لفظة غـير التسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الـكوفة في اليوم الثالث عشر بعـد الظهر والنجب قد استقبلتني قبل ستة فراسخ من الـكوفة يتجسّسون خبري . فحين رأوني رجعوا عني متقدّمين بالخبر الى أمير المؤمنين

فانتهيت الى الباب في آخر النهار فحططت رَحلي . ودخلت على الرشيد وقبلت الارض بين يديه و وقفت . فقال : هات ماعندك يا منارة وايّاك أن تغفل منـه عن لفظة واحدة . فسقت الحديث من أوّله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور وماحدّثتني به نفسي من امتناعه . والغضب يظهر في وجه أمـير المؤمنين و يتزايد . حتى انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة والتفاته اليّ وسؤاله عن سبب قدومي ودفعي الـكتاب اليـه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وأصحابه وحَلِفه عليهم أن لا يتبعه أحد وصرفه ايّاهم ومدّ يديه و رجليه فقيدته . فما زال وجه الرشيد يسفر : فلما انتهيت الى ماخاطبني به عند توبيخي له لما ركبنا في المحمل فقال : صدق والله ما هـذا الرجل إلا محسود على النعمة مكذوب عليه . ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه ورُعنا أهله . فبادر بنزع قيوده وأْتني به

قال : فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد . فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد . فدنا الاموي وسلّم

بالخلافة ووقف . فردّ عليه الرشيد ردّا جميلاً وأمره بالجلوس.فجلس وأقبل عليـه الرشيد فسأله عن حاله . ثم قال له : بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتـك . فأجاب الأمويّ جواباً جميلاً وشكر ودعا ثم قال:ليس لي عند أمير المؤمنين إلّا حاجة واحدة . فقال : مَقضيَّة فما هي . قال : ياأمير المؤمنين ردّني الى بلدي وأهلي ووُلْدي . قال : نفعل ذلك . ولـكن سل ماتحتاج اليـه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخرج الاّ ويحتاج الى شيءٍ من هذا . فقال : يا أمير المؤمنين عمّالك منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتي . فاموري مستقيمة وكذلك أهل بلدي بالعدل الشامل في ظلّ أمير المؤمنين . فقال الرشيد : انصرف محفوظاً الى بلدك واكتب الينا بأمر ان عرض لك فودَّعه الامويُّ . فلما ولىَّ خارجاً قال الرشيد : يامنارة احمله من وقتك وسر به راجعاً كما سيَّرته حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي أخذته منه فودّعه وانصرف . قال منارة : فما زلت معه حتى انتهى إلى محلّه ففرحت به أهله وأعطاني عطاءً جزيلاً وانصرفت

(للاتليدي)

استقامة رجل اشتُكي عليه ظلماً

٣٦٤ نُقِلَ عَنِ الرَّبيع حَاجِبِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ قالَ : مَا رَأَيْت رَجُلاً أَحْضَرَ جَنَاناً وَلا أَرْبطَ جَأْشاً مِنْ رجلٍ رُفِعَ إِلَى الْمَنْصُورِ عَلَى انْ

عنده ودائع وأموالاً لبني أُميَّة . فأمرني باحضاره فأحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور : قد رُفع الينا خبر الودائع والاموال التي عندك لبني أُميَّة فأخرجها لنا . فقال : يا أمير المؤمنين اوارث أنت لبني أُميَّة . قال : لا . قال : أأنت لهم وصيٌّ . قال : لا . فقال له الرجل : إذاً فما سبب سؤالك عمَّا في يدي من ذلك . فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال للرجل : ان بني أُميَّة ظلموا المسلمين في هذه الاموال وأنا وكيلهم في حقّهم فأريد ان آخذ أموالهم وأجعلها في بيت مالهم . فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين يلزم في ذلك إقامة البيّنة العادلة على ان الذي في يدي هو لبني أمية وانهم خانوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين . فان بني أُمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين . فعاد المنصور وأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه والتفت إلي وقال لي : يا ربيع ما وجب على الرجل عندنا شيء . ثم ان المنصور التفت الى الرجل وبشر به مبتسماً في وجهه وقال له : هل لك من حاجة فأقضيها لك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين حاجتي أن تنفذ كتابي على البريد الى أهلي في الشام ليسكنوا الى سلامتي فقد راعهم اشخاصي من عندهم . ثم أسألك حاجة أخرى يا أمير المؤمنين . فقال له : وما هي . فقال : أريد من كرم أمير المؤمنين أن يجمع بيني وبين من سعى بي عنده فوالله ماعندي لبني أمية شيء ولا في يدي مال ولا وديعة ولا في معرفتي ان لهم عند أحد شيئاً .

ولكنّي لما مثلت بين يديك وسألتني رأيت ماقلته أقرب الى الخلاص والنجاة . فالتفت أمير المؤمنين المنصور إلي وقال لي : يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به . قال الربيع : فأخذت الرجل وجمعته بالذي سعى به . فحين رآه الرجل قال : هذا غلامي ضرب على ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبقَ بها مني . فلما سمع المنصور ذلك هدّده وشدّد عليه وأمر بتعذيبه . فاقرّ عند ذلك الغلام بصدق كلام الرجل وأنه غلامه . وانه أخذ المال الذي ذكره مولاه وأبق به . وسعى بمولاه ليجري عليه أمر الله ويسلم هو من الوقوع في يده . فالتفت المنصور الى الرجل وقال : نسألك الصفح عنه . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين صفحت عن جُرمه وأبرأت ذمته من المال وأعطيته ثلاثة آلاف دينار أخرى . فقال المنصور : ما على مافعلت من الكرم مزيد . فقال : بلى يا أمير المؤمنين هو كلامك لي وعفوك عني . ثم استأذن وانصرف . وكان المنصور بعد ذلك يذكره ويتعجّب ويقول لي : ما رأيت قطُّ مثل هذا الرجل يا ربيعُ

(الاتليدي)

غيلان بن سلمة عند كسرى

٣٦٥ خرج أبو سفيان في جماعة من قريش يريدون العراق بتجارة . فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال لهم : إنا في مسيرنا هذا لعلى خطر من قدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا في القدوم عليه وليست بلاده لنا

بمُتَّجر . ولكن أيكم يذهب بالعَيْر فان أصيب فنحن براء من دمه وان غنم فله نصف الربح . فقال غَيْلان بن سَلَمَة : دعوني اذاً فأنا لها . فلما قدم بلاد كِسْرى تخلَّق ولبس ثوبين أصفرين . وشهر أمره وجلس بباب كسرى حتى أذن له فدخل عليه وبينهما شباك من ذهب . فخرج اليه التُّرجمان وقال له : يقول لك الملك : ما أدخلك بلادي بغير اذني . فقال : قل له :لست من أهل عداوة لك ولا أتيتك جاسوساً لضدّ من أضدادك . وانما جئت بتجارة تستمتع بها . فان أردتها فهي لك .وان لم تردها وأذنت في بيعها لرعيتك بعتها . وان لم تأذن في ذلك رددتها . (قال) فانه ليتكلم اذ سمع صوت كسرى فسجد . فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لِمَ سجدتَّ . فقال : سمعت صوتاً عالياً حيث لاينبغي لاحد أن يعلو صوته اجلالاً للملك فعلمت أنه لم يقدم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له . قال : فاستحسن كسرى مافعل وأمر له بمرفقة توضع تحته . فلما أتي بها رأى عليها صورة الملك فوضعها على رأسه فاستجهله كسرى واستحمقه . وقال للترجمان : قل له : انما بعثنا بهذه لتجلس عليها . قال : قد علمت ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها . ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسي لانه أشرف أعضائي وأكرمها عليَّ .فاستحسن فعله جداً . ثم قال له : ألك وُلْد . قال : نعم . قال : فأيّهم أحب اليك .

قال : الصغير حتى يكبر . والمريض حتى يبرأ . والغائب حتى يؤوب. فقال كسرى : زه . ما أدخلك عليّ ودلك على هذا القول والفعل الا حظك. فهذا فعل الحكماء وكلامهم وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم . فما غذاؤك . قال : خبز البُرّ . قال : هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر . ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه و بعث معه من الفرس من بنى له أطماً بالطائف فكان أول أطم بُني بها (للاصبهاني)

المأمون ورائي البرامكة

٣٦٦ قال خادم المأمون: طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه . فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً وسمّاهما لي أحدهما عليّ بن محمد والآخر دينار الخادم . واذهب مسرعاً لما أقول لك فانه بلغني أن شيخاً يحضر ليلاً الى آثار دور البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف . فامض أنت وعليّ ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجُدُر . فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتاً فأتوني به . (قال): فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسيّ جديد . واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسيّ وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات :

ولما رأيتُ السيف جندل جعفراً ونادى مُنادٍ للخليفة في يحي

بكَيتُ على الدنيا وزاد تأسُّفي عليهم وقلتُ الآن لا تنفعُ الدنيا

مع أبيات أطالها . فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له . أَجب أَمير المؤمنين. ففزع فزعاً شديداً وقال : دعوني حتى أُوصي بوصيَّة فإِني لا أُوقن بعدها بحياة . ثم تقدَّم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصيَّة وسلَّمها الى غلامه . ثم سرنا به

فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال حين رآه : مَن أنت وبِمَ استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم .قال الشيخ :يا أمير المؤمنين ان للبرامكة أيادي خطيرة عندي أَفتأْذن لي ان أحدّثك بحالي معهم . قال : قل . فقال : يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك . وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال . فلما ركبني الدين واحتجتُ الى بيع ما على رأسي ورؤُوس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه أشاروا عليَّ بالخروج الى البرامكة فخرجت من دِمَشق ومعي نيِّف وثلاثون رجلاً من أهلي ووُلْدي وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب . حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد . فدعوت ببعض ثياب كنت أعددتها لاستتر بها فلبستها وخرجت . وتركتهم جياعا لا شيءَ عندهم . ودخلت شوارع بغداد سائلاً عن البرامكة . فاذا أنا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ بأحسن زيّ وزينة . وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس . فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين أيديهم .

وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى والعرق يسيل منّي لانها لم تكن صناعتي . واذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم . فدخلوا دار يحي بن خالد فدخلت معهم واذا يحي جالس على دَكَّة له وسط بستان . فسلَّمنا وهو يعدُّنا مائة وواحداً . وبين يديه عشرة من ولده . واذا بمائة واثني عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينيَّة من فضة على كل صينية الف دينار . فوضعوا بين يدي كل رجل منَّا صينية . فرأيت القاضي والمشايخ يضعون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الأول فالاول حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية . فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمّي والصينية في يدي . وقمت وجعلت أتلفَّت الى وراءي مخافة ان أُمنع من الذهاب . فوصلت وأنا كذلك الى صحن الدار ويحي يلاحظني . فقال للخادم : ائتني بهذا الرجل . فأتاني . فقال : مالي أراك تتلفَّت يميناً وشمالاً . فقصصت عليه قصَّتي . فقال للخادم : ائتني بولدي موسى . فأتاه به . فقال له : يابُنيَّ هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك ونعمتك

فقبض موسى ولده على يدي وأدخلني الى دار من دوره . فاكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذّ عيش وأتمّ سرور . فلما أصبح دعا باخيه العبَّاس وقال له : الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمتَ اشتغالي في بيت أمير المؤمنين . فاقبضه اليك واكرمه . ففعل

ذلك واكرمني غاية الاكرام . ثم لما كان من الغد تسلَّمني أخوه احمد. ثم لم أزل في ايدي القوم يتداولوني على مدّة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أَفي الاموات هم أم في الاحياء . فلمَّا كان اليوم الحادي عشر جاءَني خادم ومعه جماعة من الخدم . فقالوا : قم فاخرج الى عيالك بسلام . فقلت : واويلاه سلبتُ الدنانير والصينيَّة وأخرج على هذه الحالة. إنَّا لِلهِ وإنَّا اليه راجعون . فرُفِع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع . فلما رفع الخادم الستر الاخير. قال لي : مهما كان لك من الحوائج فارفعها اليَّ . فاني مأمور بقَضاء جميع ما تأمرني به . فلما رفع الستر الاخير رأيت حُجْرة كالشمس حُسناً ونوراً . واستقبلني منها رائحة النَّدّ والعود ونفحات المسك . واذا بصبياني وعيالي يتقلَّبون في الحرير والديباج . وحمل اليَّ مِائة الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشوراً بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق. وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أَمن البرامكة أنا أم رجل غريب . فلما جاءَتهم البليَّة ونزل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مُسعِدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلها به . فلما تحامل عليَّ الدهر كنت في آخر الليل أقصِد خرابات دورهم فأندبهم وأذكر حسن صُنعهم اليَّ وأبكي على إحسانهم

فقال المأمون : عليّ بعمرو بن مُسعِدة فلما أُتي به قال له : تعرف هذا الرجل . قال : يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة . قال كم ألزمته في ضيعته . قال : كذا وكذا . فقال له : ردّ اليه كل ما أخذته منه في مدته وأفرغها له ليكونا له ولعقبه من بعده .(قال) فعلا نحيب الرجل. فلما رأى المأمون كثرة بُكائه قال له : ياهذا قد أحسنّا اليك فما يبكيك. قال : يا أمير المؤمنين وهذا أيضاً من صنيع البرامكة . لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتّصل خبري الى أمير المؤمنين ففعل بي ما فعل من أين كنت أصل الى أمير المؤمنين . قال ابراهيم بن ميمون : فرأيت المأمون وقد دَمَعت عيناه وظهر عليه حزنه . وقال : لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابكِ وإيّاهم فاشكرْ ولهم فاوفِ ولاحسانهم فاذكرْ (للاتليدي)

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٦٧ قيل : كان المنصور مُعجَباً بمحادثة محمد بن جعفر .ولعظم قدره كان الناس يفزعون اليه في الشفاعات .فثقُل ذلك على المنصور فحجبه مدّة. ثم لم يصبر عنه . فأمر الربيع أن يكلّمه في ذلك فكلّمه وقال : اعفُ أمير المؤمنين لا تثقّل عليه في الشفاعات . فقبل ذلك منه . فلما توجّه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه إيصالها الى المنصور . فقصّ عليهم القِصة فأبوا إلاّ أن يأخذها . فقال : اقذِفوها في كمّي . ثم

دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين . فقال له : أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله . فقال له : يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهنأك باتمام نعمته عليك فيما أعطاك . فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام أحصن ولا أحسن من مدينتك . ولكن سمجتها في عيني خصلة . قال : وما هي . قال : ليس لي فيها ضيعة . فتبسم وقال : قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها . فقال : لله درك يا أمير المؤمنين إنك شريف الموارد كريم المصادر . فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه . ثم أقام معه يومه ذلك . فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول : ارجعن خائبات خاسرات . فضحك المنصور وقال : بحقي عليك إلا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع . فأعلمه وقال : ما أتيت يا ابن معلم الخير إلا كريماً وتمثل بقول عبد الله بن معاوية :

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوماً على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها (للابشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما أداه لعجوز من فقراء رعيته

٣٦٨ ذكر في كتاب المغازي عن عبد الله بن العباس عن أبيه قال : خرجت ليلة حالكة قاصداً دار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

عنه . فما وصلت الى نِصف الطريق إلّا ورأَيت شخصاً أَعرابيًّا جذبني بثوبي وقال : الزَمْني ياعبّاس . فتأمّلت الأعرابيّ فاذا هو اميرالمؤمنين عمر وهو متنكّر . فتقدمت اليه وسلّمت عليه وقلت له: إلى اين يا امير المؤمنين قال : أُريد جَوْلة بين أحياء العرب في هذا الليل الدامس. وكانت ليلة قَرّ

فتبعته فسار وانا وراءه. وجعل يجول بين خيام الأعراب وبيوتهم ويتأمّلها إلى ان اتينا على جميعها واوشكنا ان نخرج منها . فنظرنا واذا هنالك خَيْمة وفيها امرأَة عجوز وحولها صِبْية يُعولون عليها ويبكون. وامامها أَثافيّ عليها قِدر وتحتها النار تشتعل . وهي تقول للصبية : رويداً رويداً بنيَّ قليلاً وينضَج الطعام فتأكلون . فوقفنا بعيداً من هنالك وجعل عمر يتأمل العجوز تارة وينظر الى الاولاد أخرى . فطال الوقوف . فقلت له : يا أمير المؤمنين ما الذي يوقفك بِسر بنا . فقال : والله لا أبرح حتى أراها قد صبّت للصبية فاكلوا واكتفوا . فوقفنا وقد طال وقوفنا جدًّا ومَللنا المكان خوفاً من ان تستريب بنا العيون . والصبية لا يزالون يصرخون ويبكون والعجوز تقول لهم مقالتها : رويداً رويداً بنيَّ قليلاً وينضج الطعام فتأكلون : فقال لي عمر : اُدخلْ بنا عندها لنسألها . فدخل ودخلت وراءه . فقال لها عمر : السلام عليك ياخالة . فردّت عليه السلام أحسن ردّ . فقال لها . ما بال هؤلاء الصبية يتصارخون ويبكون. فقالت له : لما هم فيه من الجوع . فقال لها : ولمَ لم تطعميهم ممّا في

القِدر . فقالت له : وما ذا في القدر لأُطعمهم ليس هو إلا عُلالة فقط الى أن يضجروا من العويل فيَغلبَهم النوم . وليس لي شيء لاطعمهم . فتقدّم عمر الى القدر ونظرها فاذا فيها حصباء وعليها الماء يغلي . فتعجّب من ذلك وقال لها : ما المُراد بذلك . فقالت : أُوهمهم أن فيها شيئاً يُطبَخ فيؤكل فاعلّلهم به حتى اذا ضجِروا وغلب النوم عيونهم ناموا . فقال لها عمر : ولماذا أنت هكذا . فقالت له : أنا مقطوعة لا أخ لي ولا أب ولا زوج ولا قرابة . فقال لها : لِمَ لم تعرضي أمرك على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فيجعل لك شيئاً من بيت المال . فقالت له : لا حيَّا الله عُمَر ونكَّس الله أعلامه واللهِ انه ظامني . فلما سمع عمر مقالتها ارتاع من ذلك وقال لها : يا خالة بماذا ظامك عمر بن الخطاب . قالت له : نعم والله ظامنا إن الراعي عليه أن يفتّش على حال كل من رعيّته لعلّه يوجد فيها من هو مثلي ضيّق اليد كثير الصبية ولا معين ولا مساعد له . فيتولّى لوازمه ويسمح له من بيت المال بما يقوته وعياله أو صبيته .فقال لها عمر : ومن أين يعلم عمر بحالك وما أنت به من الفاقة مع كثرة الصبية . كان يجب عليك أن تتقدمي وتعلميه بامرك. فقالت : لا والله ان الراعي الحُرّ يجب عليه ان يفتش على احتياجات رعيته خصوصاً وعموماً . فلعلَّ ذلك الشخص الفقير الحال الضيق اليد غلبه حياؤُه ومنعه من التقدُّم إلى راعيه ليعلمه بحاله . فعلى عمر السؤَال عن حال الفقراء في رعيَّته اكثر

من تقدُّم الفقير إلى مولاه لإعلامه بحاله . والراعي الحر اذا اهمل ذلك كان هذا ظلماً منه . وهذه سُنة الله ومن تعدَّاها فقد ظلم . فعند ذلك قال لها عمر : صدقت ياخالة ولكن علّي الصبية والساعة آتيك

ثم خرج وخرجت معه وكان قد بقي من الليل ثلثه الاخير . فمشينا والكلاب تنبحنا وانا اطرُدها واذبُّها عنّي وعنه الى ان انتهينا الى بيت الذخيرة . ففتحه وحده ودخل وامرني فدخلت معه . فنظر يميناً وشمالاً فعمَد الى كيس من الدقيق يحتوي على مائة رطل وينيف . فقال لي : ياعباس حوّل على كتفي فحمَّلته إيَّاه ثم قال لي : احمل انت هاتيك جرَّة السمن . واشار لي الى جرَّة هناك فحملتها وخرجنا واقفل الباب وسِرنا وقد انهار من الدقيق على لحيته وعينيه وجبينه . فمشينا الى ان انصفنا وقد اتعبه الحمل لان المكان كان بعيد المسافة . فعرضت نفسي عليه وقلت له : بأبي وأُمّي يا امير المؤمنين حوّل الكيس عنك ودعني احمله . فقال : لا والله انت لا تحمل عنّي جرائمي وظلمي يوم الدين . واعلم ياعباس ان حَمْل جبال الحديد وثِقلها خير من حمل ظلامة كَبُرت او صغُرت . ولا سيَّما هذه العجوز تعلّل اولادها بالحصى . يا له من ذنب عظيم عند الله . سر بنا واسرع ياعباس قبل ان تضجر الصبية من العويل فيناموا كما قالت . فسار واسرع وانا معه وهو يلهث لهث الثور من التعب الى ان وصلنا خيمة العجوز . فعند ذلك حوّل كيس الدقيق عن

كَتِفه ووضعتُ جرَّة السمن امامه . فتقدم هو بذاته واخذ القدر وكبَّ ما فيها ووضع فيها السمن وجعل بجانبه الدقيق . ثم نظر فاذا النار قد كادت تطفأ فقال للعجوز : أَعندكِ حَطَب . قالت : نعم يا ابني . واشارت له اليه . فقام وجاء بقليل منه وكان الحطب اخضر فوضع منه في النار ووضع القدر على الأَثافيّ . وجعل ينكّس رأْسه إلى الارض وينفُخ بفمه تحت القدر . فوالله اني رايت دخان الحطب يخرج من خلال لحيته وقد كنَس بها الارض اذ كان يطأْطئ رأْسه ليتمكَّن من النفخ . ولم يزل هكذا حتى اشتعلت النار وذاب السمن وابتدأَ غليانه . فجعل يحرّك السمن بعود في يده الواحدة ويخلط من الدقيق مع السمن في يده الاخرى الى ان أُنضج والصبية حوله يتصارخون

فلما طاب الطعام طلب من العجوز إناءً فأَتته به . فجعل يصبّ الطبيخ في الاناء وينفخه بفمه ليبرّده ويلقّم الصغار . ولم يزل يفعل هكذا معهم واحداً بعد واحد حتى أَتى جميعهم وشبِعوا واكتفوا . وقاموا يلعبون ويضحكون مع بعضهم الى ان غلب عليهم النوم فناموا . فالتفت عمر عند ذلك الى العجوز وقال لها : يا خالة أَنا من قرابة أَمير المؤمنين عمر وسأذكر له حالك . فائتيني غداً صباحاً في دار الإِمارة فتجديني هنالك فأَرجي خيراً . ثم ودَّعها عمر وخرج وخرجت معه فقال لي: ياعباس والله اني حين رأَيت العجوز تعلل صبيتها بحصى حَسست أَن الجبال قد

زُلزلت واستقرَّت على ظهري . حتى اذا جئْت بما جئْتُ وأَطعمتهم ما طبختُه لهم واكتفوا وجلسوا يلعبون ويضحكون حينئذٍ شعرت ان تلك الجبال قد سقطت عن ظهري . ثم اتى عمر داره وأَمرني فدخلت معه وبِتْنا ليلتنا . ولما كان الصباح أَتت العجوز فاستغفرها وجعل لها ولصبيتها راتباً من بيت المال تستوفيه شهراً فشهراً (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٦٩ حُكي عن مُعاوية أَنه لما ولي الخلافة وانتظمت اليه الامور . وامتلأَت منه الصدور . وأذعن لامره الجمهور . وساعده الله في مراده . استحضر ليلة خواصّ اصحابه وذاكرهم وقائع ايام صفّين . ومن كان يتولّى كِبَر الكريهة من المعروفين . فانهمكوا في القول الصحيح والمريض . وآل حديثهم الى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض . فقالوا : امرأَة من اهل الكوفة تُسمَّى الزرقاء بنت عديّ كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف . وترفع صوتها صارخة : يا اصحاب عليّ . تسمعهم كلاماً كالصوارم . مستحثَّة لهم بقول لو سمِعه الجبان لقاتل . والمدبر لأَقبل . والمسالم لحارب . والفارُّ لكرّ . والمتزلزل لاستقرّ . فقال لهم معاوية : أَيُّكم يحفظ كلامها . قالوا : كلنا نحفظه . قال : فما تشيرون عليّ فيها . قالوا : نشير بقتلها فانها اهل لذلك . فقال لهم معاوية : بئْس ما اشرتم به وقبحاً لما قلتم . أَيحسُن ان يشتهر عنّي انني بعد ما ظَفِرت

وقدَرت قتلت امرأَة قد وفت لصاحبها . اني اذاً للئيم . لا والله لا فعلت ذلك ابداً . ثم دعا بكاتبه فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة أَنْ : أَنفذ إليّ الزرقاء بنت عديّ مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها . ومهّد لها وطاً ليّناً ومركباً ذلولاً

فلما ورد عليه الكتاب ركِب اليها وقرأَه عليها . فقالت بعد قراءَة الكتاب : ما انا بزائغة عن الطاعة . فحملها في هَوْدج وجعل غشاءَه خزّاً مبطَّناً . ثم احسن صُحبتها . فلما قدِمت على معاوية قال لها : مرحباً واهلاً خير مَقدَم قدمه وافد . كيف حالك يا خالة وكيف رايتِ سيرك . قالت : خير مسير . فقال : هل تعلمين لِمَ بعثت اليك . قالت لا يعلم الغيب الاّ الله سبحانه وتعالى . قال : أَلست راكبة الجمل الاحمر يوم صِفّين . وانت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرّضين على القتال . قالت : نعم. قال: فما حملك على ذلك . قالت : يا أَمير المؤمنين إنه قد مات الرأْس وبَتِر الذنب . والدهر ذو غِيَر . ومن تفكر ابصر . والامر يحدُث بعده الامر. فقال : صدقتِ فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت . قالت : لا والله . قال : لِله أَبوك فلقد سمعتك تقولين : أَيُّها الناس ان المصباح لايضيُّ في الشمس . وان الكواكب لا تضيء مع القمر . وان البغل لا يسبُق الفرس . ولا يُقطَع الحديد الّا بالحديد . أَلا من استرشدَنا استرشدناه . ومن سأَلنا أَخبرناه . ان الحقّ كان يطلب ضالّة فأصابها . فصبرًا يامعشر

المهاجرين والانصار . فكأنكم وقد التأم شَمْل الشتّات وظهرت كلمة العدل وغلَب الحقُّ باطله . فإنه لا يستوي المحقُّ والمبطل . أَفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً . لا يستوُون . فالنِزالَ النزال والصبر الصبر . أَلا وإن خِضاب النساء الحِنَّاء . وخضاب الرجال الدماء . والصبر خير الامور عاقبة . إئتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده . يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك . قالت : لقد كان ذلك . قال لقد شاركت عليًّا في كل دم سفكه . فقالت : أحسن الله بِشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك. مثلك من يبشّر بخير ويسُرُّ جليسه . فقال معاوية: أَوَقد سرَّكِ ذلك . قالت نعم والله لقد سرني قولك وأَنّى لي بتصديقه . فقال لها معاوية : والله لَوفاؤُكم له بعد موته أَحَبّ إليَّ من حبّكم له في حياته فاذكري حوائجك تقْضَ . فقالت : يا أمير المؤمنين إني آليت على نفسي أَن لا اسأَل احداً بعد عليّ حاجة . فقال : قد اشار عليَّ بعض من عرفك بقتلك . فقالت : لؤم من المشير . ولو أَطعته لشاركته . قال : كلاَّ بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاكِ . فقالت : يا امير المؤمنين كَرَم منك. ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمَّن اساءَ واعطى من غير مسأَلة . فاعطاها كسوة ودراهم وأَقطعها ضيعة تُغلُّ لها في كل سنة عشرة آلاف درهم . وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والي الكوفة بالوصيَّة بها وبعشيرتها

(للابشيهي)

رجلان كريمان حصلا على الامارة بكرمهما

٣٧٠ كان في أيام خِلافة سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خُزَيمة بن بِشْر من بني أسد مشهور بالمُرُوَّة والكرم والمؤاساة . وكانت نعمته وافرة . فلم يزل على تلك الحالة من الكرم حتى احتاج الى اخوانه الذين كان يؤاسيهم ويتفضّل عليهم . فآسوه حيناً ثم انهم ملّوه.فلما لاح منهم ذلك أتى امرأته وكانت ابنة عمّه . فقال لها : يا ابنة العمّ رأيت من اخواني تغيّرًا عمّا عهدت منهم . وقد عزمت على لزوم بيتي الى ان يأتيني الموت . ثم انه اغلق بابه وأقام يتقوّت بما عنده حتى نفد جميعه وبقي حائرًا في أمره

وكان يومئذ عِكْرِمة الفيّاض والياً على الجزيرة . فبينما هو جالس في ديوانه وعنده جماعة من اهل البلد من معارفه اذ جرى ذكر خزيمة بن بشر . فسألهم عكرمة عن حاله فقالوا له : انه في أشقى حال من الفقر وقد أغلق بابه ولزم بيته . فقال عكرمة الفياض : أفما وجد خزيمةِ بن بشر مؤاسياً أو مكافياً . فقالوا له : لا . فامسك عكرمة عن ذلك . وكان عكرمة في الكرم بالمنزلة العظيمة وقد سُمّي الفياض لزيادة كرمه وجوده . ثم ان عكرمة انتظر الى ان دخل الليل فعمد الى اربعة آلاف دينار فجعلها في كيس وأمر باسراج دابّته . فركبها وخرج سرًّا من عند اهله وسار ومعه غلام واحد يحمل المال . وكان الليل قد انصف . فلم يزل سائرًا حتى

وقف على باب خزيمة فنزل عن دابّته بعيداً عن الباب وسلّمها الى غلامه وأخذ منه الكيس وأتى به وحده الى الباب وقرعه . فخرج خزيمة فقال له عكرمة وقد نكّر صوته : خذ هذا أصلحْ به شأنك . فتناوله خزيمة فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على ذيل عكرمة وقال له : اخبرني من انت جُعلت فِداك . فقال له عكرمة : ماجئتك في مثل هذا الوقت وأريد ان تعرفني . فقال له خزيمة : والله لا أقبله إلّا تخبرني من انت . فقال له عكرمة : لا والله . وانصرف

فدخل خزيمة بالكيس إلى امرأته وقال لها : أبشري فقد أتى الله بالفرج فقومي اسرجي . فقالت لا سبيل الى السراج لانه ليس لنا زيت . فبات خزيمة يلمس الكيس فيجد خشونة الدنانير . ولما رجع عكرمة الى منزله سألته امرأته فيمَ خرج بعد هدأَة من الليل منفرداً . فأجابها : ما كنت لاخرج في وقت كذا وأريد أن يعلم أحد بما خرجت إليه إلّا الله فقط . فقالت له : لا بدَّ لي ان اعلم ذلك وصاحت وناحت وألحَّت عليه بالطلب . فلما رأى انه ليس له بدٌّ قال لها : أخبرك بالامر فا كتميه اذاً . قالت له : قل ولا تُبالِ بذلك . فاخبرها بالقصَّة على وجهها

أمّا ما كان من خزيمة فانه لما أصبح صالح غُرماءه وأصلح شأنه وتجهّز للسفر يريد الخليفة سليمان بن عبد الملك . فدخل الحاجب وأخبر سليمان بوصول خزيمة بن بشر . وكان سليمان يعرفه جيداً بالمروَّة والكرم

فاذن له . فلما دخل خزيمة وسلَّم عليه بالخلافة قال له سليمان : يا خزيمة ما أَبطأَك عنَّا . قال : سوءُ الحال يا أمير المؤمنين . قال فما منعك النهضة الينا . قال خزيمة : ضُعفي يا أمير المؤمنين وقلة ما بيدي . قال : فمن انهضك الآن . قال خزيمة : لم أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأَة من الليل إلا والباب يُطرَق فخرجت فرأَيت شخصاً وكان منه كيت وكيت . وأخبره بقِصتّه من أوّلها الى آخرها . فقال له : أما عرفته . فقال خزيمة : ما سمعت منه يا أمير المؤمنين الا حين سألته عن اسمه قال : أنا جابر عثرات الكرام . قال : فتلهّف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال : لو عرفناه لكافيناه على مروءته . ثم قال : عليّ بالكاتب فحضر اليه . فكتب لخزيمة الولاية على الجزيرة وجميع عمل عكرمة وأجزل له العطاء وأحسن ضيافته . وأمره بالتوجُّه من وقته الى الولاية فقبَّل الارض خزيمة وتوجّه من ساعته الى الجزيرة

فلما قرب منها خرج عكرمة وكان قد بلغه عزله وأقبل لملاقاة خزيمة مع جميع اعيان البلد . وسلموا عليه وساروا جميعاً الى ان دخلوا به البلد . فنزل خزيمة في دار الامارة وأمر أن يؤْخذ عكرمة ويحاسَب . فحوسب ففضَل عليه مال كثير فطلبه خزيمة منه . فقال له عكرمة : والله ما إلى درهم منه سبيل ولا عندي منه دينار . فأمر خزيمة بحبسه وأرسل يطالبه بالمال . فأرسل عكرمة يقول له : اني لست ممَّن يصون

ماله بعرضه فاصنع ماشئت . فأمر خزيمة بقيده وضربه . فكُبّل بالحديد وضُرب وضُيّق عليه . فأقام كذلك شهراً فأضناه ذلك وأضرَّ به فبلغ امرأته ضُرّه فجزعت عليه واغتمّت لذلك غمًّا شديداً . فدعت جارية لها ذات عقل وقالت لها: امضي الساعة الى باب خزيمة وقولي للحاجب : ان عندي نصيحة للامير . فاذا طلبها منك فقولي : لا أقولها الّا للامير خزيمة. فاذا دخلت عليه فسليه الخلوة فاذا فعل فقولي له : ما كان هذا جزاءَ جابر عثرات الكرام منك بمكافأَتك له بالضيق والحبس والحديد ثم بالضرب . قال : ففعلت جاريتها ذلك . فلما سمع خزيمة قولها قال : واسوءَتاه جابر عثرات الكرام غريمي . قالت : نعم

فأمر لوقته بدابته فأسرجت وركب الى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم الى باب الحبس . ففتحه ودخل فرأى عكرمة الفياض في قاع الحبس متغيّرًا قد أضناه الضُّرُّ . فلما نظر عكرمة الى خزيمة ووجوه أهل البلد معه أحشمه ذلك فنكس رأسه . فأقبل خزيمة وأكب على رأسه فقبله . فرفع عكرمة رأسه وقال : ما أعقب هذا منك . قال خزيمة : كريم فعالك وسوءُ مكافأَتي . فقال له عكرمة : يغفر الله لنا ولك . ثم ان خزيمة أمر بقيوده ان تُفكّ وأن توضع في رجليه نفسه . فقال له عكرمة : ما مرادك بذلك . قال : مرادي ان ينالني من الضرّ ما نالك . فقال له عكرمة : أقسم عليك بالله أن لا تفعل .وبعد

ذلك خرجا جميعاً وجاءا الى دار خزيمة فودّعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكّنه من ذلك

ثم أمر خزيمة بالحمَّام فأخلي ودخلا جميعاً. وقام خزيمة نفسه فتولّى خدمة عكرمة . ثم خرج فخلع عليه وحمل اليه مالاً كثيراً وسألَه أن يسير معه الى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ مقيماً في الرملة . فسار معه حتى قدما على سليمان. فدخل الحاجب وأخبره بقدوم خزيمة بن بشر . فراعه ذلك وقال في نفسه : والي الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا مع قرب العهد به . ما هذا الا لحادث عظيم . فلما دخل عليه قال : ما وراءك يا خزيمة . قال : خير يا أمير المؤمنين انّي ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت ان أسرّك لما رأَيت من شوقك الى رؤْيته . قال : ومن هو . قال : عكرمة الفياض . فأذن له في الدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحّب به وأدناه من مجلسه وقال له : يا عكرمة قد كان خيرُك له وبالاً عليك .ثم ان الخليفة قال له : اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة . فكتبها فقضيت على أتمّ وجه .ثم أمر له بعشرة آلاف دينار وأضاف له شيئاً كثيرًا من التُّحف والظرف وولاَّه على الجزيرة وأرمينية وأَذْرَبيجان وقال له : أمر خزيمة بيدك إن شئت أبقيته وان شئت عزلته . قال : بل رُدَّه الى عمله مكرَّماً يا أمير المؤمنين . ثم انهما انصرفا جميعاً ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته

(ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣٧١ قيل ان الحجّاج بن يوسف أخذ يزيد بن المهلّب بن أبي صُفْرَة وعذّبه واستأصله واستأصل موجوده وسجنه .فاحتال يزيد بحسن تلطُّفه وأرغب السجّان واستماله . وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك . وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك . فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك اكرمه وأحسن اليه وأقام عنده . فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين . وأمير المؤمنين أعلى رأْيًا . فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان : يا أمير المؤمنين اني أجرت يزيد بن المهلب لانه هو وأباه واخوته احبَّاء لنا من عهد أبينا . ولم أجر عدوًّا لامير المؤمنين . وقد كان الحجاج عذَّبه وغرّمه دراهم كثيرة ظلماً. ثم طلب منه بعدها مثل ماطلب أوّلًا . فان رأَى أمير المؤمنين أن لايخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم

فكتب اليه الوليد: انه لا بد من ان ترسل إليّ يزيد مقيَّدًا مغلولاً . فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيُّوب فقيَّده . ثم دعا بيزيد بن المهلب وقيَّده . ثم شدّ قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلَّهما جميعاً بغِلَّين وحملهما الى أخيه الوليد وكتب اليه : أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجَّهت

اليك يزيد وابن أخيك ايُّوب بن سليمان . وقد هممت ان اكون ثالثهما . فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأْ بقتل أيوب . ثم اجعل يزيد ثانياً . واجعلني ان شئت ثالثاً والسلام

فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان على الوليد وهما في سلسلة أطرق الوليد استحياءً وقال : لقد اسأْ نا الى أبي ايُّوب اذ بلغنا به هذا المبلغ . فأخذ يزيد يتكلم ويحتجّ لنفسه . فقال له الوليد : ما نحتاج ما نحتاج الى الكلام قد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج . ثم استحضر حدَّادًا فأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين الف درهم وردَّهما الى سليمان . وكتب كتاباً للحجاج مضمونه : لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم . فسار يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك . وأقام عنده في أعلى المراتب وأفضل المنازل

(للابشيهي)

عفو كريم واحسانه الى من قتل أباه

٣٧٢ حُكي انه لما أفضت الخلافة إلى بني العبَّاس اختفت منهم جميع رجال بني أُمَيَّة وكان منهم ابرهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان ابراهيم هذا رجلاً عالماً كاملاً أديباً وهو مع ذلك في سن الشبيبة فأخذوا له أماناً من السفَّاح فاعطاه أبو العباس السفاح أماناً وأكرمه وقال له :

الزَمْ مجلسي. فذات يوم قال له ابو العباس السفاح : يا ابراهيم حدّثني عمّا مرَّ بك في استخفائك من العدوّ . فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين . كنت مختفياً في الحِيرة بمنزل في شارع على الصحراء فبينما كنت يوماً على ظهر ذلك البيت اذ بصُرت باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحِيرة . فتخيّلت انها تريدني فخرجت مسرعاً من الدار متنكراً حتى أتيت الكوفة وأنا لا أعرف أحداً أختفي عنده فبقيت في حَيرة . فنظرت واذا أنا بباب كبير واسع الرحَبة فدخلت فيه . فرأيت رجلاً وسيماً حسن الهيئة مقبلا على الرحبة ومعه أتباعه فنزل عن فرسه والتفت فرآني فقال لي : من أنت وما حاجتك . فقلت : رجل خائف على دمه وجاء يستجير في منزلك . فأدخلني منزله وصيَّرني في حجرة تلي حَرَمه وكنت عنده في كل ما أُحبّه من طعام وشراب ولباس وهو لا يسألني عن شيءٍ من حالي إلا أنه كان يركب في كل يوم من الفجر ويمضي ولا يرجِع إلاَّ قريب الظهر.فقلت له يوماً. أراك تُدمن الركوب كل يوم ففيمَ ذلك . فقال لي : ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك كان قد قتل أبي ظلماً وقد بلغني انه مختفٍ في الحيرة فأنا أطلبه يوميًّا لعلّي أجده وأدرك منه ثاري

(قال) فلما سمعت ذلك يا أمير المؤمنين كثُر تعجُّبي وقلت في نفسي : ان القَدَر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي . فوالله

يا أمير المؤمنين اني كرهت الحياة . ثم اني سألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فأخبرني فعلمت أن كلامه حق واني أنا الذي قتل أباه . فقلت له : يا هذا إنه قد وجب عليَّ حقّك ولمعروفك لي يلزمني ان أدلَّك على خصمك الذي قتل أباك وأُقرّب عليك الخُطوَة . فقال : وما ذاك . فقلت له : أنا ابراهيم بن عبد الملك وأنا قاتل أبيك فخُذْ بثارك . فتبسم مني وقال: هل أضجرك الاختفاء والبعد عن منزلك وأهلك فأحببت الموت . فقلت : لا والله ولكني اقول لك الحقَّ واني قتلته في يوم كذا من أجل كذا . فلما سمع الرجل كلامي هذا وعلم صدقي تغيَّر لونه واحمرَّت عيناه ثم فكّر طويلا والتفت إليَّ وقال : أما أنت فسوف تلقى أبي عند حاكم عادل فيأخذ بثاره منك وأما أنا فلا أخفِر ذمَّتي ولكني أريد أن تخرج عني فإنّي لست آمن عليك من نفسي . ثم انه أعطاني الف دينار فأبيت أخذها وانصرفت عنه : فهذا يا أمير المؤمنين اكرم رجل رأيته وسمعت عنه في عمري بعد أمير المؤمنين (للاتليدي)

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣٧٣ حدَّث ابراهيم الموصلي قال : كان المَهديُّ لا يشرب الخمر فأرادني على ملازمته وترك الشرب فأبيت فحبسني . ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي الخمر في منازل الناس وقال: لا تدخل على موسى وهارون البتَّة . ولَئِن دخلت عليهما لأفعلنَّ بك ولأصنعنَّ . فقلت : نعم . ثم بلغه أني

دخلت عليهما في نُزهة لهما . فسُعي بهما وبي الى المهدي .فدعاني فسأَلني فانكرت . فأمر بي فجرّدت فضربت ثلاثمائة وستين سَوْطاً . فقلت له وهو يضربني : ان جُرمي ليس من الاجرام التي يحلّ لك بها سفك دمي . فاما قلت له هذا : ضربني بالسيف في جفنه فشجني به . وسقطت مغشيًّا عليّ ساعة . ثم فتحت عينيَّ فوقعتا على عيني المهديّ . فرأيتهما عينَي نادم. وقال لابن مالك : خذه اليك

قال : فأخرجني الى داره وانا ارى الدنيا في عيني صفراء وخضراء من حرّ السوط . وأمره أن يتّخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيّرني فيه . فدعا بكبش وسلخه . فألبسني جلده ليسكّن الضرب . ودفعني الى خادمة له فصيرتني في ذلك القبر . فتأذّيت بالنزّ وبالبقّ في ذلك القبر . وكان فيه خلاء أستريح اليه فقلت للأمة : اطلبي لي أجرّة عليها فحم وكُنْدُر يذهب عنّي هذا البقّ . فأتتني بذلك . فلما دخّنت اظلم القبر عليّ وكادت نفسي تخرج من الغم . فاسترحت من اذاه الى النزّ فالصقت به انفي حتى خفّ الدخان . فلما ظننت اني قد استرحت ممّا كنت فيه اذا حيّتان مقبلتان تحوي من شقّ القبر تدوران حولي بحفيف شديد . فهممت ان آخذ واحدة بيدي اليمنى والاخرى بيدي اليسرى فإمّا عليَّ وإمّا لي . ثم كُفيتُهما فدخلتا من الثقب الذي خرجتا منه . فمكثت في ذلك القبر ما شاءَ الله وقلت في الحبس :

أَلَا طالَ لَيْلِي أُراعِي ٱلنُّجُومَ   أُعالِجُ في ٱلسَّاقِ كَبْلًا ثَقِيلَا
بِدارِ ٱلْهَوانِ وَشَرِّ ٱلدِّيارِ   أُسامُ بِهَا ٱلْخَسْفَ صَبْرًا جَمِيلَا
كَثِيرُ ٱلْأَخِلَّاءِ عِنْدَ ٱلرَّخاءِ   فَلَمَّا حُبِسْتُ أَراهُمْ قَلِيلَا
لِطُولِ بَلائِيَ مَلَّ ٱلصَّدِيقُ   فَلا يَأْمَنَنَّ خَلِيلٌ خَلِيلَا

ثم أخرجني المهدي وأحلفني (بكل يمين لا فسحة لي فيها) أن لا أدخل على موسى وهارون أبداً ولا أُغنّيهما وخلّى سبيلي   (الاغاني)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣٧٤ حدَّث الشَّيبانيُّ قال : جلس المأمون يوماً للمظالم . فكان آخر من تقدّم اليه وقد همَّ بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثّة . فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون الى يحيى بن اكثم فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أَمة الله تكلّمي في حاجتك . فقالت :

يا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى لَهُ ٱلرَّشَدُ   وَيا إِمامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ ٱلْبَلَدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ ٱلْقَوْمِ أَرْمَلَةٌ   عَدَا عَلَيْها فَلَمْ يُتْرَكْ لَها سَبَدُ
وَٱبْتَزَّ مِنِّي ضِياعِي بَعْدَ مَنْعَتِها   ظُلْمًا وَفُرِّقَ مِنِّي ٱلْأَهْلُ وَٱلْوَلَدُ

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

فِي دُونِ ما قُلْتِ زالَ ٱلصَّبْرُ وَٱلْجَلَدُ   عَنِّي وَقُرِّحَ مِنِّي ٱلْقَلْبُ وَٱلْكَبِدُ
هٰذا أَذانُ صَلاةِ ٱلْعَصْرِ فَٱنْصَرِفِي   وَأَحْضِرِي ٱلْخَصْمَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي أَعِدُ

وَٱلْمَجْلِسُ ٱلسَّبْتُ إِنْ يَقْضَ ٱلْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفْكِ مِنْهُ وَإِلاَّ ٱلْمَجْلِسُ ٱلْأَحَدُ

فلما كان اليوم الاحد جلس فكان اوّل من تقدم اليه تلك المرأة . فقالت السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليكِ السلام اين الخصم . فقالت : الواقف على رأسك يا امير المؤمنين. واومأت الى العبّاس ابنه . فقال : يا احمد بن ابي خالد خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم . فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها احمد بن ابي خالد : يا أَمَةَ الله انك بين يدي امير المؤمنين . وانك تكلمين الامير فاخفضي من صوتك . فقال المأمون : دعها يا احمد فإِن الحقَّ انطقها واخرسه . ثم قضى لها بردّ ضيعتها اليها . وظلّم العباس بظُلمه لها . وامر بالكتاب لها الى العامل ببلدها ان يُوغر لها ضيعتها ويحسن معاونتها وامر لها بنفقة (لابن عبد ربه)

قصة رجل أجار رجلا استغاث به وكان خائفا على دمه فجوزي على احسانه

٣٧٥ حكى العباس حاجب المنصور قال : لما ملك العبّاس السفّاح البلاد من بني أُميَّة واستولى على الخلافة قطع آثار بني أمية من جميع البلاد . فبعد مدَّة قليلة تراجع المتعصبون لبني أمية واثاروا فتنة عظيمة في الشام . وكان ذلك بعد موت أمير المؤمنين العباس السفاح وتولية الخلافة لاخيه أبي جعفر المنصور . فقام الامويُّون على العباسيّين وقتلوا جميع من وقع منهم في ايديهم . وبلغني الخبر وانا ماشٍ في شارع

وماض لابتاع شيئاً انهم طلبوني وادركوني . فهربت ودخلت داراً وجدتُ بابها مفتوحاً فلقيت في ساحتها شيخاً مهيباً جالساً فقال . من الرجل . فقلت : خائف على دمه وقد ادركه الطلب . فقال : مرحباً لا بأس عليك ادخل هذه المقصورة . وأشار لي الى باب فدخلته ومضى مسرعاً واقفل الباب ودخل حرمه واتاني من ثيابهنَّ وقال لي : قم اشلح ما عليك والبَس هذه الثياب لاني رأيت الطلبَ عليك شديداً. فلبست ثياب النساء ثم ادخلني الى مقصورة حرمه وجعاني بينهنَّ

فما لبثت قليلاً حتى طرق باب الدار وقد حضرت الرجال في طلبي . فدخل الرجل عنـدي وقال لي : لاتخف بل كن مستقرًّا في حرمي . ثم نزل وفتح الباب للناس فطلبوني منه فأنكرني وقال : انه لم يرني . فقالوا له : نفتش بيتك فقال لهم : دونكم فلكم ذلك. فدخل القوم وفتشوا جميع دار الرجل الا المقصورة التي فيها حرمـه فلم يجدوا شيئاً . فذهبوا واقفل الرجل باب داره ودخل عليّ وقال: الحمد لله على سلامتك وجعل لا يبرح من تأنيسي ومجالستي واكرامي مدة ثلاثة ايام . فقلت له يوماً : يا مولاي لقد طال مقامي وانا اريد اللحاق بوليّ نعمتي. فقال أمَّا اذا شئت فاهض معافى. ثم انه احضر لي زاداً كثيراً وركوبة واعطاني صرَّة فيها خمسمائة دينار وقال لي : كل احتياج سفرك معدٌّ إلَّا انني اخاف عليك ان تمضي وتخرج من المدينة نهاراً فتُعرَف فامهلْ الى بعد الغروب قبل قفل ابواب

المدينة . فقلت له : ان الرأي رأيك . فصبرت الى ان اظلمت ثم قمت وقام معي واخرجني من باب الشام وسار معي مسافة طويلة فاقسمت عليه ان لا يزيد على ذلك . فودّعني ورجع وسرت شاكراً للرجل ومتعجباً من غزارة احسانه الى ان بلغت بغداد ولحقت بابي جعفر المنصور .

فذات يوم لما قمت صباحا على عادتي الفجر العميق وخرجت من داري قاصداً دار امير المؤمنين المنصور وجدت رسوله في الطريق وهو آت من عنده يدعوني له . فانطلقت مسرعاً الى ان دخلت عليه فنظر إليَّ وقال لي : يا عباس . فقلت لبيّك يا امير المؤمنين . قال خذ هذا الرجل واحتفظ به وغداً ائتني به واعلم انه ان فقد منك فلا ارضى الا بعنقك . فقلت سمعاً وطاعة يا امير المؤمنين . فنظرت فوجدت امامه في ناحية المكان شيخاً مقيّدًا في عنقه ويديه ورجليه فأخذته وخرجت به فأركبته واتيت به الى بيتي . ولكثرة حرصي عليه من اجل وصيّة المنصور لي دعوت غلماني وامرتهم ففرشوا لنا مقصورة واجلست الرجل فيها وجلست الى جانبه ووضعت طرف قيده في رجلي وطبّقت عليها . كل ذلك حرصاً على الرجل لئلّا يهرب فيروح عنقي . فلما مضى النهار وجاء المغرب امرت غلماني فجاؤا بالمائدة وعليها الطعام والشراب . فجلست انا والرجل فأكلنا ثم غسّلنا ايدينا وجلسنا وقد ضجرت من السكوت لأن الرجل مهموم ويفكّر في شأنه فسألته من اين هو . فقال : من الشام . فقلت :

اتعرف فلاناً الفلانيّ في الشام . فقال : ما احد اعرف به منّي لماذا تسأل عنه . فقلت له : لأني اسير معروفه وعبد احسانه . واخبرته بما عمله معي في زمان فتنـة الشام . فتبسّم الرجل فلما تبسم تفرّست فيه فاذا هو هو . فطار عقلي من رأسي فرحاً به فجعلت اسأله الى ان تحققته فقمت حينئذ وكسّرت اقفال قيوده وهو يمتنع من ذلك . ثم امرت الغلمان فأحضروا له ثياباً فأبى لبسها فأقسمت عليه فلبسها . ثم قال لي : ما مرادك ان تعمل بي . قلت : والله أُنقذك حتى تصير بعيداً عن بغداد بمراحل وتذهب في حال سبيلك .فقال:اسمع هذا ليس هو الرأي الصائب لأنك اذا مضيت الى امير المؤمنين بدوني يغضب عليك فيقتلك وانا معاذَ اللهِ ان اشتري سلامتي بموتك فهذا لا يمكن . فقلت له : وما ذنبك انت عند امير المؤمنين . فقال : اتَّهموني زوراً بأني انا الذي حرّكت الفتن في الشام وان لبني أُميَّة عندي ودائع . فقلت : حيث ان هذا فقط جرمك والله اني أُهرّبك وانا لاأُبالي من امير المؤمنين أَقَتلني او عفاعنّي . فان احسانك السالف عليّ عظيم جدًّا . فقال لي : لا تظنّ اني اطاوعك على ذلك ولكن عندي رأي اصوب وهو : دعني محفوظاً في مكان وامضِ قلْ لأمير المؤمنين ما شئت من هربي . فان عفا عنك فعد اليّ واطلقني فأهرب وان امر بقتلك فعند ذلك اكون انا في امرك فتحضرني وتفتدي نفسك . وعدا هذا لا ارتضي معك بشيء

(قال) فاما رأَيت الرجل أَبى إلّا هذا وضعته في مقصورة خفيّة في داري واصبحت وابكرت الى دار الخلافة. فدخلت فوجدت المنصور جالساً ينتظرني . فاما رآني وحدي قام عرق الغضب بين عينيه ورأَيت عينيه قد صارتا مثل النار غيظاً عليّ وقال لي : هيهِ يا عباس اين الرجل . فقلت له : مهلاً يا أمير المؤمنين فانّ العفو أقرب للتقوى وهذا رجل جرى لي معه كيت وكيت وفعل معي كذا وكذا من الاحسان العظيم فالتزمت لحقّ إحسانه أن أطلقه املاً بحامك واتّكالاً على كرمك . (قال) فرأيت وجه المنصور قد تهلّل وقال لي : لحاك الله ياعباس . أيفعل هذا الرجل معك هذا الاحسان العظيم في زمن الفتنة وتطلقُه من غير أن تخبرنا باحسانه لنقوم باكرامه ونجزيه على مافعله معك من الخير . وجعل المنصور يتأسف ويفرّك يديه تحسُّرًا ويقول : أيذهب منا إنسان له علينا إحسان فلا نوفيه بعض ما استوجب عندنا من عظيم معروفه والله إنها لكبرى

فقلت له : ياأمير المؤمنين بأبي وأمي إن الرّجل موجود عندي وقد أبى أن يهرب لخوفه على عنقي منك . فقال لي أن أجعله محفوظاً في مكان وآتيك فأخبرك أنه هرب فان عفوت وإلّا رجعت فأُحضرته . فاستبشر وجه المنصور وضرب برجله الأرض وقال : هذا والله يساوي مقدار سالف معروف الرّجل إليك . فامض مسرعاً وائتني به مكرّماً موقّرًا . فمضيت وأتيت داري ودخلت على الرّجل فقبّل الأرض شكراً لله تعالى

وقام وجاء معي حتى دخلنا على أمير المؤمنين المنصور فحين رآه رحَّب به وأجلسه بجانبه وأكرمه وخلع عليه خلعاً نفيسة وقال له: هذا جزاء إحسانك. وسأله ان شاء أن يولّيه الشام فأبى وشكره. وأطلقه المنصور موقّرًا وأرسل معه الكتب لولاته يأمرهم باكرامه والقيام بحوائجه (للاتليدي)

قصة أصحاب الكهف (سنة ٢٥١ للمسيح)

٣٧٦ كان للروم ملك اسمه دِقْيانُوس (دِسْيوس) وكان يعبد الاصنام ويذبح للطواغيت . وكان ينزل قُرى الروم ولا يترك فيها احداً مؤْمناً الا فتنه حتى يعبد الاصنام . فنزل يوماً مدينة اصحاب الكهف وهي أَفَسوس وكان فيها بقايا على دين عيسى بن مريم يعبُدون الله . فهرب منه اهل الايمان . وكان حين قدم المدينة اتَّخذ شُرْطة من الكفار من اهلها يتتبَّعون اهل الايمان في اماكنهم . فمن وقع به الملك خيَّره بين القتل وعبادة الاصنام . فمنهم من يرغب ومنهم من يأْبى فيقتل . ثم أَمر باجسادهم ان تعلَّق على سور المدينة وعلى كل باب

فاتَّفق ان سبعة فتيان من اولاد البطارقة من اشراف القوم خرجوا ذات يوم لينظروا الى المعذَّبين من اخوتهم . ففتح الله ابصارهم فكانوا يرون الرجل اذا قُتل هبطت اليه الملائكة من السماء وعرَّجوا بروحه فآمنوا . فتضرَّعوا الى الله وجعلوا يقولون : ربنا رب السماوات والارض لن ندعو من دونه الهاً لقد قلنا إذاً شططاً . أَللّٰهُمَّ اكشف عن عبادك

المؤمنين هـذه الفتنة وادفع البلاءَ والغمَّ عن الذين آمنوا بك . فبينماهم على ذلك اذ ادركهم الشرطة وكانوا قد دخلوا في مصلًّى لهم فوجدوهم سجدوا على وجوههم يبكون ويتضرَّعون إلى الله تعالى فلما عثر عليهم الملك قال لهم : مامنعكم ان تعبدوا آلهتنا فاختاروا إما ان تذبحوا لآلهتنا وإما ان اقتلكم

فقال مَكْسَلْمينا وهو اكبرهم : ان لنا إلهاً ملأَت السماوات والارض عظمته لن ندعو من دونه إلهاً . اما الطواغيت وعبادتها فلن نعبدها ابداً فاصنع ما بدا لك . فلما قال ذلك أَمر الملك فنزع منهم الملبوس الذي كان عليهم من لبُوس عظمائهم وقال : ان فعلتم مافعلتم فاني سأُؤخّركم وأُفرغ لكم وأُنجزكم ما وعدتكم من العقوبة . وما يمنعني ان اعجل ذلك الا اني اراكم شبَّاناً حديثة اسنانكم . فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلاً تتذاكرون فيه وتراجعون عقولكم . ثم امر بهم فاخرجوا من عنده . وانطلق دقيانوس الى مدينة غير مدينتهم لبعض اموره

فلما علم الفتية ان دقيانوس خرج من مدينتهم ائتمروا ان يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدَّقوا منها ثم يتزودوا بما بقي . ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء . فلما جنَّهم الليل خرجوا الى الجبل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تَمْليخا .

فكان يبتاع لهم طعامهم من المدينة . وكان من أجملهم وأجلدهم . وكان اذا دخل المدينة لبس ثياب المساكين واشترى طعامهم وتجسس لهم الاخبار . فلبثوا كذلك زماناً . ثم أخبرهم ان الملك يتطلّبهم . فبينما هم كذلك عند غروب الشمس يتحدثون ويتدارسون اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف . فوقف الملك على أمرهم فألقى ابليس في نفسه أن يأمر بالكهف فيسدَّ عليهم حتى يموتوا جوعاً وعطشاً . وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم . ثم عمد رجلان مؤمنان كانا في بيت الملك فكتبا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم في رقيم . وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان . وناموا ثلاثمائة سنة (والصحيح أقل من مائتي سنة)

قال محمد بن اسحاق : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تاوَدوسيوس . وتحزَّب الناس في ملكه أحزاباً فمنهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حقّ ومنهم من يكذّب . فحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحقّ . ويقولون : لاحياة الا الحياة الدنيا . وانما تُبعث الارواح ولا تبعث الاجساد

ثم ان الرحمان الرحيم أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبيّن للناس شأنهم ويجعلهم آية ليعلموا بها ان الساعة آتية لا ريب فيها . فألقى الله في نفس رجل من ذلك الجبل أن يبني فيه حظيرة لغنمه . فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الاحجار ويبنيان بها تلك الحظيرة . حتى

فرغ ما على فم الكهف . فلما فتح عليهم الباب أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى أن يقوم الفتية . فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم طيبة أنفسهم. فسلَّم بعضهم على بعض . حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها اذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها. ثم قاموا الى الصلاة فصلَّوا كما كانوا يفعلون لا يُرى في وجوههم ولا في أبشارهم ولا ألوانهم شيءٌ يكرهونه . انما هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان ملكهم دقيانوس الجبار في طلبهم. فلما قضوا صلاتهم قال لهم مَكْسَلْمينا : يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غداً . ثم قال لِتَمْليخا : انطلق الى المدينة فاسمع ما يقوله الناس في شأننا . فتلطَّف ولا تشعرنَّ بنا أحداً وابتع لنا طعاماً وأْتنا به فانه قد نالنا الجوع

فأخذ تمليخا الثياب التي كان يتنكر فيها وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم التي ضُربت بطابع دقيانوس. فانطلق تمليخا خارجاً فلما مرَّ بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف . فعجب منها ثم مرَّ فلم يبال بها . حتى أتى باب المدينة مستخفياً يصدّ عن الطريق تخوُّفاً من ان يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار . ولم يشعر ان دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة . فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لاهل الايمان (علامة الصليب) . فلما رآها عجِب وجعل ينظر اليها

مستخفياً . فنظر يميناً وشمالاً فلم يرأحداً ممَّن يعرفه . ثم ترك ذلك الباب وتحوَّل الى باب آخر من ابوابها فرأى مثل ذلك . فجعل يُخيَّل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرفها . ورأى أُناساً كثيرين محدثين لم يكن يعرفهم قبل ذلك . فجعل يمشي ويتعجب منهم ومن نفسه ويخيل اليه انه حيران . ثم رجع الى الباب الذي أتى منه . فجعل يتعجب منه ومن نفسه ويقول : ياليت شعري أما هذه عشية أمس كان المؤمنون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها . فأما اليوم فانها ظاهرة لعلّي حالم . ثم يرى انه ليس بنائم فأخذ كساءه وجعله على رأسه

ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهرانَي سوقها فيسمع أُناساً كثيرين يذكرون الله ثم عيسى بن مريم . فزاده عجباً ورأى كأنه حيران . فقام مسنداً ظهره الى جدار من جدران المدينة ويقول في نفسه : ما أدري ما هذا . أمَّا عشيَّة أمس فليس على وجه الارض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قُتِل وأما الغداة فأسمع كل إنسان يذكر أمر عيسى بن مريم ولا يخاف . ثم قال في نفسه : لعل هذه ليست المدينة التي أعرفها أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحداً منهم . ما أعلم مدينة أقرب من مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجَّه وجهاً . ثم لقي فتى من أهل المدينة . فقال : يافتى ما اسم هذه المدينة . فقال : أَفَسوس . فقال في نفسه : لعل بي مسًّا أو أمراً أذهب عقلي . ثم انه أفاق فقال : لو عجّلت الخروج من المدينة قبل

ان يفطَن بي لـكان اكيس بي

فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معـه فأعطاها رجلاً منهم فقال : ياعبد الله بعني بهذه الورق طعاماً . فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها وعجب منها . ثم طرحهـا الى رجل من أصحابه فنظر إليهـا . ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل وهم يعجبون منها . ثم جعلوا يتشاورون من أجله ويقول بعضهم :إن هذا الرّجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الارض منذ زمان ودهر طويل . فلمّا رآهم يتشاورون من أجله فرِق فرقاً شـديداً وحزِن حزناً عظيماً . وجعل يرتعد ويظنُّ أنهم فطِنوا به وعرفوه. وانما يريدون أن يحملوه الى ملـكهم دقيانوس . وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه . فقال لهم وهو شـديد الفرَق : اقضوني حاجتي فقـد أخذتم ورقي وإلّا فامسكوا طعامكم فلا حاجة لي فيه . فقالوا له : من أنت يافتى وما شأنك . إنك لقـد وجدتَّ كنزاً من كنوز الأوّلين . وأنت تريد أن تخفيه عنَّا فانطلق معنا وشاركنا فيه يخفَّ عليك ماوجدتَّ.فانك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلّمك إليه فيقتلك . فلمّا سمع قولهم عجب في نفسه وقال: قد وقعت في كل شيء أحذر منه . ثم قالوا : يافتى إنك لا تستطيع أن تـكتم شيئاً وجدتَّه ولا تظنّ في نفسك أن ستخفي علينا . فجعل تَمْليخا لا يدري ما يقول وما يرجع اليه وفرق حتى لم يُحر إليهم جواباً . فلمـا رأوه لا يتـكلم

أخذوا كساءه فطوّقوه في عنُقه . ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلاً حتى سمع به كلّ من فيها . فقيل : أُخذ رجل عنده كنز . واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه . فجعل تمليخا مايدري مايقول لهم مع ما سمع منهم . فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وسكت ولم يتكلم. ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدَّق . وكان مستيقناً أن أباه واخوته بالمدينة . وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا. وقد استيقن أنه عشيَّة أمس كان يعرف كثيراً من أهلها وأنه لايعرف اليوم من أهلها أحداً

فبينما هو قائم كالحيران ينتظر من يأتيه من بعض أهله إمّا ابوه او بعض إخوته فيخلّصه من ايديهم إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسَي المدينة ومدبّريها اللذين يدبّران امرها . وهما رجلان صالحان اسم احدهما أَرْموس والآخر اصْطَفوس . فلما انطلق به اليهما ظنَّ تمليخا أنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه.فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وجعل الناس يسخرون به كما يسخرون من المجنون والحيران . وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللّهمّ إله السماء وإله الارض أَفرغ عليَّ اليوم صبرًا وأولج معي روحاً منك تؤيّدني به عند هذا الجبَّار. وجعل يبكي ويقول في نفسه : فرِّق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما

لقيت وأين يذهب بي . فلو أنهم يعلمون فيأتوني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار.فانا كنا توافقنا لنكونن معاً لانكفر بالله ولا نعبد الطواغيت من دون الله عز وجل .فرّق بيني وبينهم فلم ارهم ولم يروني . وقد كنّا توافقنا ان لانفترق في حياة ولا موت ابداً . يا ليت شعري ما هو فاعل بي أقاتلي ام لا

ثم انتُهي به الى الرجلين الصالحين ارموس واصطفوس فلما رأى تمليخا انه لم يُذهب به الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكاء فأخذ ارموس واصطفوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها . ثم قال له احدهما : اين الكنز الذي وجدته يا فتى . فهذا الورق يشهد عليك انك قد وجدت كنزاً . فقال له تمليخا: ماوجدت كنزاً ولكن هذا الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها . ولكنّي ما ادري ما اقول لكم . قال احدهما: من انت. فقال له تمليخا : أمّا ما أرى فاني كنت ارى اني من اهل هذه المدينة . فقالوا له : من ابوك ومن يعرفك بها . فأنبأهم باسم ابيه فلم يجدوا احداً يعرفه ولا اباه . فقال له أحدهما : انت رجل كذّاب لا تخبر بالحقّ . فلم يدر تمليخا مايقول لهم غير انه نكس رأسه الى الارض . فقال بعض من حوله : هذا الرجل مجنون . وقال بعضهم : ليس بمجنون ولكنه يحمّق نفسه عمداً لكي يفلت منكم . فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً : أتظنّ أنّا نرسلك ونصدّقك انّ هذا مال أبيك . ولنقش هذه الورق

وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة . وأنت غلام شابٌّ تظنُّ أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شُمْط كما ترى . وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا . وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار . وإني لاظنُّني سآمر بك فتضرب وتعذّب عذاباً شديداً ثم أُوثقك حتى تقرَّ بهذا الكنز الذي وجدت

فلما قال له ذلك قال له تمليخا . أنبئُوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم ماعندي . قالوا : سل لا نكتمك شيئًا. قال : فما فعل الملك دقيانوس . فقالوا له : ليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكاً يسمَّى دقيانوس . ولم يكن الا ملكاً قد هلك منذ زمان ودهر طويل وقد هلكت بعده قرون كثيرة . فقال لهم تمليخا : فوالله ما يصدقني أحد من الناس بما أقول . لقد كنا فتية الملك وانه اكرهنا على عبادة الاوثان والذبح للطواغيت . فهربنا منه عشية أمس فنمنا . فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاماً وأتجسَّس لهم الاخبار فاذا أنا كما ترون . فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل مَنْحَلوس أُركم أصحابي . فلما سمع أرموس واصطفوس ما يقول تمليخا قالا : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله عزَّ وجلَّ جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى . فانطلقوا بنا معه يُرِنا أصحابه كما قال . فانطلق معه أَرْموس وإصْطَفوس وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف

لينظروا اليهم

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتيهم فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس الذي هربوا منه . فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم . فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم ليؤتي بهم. فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض . وقالوا : انطلقوا بنا الى أخينا تمليخا فانه الآن بين يدي الجبار دقيانوس ينتظر متى نأتيه . فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يروْا إلا أرموس وأصحابه وقوماً وقوفاً على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا . فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه . ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقصّ عليهم المسئلة . فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياماً باذن الله تعالى ذلك الزمان كله . وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها

ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة . فقام بباب الكهف ودعا رجالاً من عظماء أهل المدينة وفتح التابوت عندهم . فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما ان مَكْسَلْمينا وتَمْليخا ومَرْطوكُشَ ونَوالِس وسانِيوس وبَطْنيوس

وكَشْفوطَط [١] كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا في هذا الكهف . فلما أخبر بمكانهم أمر بهذا الكهف فسُدَّ عليهم بالحجارة . وإنَّا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم

فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله عزَّ وجلَّ الذي أراهم آية البعث فيهم . ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه . ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرانيه ووجوههم مشرقة ولم تبلَ ثيابهم . فخرَّ أرموس وأصحابه سجَّدًا لله تعالى وحمِدوا الله الذي أراهم آية من آياته . ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار

ثم ان أرموس وأصحابه بعثوا بريداً الى ملكهم الصالح تاوَدوسيوس : أن عجّل لعلك تنظر الى آية من آيات الله تعالى جعلها الله آية على ملكك . وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نوراً وضياءً وتصديقاً بالبعث . فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ اكثر من ثلاثمائة سنة . فلما أتى الملك الخبرُ قام من السُّدَّةِ التي كان عليها وذهب عنه همُّه . وقال : أحمد الله رب العالمين رب السماوات والارض وأعبدك وأسبح لك .

---

(١) وقد ضبط مؤرخو الكنيسة أسماءهم كذا مكسيميانوس وملكوس ومرتينيانوس وديونيسيوس ويوحنا وسرابيون وقسطنطينوس

تطولت عليَّ ورحمتني برحمتك فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي

فلما أنبئَ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه فلما رأى الفتيـة تاوَدوسيوس فرحوا به وخرُّوا سجَّدًا على وجوههم . وقام تاودوسيوس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى . وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله تعالى ويحمَدونه . ثم قال الفتية لتاودوسيوس : نستودعك الله ونقرأُ عليك السلام حفِظك الله ومدَّ ملكك ونعيذك بالله من شر الجن والانس . فبينما الملك قائم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفَّى الله أرواحهم . وقام الملك فجعل ثيابه عليهم . وأمر أن يُجعل لكل واحد تابوت من ذهب . فلما أمسوا ونام أتوه في المنام وقالوا : إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب والى التراب نصير . فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب . حتى يبعثنا الله . فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه . وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدِر أحد أن يطَّلع عليهم . وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلَّى فيه . وجعل لهم عيداً عظيماً (للدميري)

تم بحوله تعالى

فهرس

﴿ منتخبات المجاني ﴾



فهرس الاعداد

يجد المطالع في هذا الفهرس بازاء اعداد المنتخبات عدد الجزء من كتاب المجاني الذي اخذت منه القطع مع بيان نمرة ترتيبها فيه ليتمكن من الاستعانه بكتاب شرح المجاني

اعداد المنتخبات	جزء المجاني	اعداد المجاني	اعداد المنتخبات	جزء المجاني	اعداد المجاني
من ١ الى ٢١	١	١ — ٢١	٢٣٦ — ٢٣٩	٢	١٤١ — ١٤٤
٢٢		١٧	٢٤٠	١	١٣٤
٢٣	«	٢٢	٢٤١ — ٢٤٥	٢	١٣٦ — ١٤٠
٢٤	«	٢٤	٢٤٦ — ٢٤٩	«	١٨٢ — ١٨٥
٢٥	«	٢٩	٢٥٠ — ٢٥٢	٣	٣٥٠ — ٣٥٢
٢٦ — ٢٨	«	٤١ — ٤٣	٢٥٣ — ٢٥٧	٤	٣٢٤ — ٣٢٨
٢٩ — ٣٠	٣	١٧ — ١٨	٢٥٨ — ٢٥٩	٣	٢٦٢ — ٢٦٣
٣١	«	٢١	٢٦٠ — ٢٦٢	«	٣٦٩ — ٣٧٢
٣٢ — ٥٤	١	٧٥ — ٩٧	٢٦٣ — ٢٦٥	٤	٣٤٢ — ٣٤٤
٥٥	«	٩٩	٢٦٦ — ٢٦٧	٣	٣٦٥ — ٣٦٦
٥٦ — ٧٣	٢	١١٧ — ٣٤	٢٦٨ — ٢٧٤	٣	٣٧٤ — ٣٨٠
٧٤ — ١٤٩	١	١٣٨ — ٢١٩	٢٧٥	٤	٣٣٦
١٥٠	٢	٣٠٨	٢٧٦ — ٢٧٨	«	٣٣٨ — ٣٤٠
١٥١ — ١٩٠	١	٢٢٠ — ٢٦٧	٢٧٩ — ٢٨٠	«	٣٢٩ — ٣٣٠
١٩١ — ١٩٢	٣	٣٢٦ — ٣٢٧	٢٨١ — ٢٨٣	٣	٣٨٢ — ٣٨٤
١٩٣	١	١٠٠	٢٨٤ — ٢٨٥	٤	٣٤٥ — ٣٤٦
١٩٤ — ١٩٥	٣	١٠٦ — ١٠٧	٢٨٦ — ٢٨٨	٣	٣٨٦ — ٣٨٨
١٩٦	١	١٠٣	٢٨٩ — ٢٩٠	٤	٣٥٢ ٣٥٣
١٩٧ — ١٩٩	٢	١٤٩ — ١٥١	٢٩١ — ٢٩٢	٤	٣٥٥ — ٣٥٦
٢٠٠ — ٢٠٤	١	١٠٦ — ١١١	٢٩٣ — ٣١٥	٣	٣٩١ — ٤١٣
٢٠٥	٢	١٥٧	٣١٦	«	١٢
٢٠٦	«	١٦٤	٣١٧	«	٢٨
٢٠٧	«	١٦٥	٣١٨	«	٣٠
٢٠٨ — ٢٢١	١	١١٣ — ١٢٧	٣١٩	٤	٧
٢٢٢ — ٢٣١	٢	١٧١ — ١٨١	٣٢٠	«	١٦
٢٣٢ — ٢٣٥	١	١٣٠ — ١٣٣	٣٢١	«	٤٠

اعداد المنتخبات	جزء المجاني	اعداد المجاني	اعداد المنتخبات	جزء المجاني	اعداد المجاني
٣٢٢	٣	٤٤	٣٤٦	٤	٢٣٤
٣٢٣ — ٣٢٤	٤	٥٦ - ٥٧	٣٤٧	«	٢٣٨
٣٢٥	«	٦٢	٣٤٨	«	٢٤٠
٣٢٦	«	٦٦	٣٤٩	«	٢٥٠
٣٢٧	«	٦٨	٣٥٠	«	٢٤٩
٣٢٨ — ٣٢٩	«	٧٠ — ٧١	٣٥١	٥	١٥٣
٣٣٠	٣	٧٣	٣٥٢	«	١٤٨
٣٣١	«	٧٨	٣٥٣	«	١٤٦
٣٣٢ — ٣٣٣	٤	١٠٩ — ١١٠	٣٥٤	«	١٧١ — ١٧٣
٣٣٤	«	٢٩٦	٣٥٥ — ٣٥٦	«	١٧٤ — ١٧٥
٣٣٥ — ٣٣٦	«	٣٠١ — ٣٠٢	٣٥٧	٤	٢٥٦
٣٣٧	«	٣٠٨	٣٥٨	٥	٢٣٦
٣٣٨	٢	٣٨٩	٣٥٩ — ٣٦٦	٢	٣٢٥ — ٣٣٣
٣٣٩	٣	١٢٠	٣٦٧ — ٣٧٢	٣	٣٠٦ — ٣١١
٣٤٠ — ٣٤١	«	١٢٦ — ١٢٧	٣٧٣ — ٣٧٤	«	٣١٣ — ٣١٤
٣٤٢	«	١٤٣	٣٧٥	«	٣١٨
٣٤٣ — ٣٤٥	٤	٢٢٩ — ٢٣١	٣٧٦	٢	٣٨٦

* تنبيه * قد وقع في الطبع ولا سيما في الشكل بعض الغلط فلم نهتم بتصحيحه لانه قليل وأوضح من ان يخفى على القارئ اللبيب .

